دراسات اشتراكية

SOCIALISM • СОЦИАЛИЗМ • SOCIALISMUS • CHU NGHIA XAHOI • SOZIALISM

- الدور السياسى للطبقة العاملة
- السياسات الدولية والمعايير الأخلاقية
- الثقافة والصراع الطبقى
- ندوة علمية عن:

مشاكل المدن

السنة السادسة

٨

أغسطس ١٩٧٧



« تضامن الشعوب من اجل حماية سلام العالم »



دراسات اشتراكية

مجلة شهرية • تصدر عن دار الهلال • السنة السادسة "٨" • أغسطس ١٩٧٧

الدراسة الأولى

التحالفات السياسية في النضال ضد الإمبريالية

بقلم: دون ديما الاسيري سوباسينغ

اعتبر الشيوعيون على الدوام التحالف بين البروليتاريا وبين كافة الجماهير الكادحة والمستغلة ، وفي المحل الاول الفلاحين ، كشرط جوهري لنجاح النضال الثوري . واستراتيجية التحالفات الطبقية والسياسية ، التي وضعت مبادئها كلاسيكيات الماركسية اللينينية ، تحتفظ باهميتها في ثورات التحرر الوطني المعاصرة ضد الامبريالية . وكما نعرف فان القوى الدافعة في هذه الثورات مهياة بتركيب الطبقات والفئات البروليتارية الحضرية والريفية ، والجماهير شبه البروليتارية ، والفلاحين ، والفئات الوسطى ، بما فيها المثقفين ، والبرجوازية الوطنية لدرجة كبيرة ، رغم انها تختلف في علاقاتها ببعضها البعض ودورها تبعا للتباين الكبير في الظروف التاريخية والاقتصادية المتميزة وغيرها في البلدان المختلفة .

وهذه العوامل ، وبخاصة دور البرجوازية الوطنية ، تختلف كذلك طبقا للمرحلة التى وصلت اليها ثورات التحرر الوطنى . ومع ذلك ، فان درجة تماسك ووحدة عمل تلك القوى التى توصل اليها ممثلو تنظيماتها السياسية تحدد لدرجة كبيرة دون شك قوة حركة التحرر الوطنى بشكل عام ، وعمقها الاجتماعى وبالتالى نتائجها وآفاقها .

وفى مرحلة الاستقلال السياسى لم يكن من الصعوبة بمكان تشكيل مثل هذه الوحدة فى عديد من بلدان آسيا وافريقيا ، أولا ، نظرا لطبيعة الهدف، لان المجتمع كان أقل تباينا فيما يتعلق بالطبقات عما هى عليه اليوم ، رغم أن ذلك لم يستبعد فى كثير من الحالات الاختلافات الخطيرة فى الرأى حول أشكال وآفاق النضال والقيادة . وفى مرحلة التحرر الاقتصادى أدى تغير الهدف الى اختلاف فى فهم القوى الاجتماعية المختلفة لهذا الهدف ، وتطلب اساليب جديدة لبلوغه . وصاحب ذلك تباين طبقى متزايد ، كما زادت أهمية العوامل السياسية والايديولوجية للثورة . وكل ذلك عقد مشكلة صهر الوحدة المعادية للامبريالية للقوى الوطنية القومية .

والكفاح من أجل الاستقلال الاقتصادى والتقدم الاجتماعى وضد الامبريالية والرجعية له جوانبه الدولية والداخلية كذلك . وأحد المهام الرئيسية للاحزاب الشيوعية فى الدول الفتية هى اتباع سياسة سليمة ودءوبة ومرنة وفعالة للتحالفات الطبقية والسياسية فى هذا النضال وسوف ندرس فى هذا المقال بعض عناصر هذه المجموعة من القضايا فى ضوء خبرة بلدان عديدة ، وفى مقدمتها سرى لانكا .

ولابد من الاشارة أولا الى أن الطبقية المتميزة للبنية الطبقية للمجتمع فى البلدان الافرو آسيوية ، وبخاصة سيادة الفلاحين والفئات الاخرى من صغار الملاك تحدد كذلك التنظيم السياسى للمجتمع . وحتى فى بلدان مثل الهند وسرى لانكا وغيرها ، حيث كانت عملية تشكيل البرجوازية الوطنية والطبقة العاملة فى ظل النظام الاستعمارى متقدمة لدرجة بعيدة نسبيا بالفعل ، كانت البرجوازية الوطنية فى وضع يسمح لها بالسيطرة على الاتجاه السياسى والايديولوجى لهذه العملية وما يترتب على ذلك من تأثير على كل الحياة السياسية . وفى الحقيقة ، فان أقساما عريضة من السكان الذين يعملون فى مؤسسات خاصة صغيرة كانوا وما زالوا يمثلون تربة اجتماعية خصبة للتأثير البرجوازى أكثر منها للتأثير البروليتارى . وفى بعض البلدان تشكل حتى البروليتاريا ، التى لم تنفصل بعد عن عنصر المالك الصغير . ولم تتخل بعد عن كل القوالب والافكار المرتبطة بها ، لدرجة ما ، جزءا من هذه التربة الاجتماعية السريعة الاستجابة للتأثيرات البرجوازية .

وهذه ، فى رأينا ، هى الاسباب الموضوعية الرئيسية للهوة التى كثيرا

ما نلاحظها بين التأثير السياسي للطبقة العاملة ونموها العددي . ان مستوى الوعي الطبقي والسياسي العالي بدرجة غير كافية بين البروليتاريا ما زال عاملا يمكن أن تكون له على الاقل نتيجتان . أولا ، انه يسمح للبرجوازية الوطنية أو للفئات الوسطى بأن تلعب الدور السائد فى حركة التحرر الوطني ليس فقط فى مرحلتها الاولى ، وانما غالبا فى الطور الاولى من المرحلة الثانية كذلك . وقد قدم لنا تاريخ النضال المعادي للاستعمار والمعادي للامبريالية امثلة مثيرة على العكس من ذلك (فيتنام ، لاوس) ذات مغزى استثنائي ، بيد أن الظروف السياسية والتاريخية لتطور الثورة فى هذه البلدان تتطلب تحليلا خاصا . وثانيا ، ان هذا العامل يحد من تقوية الدور السياسي للاحزاب الشيوعية فى ثورات التحرر الوطني وفى الحياة الاجتماعية للبلدان المتحررة حديثا .

وكما نعرف ، فان نطاق التحالف المعادي للامبريالية للطبقات والفئات المختلفة فى المجتمع يكون اعرض ما يمكن فى فترة النضال من أجل التحرر السياسي . وهذا النطاق مقدر له أن يضيق فى المرحلة التالية ، عندما يصبح العامل الذى وحد القوى الطبقية المختلفة معا فى عداد الماضي ، وتبرز مهام التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي بشكل متزايد الى المقدمة .

وفى بعض البلدان ، وبخاصة الدول الكبيرة فى آسيا (الهند ، مثلا) اتخذت البرجوازية الوطنية مواقف مختلفة بعد كسب الاستقلال السياسي. ومن الطبيعي ان يعتبر القسم الاكبر من البرجوازية الوطنية ، باعتبارهم انصار للتطوير الرأسمالي ، أنه من الممكن خلق اقتصاد وطني قائم على المؤسسة الخاصة ومؤسسات راسمالية الدولة . واليوم ، اذ حققت البرجوازية الهندية تقدما هاما فى تطوير القوى المنتجة ، وبخاصة الصناعة ، ودافعت عن المصالح القومية فى مجال العلاقات الاقتصادية الخارجية واتبعت سياسة عدم الانحياز ، فقد حافظت عمليا على موقعها القيادي فى الحياة القومية رغم أن سياستها تعتبر معتدلة بشكل عام بمقياس المضمون المعادي للامبريالية .

ونجد فى بلدان مثل سري لانكا ، مثلا ، موقفا وسطا بين الموقفين السابقين ، حيث تعتبر مواقف ومطامح البرجوازية الوطنية ، وبخاصة فئاتها العليا، اقرب بشكل عام للمجموعة الاولى نظرا لظروف معينة خاصة قائمة فى اقتصادها . ومع ذلك ، فان السمات العامة للابنية الاجتماعية للدول الفتية فى آسيا وأفريقيا ، بالاضافة الى بعض الخصائص المحلية التى تبرزها ، وخبرة البرجوازية فى المناورة السياسية والديماجوجية الاجتماعية قد ساعد هذه الطبقة على أن تكسب الى جانبها اقساما واسعةمن الفئات الوسطى ، وأن تبني أحزابا جماهيرية قوية .

وهكذا فان انتقال حركة التحرر الوطني للمرحلة الثانية لا يصاحبه على الدوام تضييق الاطار الاجتماعي للتحالف المعادى للامبريالية (من خلال خسارة البرجوازية الوطنية) ، رغم أن ذلك يحدث فى حالات عديدة . وربما يقال انه حيثما لا تحتل البرجوازية الوطنية موقعا قياديا فى الجبهة المعادية للامبريالية فانها تكون فى جوهرها أكثر تماسكا وذات عزم . بيد أن ظروف وفعالية وآفاق نشاط الجبهة يختلف بالطبع ، ويتوقف ذلك على ما اذا كانت البرجوازية الوطنية تقبض على سلطة الدولة أو حرمت منها . ومع ذلك فمن الواضح أن الطابع والاهداف المتغيرة للنضال المعادى للامبريالية بعد كسب السلطة السياسية يؤثر بشكل حتمى على راديكالية وثبات المواقف التى تتخذها القوى الطبقية المختلفة فى هذا النضال ، وخاصة قوى البرجوازية الوطنية .

والموقع القيادى للبرجوازية فى نظام السلطة السياسية للدولة يعرى ويضعف الخط المعادى للامبريالية ، وبخاصة فى الجبهة الداخلية . وفى عدد من البلدان اليوم ، تتم المحافظة على هذا الخط ، أولا ، الى الدرجة التى تتعارض فيها مصالح الطبقة الحاكمة مباشرة مع مصالح الاحتكارات الامبريالية . وثانيا ، الى الدرجة التى تتكيف بها تلك الطبقة نتيجة لضغط المشاعر الوطنية للجماهير فى الداخل والالتزامات الدولية والمواقف العامة التى تتخذها غالبية البلدان النامية فى أطار حركة عدم الانحياز .

والتحليل الدقيق لكل هذه العوامل فى كل بلد أمر جوهرى لرسم سياسة صائبة ومرنة للتحالفات الطبقية. ويلحظ الشيوعيون على وجه الخصوص الدور المتغير للبرجوازية الوطنية فى المرحلة الثانية لحركة التحرر الوطنى ويشكلون سياستهم نحوها واضعين فى الاعتبار الظروف الخاصة وكذلك حقيقة ان بعضا من أقسامها لا تزال تحتفظ بطاقات معادية للامبريالية يحتاج اليها النضال ضد الامبريالية . وفى نفس الوقت يعارض الشيوعيون بحزم المفهوم الاصلاحى البرجوازى عن تحالف طبقى بين الاستغلاليين والمستغلين ، والذى يختفى خلف تأكيدات بالحاجة الى « الوحدة الوطنية » بشكل عام ، خارج اطار النضال المعادى للامبريالية.

ومن الضرورى أن نشير الى انه فى الموقف العام من مشكلة وحدة القوى المعادية للامبريالية يضع الشيوعيون فى اعتبارهم الشرط الجوهرى التالى . فى الظروف الحالية للازمة العامة للراسمالية ونمو المنافسة بين النظامين العالميين للاشتراكية والراسمالية فان التحويلات الديموقراطية التى يجرى تنفيذها خلال مجرى النضال المعادى للامبريالية لا تفسح الطريق بالضرورة أمام تطور الراسمالية المحلية . وفى ظروف حركة طبقة عاملة نامية تقود الى رفض الراسمالية وتبنى تطورا ذا منحنى اشتراكيا انها تفترض ــ وهو الشىء المهم ــ الحاجة الى تحالف ممكن بين القوى

الاجتماعية التى تطلب تغييرات ديموقراطية والقوى التى تريد أن ترى هذه التغيرات تستخدم كأساس لمستقبل اشتراكى .

ان وحدة الاهداف القائمة موضوعيا للطبقات والاقسام المختلفة للمجتمع التى تعارض الامبريالية وتعمل من أجل التحرر الاقتصادى لا تصبح قوة ما لم تجد شكلا مناسبا فى التحالف السياسى لتلك الطبقات والاقسام . وللوصول الى مثل هذا التحالف ينبغى ان تصبح التنظيمات السياسية التى تعبر عن مصالح مختلف الطبقات واعية بهذه الوحدة وتعمل بصبر من أجل اعطائها شكلا تنظيميا .

والشيوعيون أيضا انصار أشداء للتحالف الفعال للقوى الاجتماعية التقدمية التى تسعى الى تقويض وتصفية المواقع الاقتصادية للاحتكارات الاجنبية وراس المال المحلى الكبير ، ورفع مستوى معيشة الجماهير الشعبية، وتوسيع الديموقراطية الاقتصادية والسياسية ، اى ، ادخال تغييرات ، فى نفس الوقت الذى تتسم فيه بالاهمية وتلبى الحاجات الملحة ، تؤدى الى تمهيد الطريق لمواصلة التطور فى اتجاه معاد للامبريالية والرأسمالية. وقد أوضحت الحياة أن مسألة الاشكال التى قد تتخذها التحالفات السياسية ذات أهمية كبيرة فى هذا الخصوص . وهى تتحدد مقدما ولدرجة كبيرة بالتوازن الفعلى للقوى الطبقية والسياسية فى اى بلد معين وبالصيغة الطبقية للقيادة فى ثورة التحرر الوطنى .

وفى غالبية البلدان الاسيوية والافريقية تلعب الدور القيادى اليوم اما الفئات الوسطى واما البرجوازية الوطنية واما مجموعات مختلفةمن كليهما فى نفس الوقت .

وغالبا ما يحاول ممثلو هذه المجموعات الاجتماعية استخدام دورهم لكسب احتكار السلطة مما يجعل من الصعب ضمان وحدة وطيدةوفعالة معادية للامبريالية . وبالاضافة الى ذلك ، فان مثل هذا المطلب بالقيادة الشاملة لعملية التحرر الوطنى ، يكتسب معنى سلبيا خاصا حيثما توجد حركة طبقة عاملة كبيرة الحجم وذات تاريخ ولها نقاباتها وتنظيماتها السياسية . وعلى اية حال ، فان محاولات استبعاد الطبقة العاملة وتنظيماتها عن عملية صناعة القرار ومنعها من تنفيذ التغييرات اللازمة او تحويل دورها الى وظائف « ثانوية » بدقة ، انما يضعف بالضرورة القدرة السياسية والاجتماعية لثورة التحرر الوطنى ويعود كلية بالفائدة على الامبريالية والرجعية الداخلية . وتوضح تجربة عديد من البلدان ، أن تحالف القوى المعادية للامبريالية ، التى تلعب فيه الطبقة العاملة والفلاحون والفئات الاخرى للشعب العامل الدور القيادى ، هو وحده الفعال حقا والذى يجعل فى الامكان تسخير الطاقة السياسية للطبقات والفئات

الاجتماعية المعنية لمهمة تحقيق التحرر الوطني الكامل والتقدم الاجتماعي .

وفي عدد من البلدان حديثة التحرر أتخذ التحالف السياسي شكل حزب رسمي واحد . ونحن نعتقد أنه ينبغي أن يؤخذ في الاعتبار العوامل التالية. غالبا ما يوجد هذا الشكل حيثما يوكل الدور القيادي في ثورة التحرر الوطني للفئات البرجوازية الصغيرة والفئات الاجتماعية التي تنجذب اليها ، والتي يكون ممثلوها الرسميون السياسيون في الغالب من المثقفين المرتبطين بالجيش أو ضباط الجيش أنفسهم . وفي هذه الظروف ، ترتبط الاهمية الاولية ، في رأينا ، بطبيعة المفاهيم السياسيةوالايديولوجية للمجموعات القيادية ، اذ انه على هذه المجموعات ، أو على الاقل في الوقت الحاضر ، تتوقف لدرجة كبيرة امكانيات وآفاق زيادة الدور الاجتماعي والسياسي للطبقة العاملة . وهذه الامكانيات أضيق ، بالطبع ، حيثما ترتبط ايديولوجية الحزب الواحد المعادية للامبريالية ، ارتباطا وثيقا بمفهومات ذات طابع وطني برجوازي صغير ، غالبا ما تستخدمها العناصر الرجعية لاخفاء أعمالها المعادية للوطنية والمتعاطفة مع الامبريالية . ويجب الا ننسى كذلك أن تلك الظروف تجعل من المستحيل وجود الاحزاب الشيوعية بشكل مشروع ، تلك الاحزاب التي يعتبر استقلالها التنظيمي والسياسي عاملا رئيسيا للتقدم الثابت على طريق الديموقراطية والتقدم الاجتماعي .

ورغم كل أهمية التحالفات السياسية في البلدان النامية ، فليس هناك شك في ان أفضلها ستكون قد استنفدت وظيفتها بمجرد أن تكف عن ان تكون تقدمية في الداخل ومعادية للامبريالية في نشاطها الخارجي . ويمكن ان ينتج ذلك عن تغيير موقعها بواسطة أكثر أعضاء التحالف نفوذا ، ناهيك عمن له السيطرة . وهذا الوضع يتطلب اعادة تجميع مناسب للقوى الوطنية . ويعتبر تطور الوضع في سري لانكا من هذا الطراز ، حيث آثر الحزب الشيوعي والقوى اليسارية الاخرى الخروج من حكومة الجبهة المتحدة التي يسيطر عليها اليمين .

والجبهة المتحدة ، كما نذكر ، تشكلت في بلادنا في عام ١٩٦٨،في أعقاب الاتفاق حول البرنامج المشترك الذى قدمه الى الامة فيما بعد ، في الانتخابات العامة في مايو ١٩٧٠ حزب الحرية في سري لانكا ، والاشتراكيون والحزب الشيوعي . وعندما كسبت الجبهة المتحدة الانتخابات دخل الحزب الشيوعي الحكومة . وكان الشيوعيون واعين تماما بكل من امكانيات وحدود هذا التحالف . ولم نكن نعتبرالجبهة المتحدة تحالفا اشتراكيا ، رغم وجود الاحزاب اليسارية فيها . وكنا نراها كتحالف عريض للطبقات والفئات الاجتماعية الوطنية ، التي تضم الطبقة العاملة والفلاحين والمثقفين الراديكاليين واقساما معينة من الطبقة

الراسمالية الوطنية . ومع ذلك فان توازن القوى داخل الجبهة المتحدة اعطى وزنا أكبر للقوى الاجتماعية الاخرى غير الطبقة العاملة .

ويقول بيان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي فى سرى لانكا « من اجل جبهة جديدة وبرنامج راديكالى » : « ورغم أن مثل هذه الجبهة الوطنية العريضة لا يتوقع منها ان تواصل التحويلات الثورية التى تحتاجها البلاد لاقامة مجتمع اشتراكى ، فقد كانت تملك ، فى رأينا ، القدرات اللازمة لاكمال النضال من أجل الاستقلال السياسى والاقتصادى ، وتوسيع الديموقراطية ، ومواصلة اجراءات التقدم الاجتماعى - وكلها تمثل مرحلة ضرورية لا غنى عنها فى النضال من اجل مجتمع اشتراكى . وكلها تمثل مرحلة ضرورية لا غنى عنها فى النضال من أجل مجتمع اشتراكى فى نهاية الامر » .

●●●

وفى داخل الجبهة المتحدة الحالية ، عملنا بشكل متواصل من أجل خط سياسى تقدمى ، مؤيدين كافة الاتجاهات الايجابية ومعارضين ما اعتبرناه سلبيا . وبالاضافة الى ذلك ، فلكى نحافظ على الوحدة ضد الهجمات الرجعية قبلنا احيانا قرارات معينة من قبل الحكومة لم يكن الشيوعيون يوافقون عليها . بيد ان هذا الوضع كان لابد وأن يتغير عندما ساد خط سياسى عام اعتبرناه مصدر كوارث للبلاد .

ان التغيرات فى الوضع وفى موقفنا قد جاءت نتيجة لنمو الجناح اليمينى داخل حزب الحرية فى سرى لانكا ، والذى اتخذ بالتدريج موقعا مسيطرا. فقد قاوم التغييرات الراديكالية منذ البداية ، وخاصة تلك التغييرات التى حدث من نمو الراسمالية الخاصة او اتجهت الى تقويض نظام العلاقات الراسمالية . وطالبت الدوائر اليمينية « باقتصاد مختلط » ، اعتبرته لا كمرحلة انتقالية على الطريق الى الاشتراكية ، وانما كتنظيم دائم تستخدم عن طريقه سلطة الدولة وموارد القطاع العام لمساعدة التطور الراسمالى الخاص .

والخطوات الراديكالية الكبيرة المتقدمة التى اتخذتها حكومة الجبهة المتحدة ، مثل الاصلاح الزراعى ، ووضع حد أعلى لملكية المساكن ، وزيادة الضرائب على الاغنياء ، قد أثارت الذعر بين كافة القوى المتعاطفة مع الراسمالية فى البلاد ، بما فى ذلك الجناح اليمينى داخل حزب الحرية فى سرى لانكا . ورأى اليمينيون فى وجود القوى الراديكالية واليسارية فى الحكومة والجبهة المتحدة عقبة رئيسية امام تحقيق اهدافهم . ولذلك بدأوا يعملون ، خطوة خطوة ، من أجل التخلص من هذه القوى .

وكخطوة اولى حرضوا الاشتراكيين على الانسحاب من الحكومة والجبهة المتحدة فى سبتمبر ١٩٧٥ . ورغم ذلك حاول الحزب الشيوعى المحافظة على الجبهة المتحدة ، لانه لم يكن يعتبر انتصار اليمين أمرا لا رجعة فيه . ومع ذلك واصل اليمينيون سياستهم . وحاولوا شل اللجنة المشتركة للمنظمات النقابية ، أهم ما توصلت اليه النقابات التقدمية فى الكفاح من أجل حركة موحدة للطبقة العاملة . وسعى الجناح اليمينى كذلك الى شل عمل الجبهة ولجنتها المركزية المشتركة وعزل الحزب الشيوعى . وكثير من المقترحات الهامة التى تقدم بها الحزب الشيوعى كان يوافق عليها « من حيث المبدأ » ولكن توضع على الرف عمليا . وبالاضافة الى ذلك فرض اليمينيون على الحكومة سياسة مواجهة مع العمال والطلبة ، اى القوى التى عملت بكل قواها من أجل هزيمة الحزب القومى الموحد الرجعى عام ١٩٧٠ . وزادت المواجهة وضوحا بشكل خاص خلال اضرابات العمال فى ديسمبر ١٩٧٦ ويناير ١٩٧٧ . وادت سياسة القمع التى انتهجت حيال المضربين الى أزمة سياسية داخل الحكومة وداخل حزب الحرية فى سرى لانكا .

وحدث كل ذلك ، عندما شددت القوى اليمينية الموالية للامبريالية والتى يقودها الحزب الوطنى المتحد من جهودها وابدت تحديا هائلا مع اقتراب الانتخابات العامة .

وكان لابد لهذا التحدى من جانب الرجعيين أن يكون اشارة لاعادة توحيد القوى اليسارية الراديكالية الديموقراطية ، كما اقترح الحزب الشيوعى. ولكن الجناح اليمينى فى حزب الحرية فى سرى لانكا سعى الى احباط اى تطور من هذا القبيل : فاقترح أولا تأجيل الانتخابات العامة ، ثم اتخذ قرار مفاجئا بتأجيل انعقاد الجمعية الوطنية « البرلمان » حتى تاريخ حلها الدستورى تقريبا . وكنتيجة لذلك عطلت كثير من القوانين الهامة . وهى تضم بينها قانون تاميم البنوك الاجنبية ، وقوانين الغاء الاشكال المتبقية من ملكية الارض الاقطاعية وحماية حقوق العمال فى عقود العمل .

وفى هذه الظروف كان على الشيوعيين أن يحسموا موقفهم من العمل فى المستقبل . هل نتوقع هزيمة الرجعية التى يقودها الحزب الوطنى المتحد تحت قيادة الجناح اليمينى لحزب الحرية فى سرى لانكا ؟ واذا لم نكن نتوقع ذلك ، فكيف يمكننا أن نعيد تجميع قوانا على أفضل وجه لكى ندافع عن المكتسبات التى تحققت منذ مايو ١٩٧٠ ونضمن مزيدا من التقدم فى اتجاه الاشتراكية ، عبر طريق غير رأسمالى ؟

لقد اعطيت الاجابة عن هذه التساؤلات فى قرار اللجنة المركزية فى ١٩ فبراير ١٩٧٧ حول انسحاب الحزب الشيوعى فى سرى لانكا من الحكومة.

واتخذ الحزب هذا القرار « لكى يعطى لنفسه استقلالا كاملا فى العمل فى ظل الوضع المعقد الراهن ، ولكى يتمكن ، دون ضغوط ، من اتباع سياسته لتحقيق توزيع جديد للقوى التقدمية .. » والحزب الشيوعى فى سرى لانكا لم يصبح مجرد حزب للمعارضة ، ولن يتأثر موقفه من حزب الحرية فى سرى لانكا باعتبارات ذاتية . ونحن نواصل اعتبار حزب الحرية فى سرى لانكا حزبا يضم قوى اجتماعية وعددا من الشخصيات القيادية التى يمكن للطبقة العاملة ان تنظر اليهم كأصدقاء . ولذلك ، ففى الوقت الذى يعارض فيه الحزب الشيوعى سياسة الجناح اليمينى ، سوف يؤيد اى اجراء للحكومة فى السياسة الداخلية والخارجية يعتبر انه فى مصلحة الشعب .

وكل ذلك لا يعنى باى حال أن الحزب الشيوعى قد تخلى عن سياسة الجبهة المتحدة ، التى اتبعها لوقت طويل . والحزب يتعاون بنشاط مع كافة القوى التقدمية واليسارية لخلق برنامج راديكالى وجبهة مناضلة لمقاومة الحزب الوطنى المتحد والجناح اليمينى لحزب الحرية فى سرى لانكا. وقرار الحزب بالانسحاب من الحكومة الحالية سيمهد الارض لمثل هذا النضال الحازم .

ونحن مقتنعون بصواب سياستنا للعمل الموحد من جانب القوى التقدمية . بيد ان الجبهات الموحدة لا تظل ساكنة . فاهدافها وطابعها تتغير مع احتياجات الوضع الموضوعى . وتلك هى بعض النتائج التى توصل اليها الاجتماع الموسع للجنة المركزية للحزب الشيوعى فى سرى لانكا فى فبراير بعد اجراء مشاورات مع منظمات الحزب وتحليل الوضع الجديد الذى تشكل فى بلادنا .

ان محتوى عملية التحرر الوطنى اليوم تتضمن مواجهة جماعية معينة بين غالبية البلدان النامية والامبريالية العالمية ، وعملية عميقة لحل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الداخلية التى يدل طابعها على اتجاه التطور الاجتماعى . وتختلف العلاقة بين الجوانب الخارجية والداخلية من بلد الى آخر وتتعرض على الدوام لتغيرات تفرضها عوامل عديدة ، منها المرحلة التى توصلت اليها ثورة التحرر الوطنى فى البلد المعنى وتطور النزاعات فى بعض المناطق (الشرق الاوسط ، جنوب افريقيا . الخ) . وحتى مع ذلك ، فربما كان من الاسلم ان نقول أن اهمية الجوانب الداخلية لحركة التحرر أعظم عن ذى قبل ، حيث أن الكفاح ضد الامبريالية ، مثلا ، يعبر بشكل متزايد عن نفسه فى صورة كفاح ضد حلفائها الداخليين .

واهمية الجوانب الخارجية تتزايد كذلك بالمقارنة مع الماضى ، عندما

كانت المهمة هى كسب الاستقلال السياسى . وينتقل الكفاح الى مجال العلاقات الدولية ــ سواء السياسية أو الاقتصادية فى المحل الاول ــ مع استئصال المواقع التى كان يحتلها رأس المال الاجنبى فى الماضى فى البلدان حديثة التحرر أو الحد منها . وفى هذا المجال ، كلما ازدادت وحدة البلدان النامية وثوقا ، تصرفت بشكل اكثر ثباتا وكلما كان التحالف أقوى بين حركة التحرر الوطنى والاشتراكية العالمية ، القوة الرئيسية المعادية للامبريالية فى الوقت الحاضر ، زاد الدور الذى يمكن أن تمارسه تلك البلدان ضد الامبرياليين والاستغلال ، زاد تأثيرها على العلاقات الدولية .

والتضامن المعادى للامبريالية للبلدان الاسيوية والافريقية التى كسبت استقلالها يعبر عن نفسه فى أشكال متباينة من العلاقات بين المنظمات العامة الوطنية أو العلاقات بين البلدان . وأحد مظاهر السخط السابق للعلاقات هو النشاط المفيد لمنظمة تضامن الشعوب الافرو اسيوية ،التى تعمل كمركز ينسق بشكل فعال الاعمال المختلفة التى ينفذها الرأى العام التقدمى ضد المخططات الامبريالية للعدوان والتخريب والسياسة الاستعمارية الجديدة ، ودفاعا عن السلام والصداقة بين البلدان ، ومساندة لمصالحها الحيوية ومطامحها ، ومن اجل التقدم الاجتماعى فى البلدان النامية تولى أهمية كبيرة لعمل منظمة تضامن الشعوب الافرو آسيوية ولجانها الوطنية العديدة وتساعدها بكل ما فى وسعها من جهد .

ويكون الوضع اكثر تعقيدا عندما يتعلق بالبلدان الافرو أسيوية حديثة التحرر التى توصلت الى تضامن معاد للامبريالية والتى تنسق العمل على المستوى الاقليمى أو القارى أو فيما بين القارات .

ومعظم هذه البلدان يشارك فى حركة عدم الانحياز ، التى ازداد محتواها المعادى للاستعمار عمقا واصبحت أكثر تميزا مع مرور الوقت .والبلدان غير المنحازة ، التى تدافع باستمرار عن سلم وطيد وانفراج دولى ، وتواصل النضال ضد الاستعمار والاستعمار الجديد . قد طالبت أخيرا بمزيد من الحسم بوضع حد لانعدام المساواة فى العلاقات الاقتصادية مع البلدان الرأسمالية المتطورة . والمغزى السياسى لتوسيع نشاط حركة عدم الانحياز الى العلاقات الاقتصادية الدولية سيكون من الصعب المبالغة فيه ، لان الاجراءات المنسقة ، التى تتخذها الا نبلدان عديدة غير منحازة، يمكنها أن تضع عقبات خطيرة فى طريق الاستغلال الاستعمارى الجديد من قبل الاحتكارات الامبريالية .

ومع ذلك ، ينبغى القول بأن هذه الامكانيات لم تستخدم بعد لدرجة

كبيرة ، واحد اسباب ذلك هو انعدام التجانس الاجتماعى والسياسى للبلدان حديثة التحرر المشتركة فى حركة عدم الانحياز (ويصبح ذلك أيضا بالنسبة للمنظمة القارية الاضيق ، منظمة الوحدة الافريقية) فهذه البلدان تضم دولا اشتراكية ، وذات منحى اشتراكى ، وبرجوازية وكذلك ملكيات اقطاعية مطلقة . ورغم هذا التباين ، فانها تجد أرضا مشتركة حول بعض المشاكل ، والا لما كانت الحركة قد استطاعت ان توجد على الاطلاق . ومن ناحية أخرى ، فان الاختلافات الخطيرة فى طابع الانظمة وفى منحاها تنعكس بالضرورة على موقف بلدان عدم الانحياز من المشاكل المعينة .

وكل ذلك يعوق الاستفادة من القدرة المعادية للامبريالية والكفاءة الكفاحية لحركة عدم الانحياز . ونحن نعتقد أن شرطا جوهريا للتغلب على هذه الصعوبات يتمثل فى مواصلة تدعيم وتطوير تحالفات القوى التقدمية داخل كل بلد ، وتوسيع علاقاتها المتبادلة فى نفس الوقت وتنسيق أعمالها فى المجال الدولى .

وينبغى أن نؤكد كذلك انه فى الوقت الذى لا تزال فيه دوائرمعينةفى البلدان النامية تدعى ان حركة التحرر الوطنى فى مجموعها قادرة على « هزيمة » الامبريالية بمفردها وان هذا المفهوم يجب أن يكون نقطة انطلاق استراتيجية وتكتيكات العمل المشترك من جانب الدول الفتية ، فان الواقع يختلف تماما .

ان نجاح نضال الشعوب المقهورة من أجل التحرر السياسى قد اصبح ممكنا بفضل توازن القوى الطبقية الجديد فى المجال الدولى ، ذلك التوازن الناتج عن قيام النظام العالمى للاشتراكية ومساندته الفعالة لحركات التحرر الوطنى . وربما يقال أن الظروف قد تغيرت ، واصبح لحركة التحرر الوطنى اليوم قاعدة خاصة بها فى شكل دول ومن ثم فهى أقوى كثيرا عن ذى قبل .. وكل ذلك صحيح . بيد ان الشىء الصحيح بنفس الدرجة هو أن أهداف النضال المعادى للامبريالية قد اصبحت أكثر تعقيدا وقبول مبدأ الكفاح « المنفرد » قد يحرم البلدان النامية من القوة التى تحتاجها بالحاح والمستمدة من التفاعل مع حليفها الطبيعى ،الاشتراكية العالمية . وهذا يفسر لماذا يولى الزعماء الابعد نظرا للدول الافرو اسيوية، وفى المحل الاول الذين يتطلعون الى تطور اشتراكى ، اهمية متزايدة لتنمية التعاون الشامل والصداقة مع البلدان الاشتراكية .

واليوم فان المساندة السياسية التى تقدمها الاسرة الاشتراكية للدول الفتية تكملها بشكلمتزايدمساعدة فى المجال الاقتصادىوفىتعزيز قدرتها الدفاعية ، وعلى توحيد القوى الاجتماعية الاكثر تقدما فى النضال من أجل التقدم الاجتماعى والاقتصادى والسياسى .

●

التضامن هو ضمان الانتصار في معارك السلام والاشتراكية

بقلم : آريك هونيكر

١ ـ السلام والسعادة • هذه المثل قد تعلقت بها البشرية منذ زمن سحيق فلم يتح للانسان على مدار التاريخ سـوى سنوات قليلة نسبيا من الحياة السـلمية فى الفترة التى عاش فيها على الأرض • وكانت الحـربان العـالميتان التى شنهما الامبرياليون ذات طابع تدميرى شـنيع • وأصـبح واضحا بصورة متزايدة أن قضايا الحرب والسلام والطرق لحلها قد أصبحت مرتبطة ارتباطا وثيقا بالوضـع الطبقى ومصالح وصراع الطبقات •

ومما لا جدال فيه أن عصرا جديدا فى النضال من أجل السـلام وفى تاريخ البشرية ككل قد لاح مع بزوغ ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى التى مثلت « أول انتصـار فى سبيل الغاء الحروب » •

واحدث العمال والفلاحون الروس شرخا ضخما فى النظام العالمى للامبريالية بقلبهم النظام البورجوازى ـ الافطـاعى واقامتهم للسلطة السوفييتية فوق سـدس كوكبنا • وقـدم وطن ثورة اكتوبر المثال للشعوب فى كيف يمكن أن يوضع حد للحرب الامبريالية وذلك عن طريق الصراع الثـورى للجماهير تحت قيادة الحزب الماركسى ـ اللينينى للطبقة العاملة

وبفضل أكتوبر الأحمر وتدعم قوة الاشتراكية فى العـــالم اكتسـبت التناقضات الاجتماعية أبعادا هائلة وبدأت عملية من التغير الجذرى تشـير الى أن الشعوب قد أخذت بين أيديها بثقة متزايدة عملية توجيه مســـار التاريخ • وفقدت الامبريالية بلا رجعة مركز المسيطر السابق فى العـالم هذا رغم أنها ما زالت تمتلك حتى اليوم طاقات ضـــخمة وتسـتخدمها فى معارضة التقدم • كما أدى تدعم قوى الاشتراكية وتصاعد حركة الشعوب المناضلة فى سبيل التحرر الوطنى والاجتمـــاعى الى المزيد من التغير فى الوضع الدولى وتأكد ذلك فى نمو قوى السلام ونجاحاتها•

لن تنسى الشعوب أبدا أنه منذ اليوم الأول لقيام الدولة الســـوفييتية سبح الدفاع عن السلام الهدف الرئيسى لسـسياستها الخــــارجية ، تلك السياسة التى وجدت فى البداية تعبيرا عنها فى أول مرسوم أصدره **لينين** عن السلام باسم السلطة السوفييتية الوليدة ثم فيما بعد فى برامج النضال من أجل السلام والامن والتعاون الذى اقره المؤتمر الـ ٢٤ والمؤتمر الـ ٢٥ للحزب الشيوعى السوفييتى •

وقد جعل مرسوم السلام من فكرة اقامة سلام دائم وديموقراطى الأساس الذى ترتكز عليه سياسة الدولة لأول مرة فى تاريخ الانسانية • وطـرح لينين الفكرة القائلة بالتعايش السلمى بين البلدان ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة هذا بينما كانت الدولة السوفييتية الفتية ما زالت تحارب ضد التدخل الامبريالى • وبذلك يكون **لينين** قد دعا الى اتباع السياسة الصحيحة والواقعية الوحيدة ، سياسة اشتراكية حقة تهدف الى اتباع سياسة سلامية طويلة المدى فى السياسة الخارجية ذات الأهمية الحيـــوية لبنـاء المجتمع الجديد وتتضمن فى الوقت نفسه الاستعداد الدائم لرد وردع أى عـــدوان امبريالى • وجمعت سياسة **لينين** بين تقديم المساندة الفعالة للشعوب المقاتلة فى سبيل حريتها والاستعداد لتنظيم تعاون عملى مع البلدان الرأسمالية • ومثل هذه السياسة منطقية تماما حيث أن الاشتراكية يمكن أن تطـرح ثمارها بالكامل فى ظروف السلام وبذلك تتمكن من ممارسة نفوذ عميق على مجرى التطور العالمى •

واستمرت الدولة السوفييتية تتبع هذا النهج فى سياستها الخارجية فى الفترة التى كانت تقاتل فيها من أجل الاعتراف الدولى بهـا • وفى مؤتمر **جنوا** الذى عقد فى عام ١٩٢٢ أعلن **تشيشرين** قوميسار الشئون الخارجية فى المؤتمر أن الوفد السوفييتى يرى فى التعاون الاقتصادى بين الدول ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة ضرورة ملحة •

وفى عام ١٩٢٢ أبرم الاتحاد السوفييتى والمانيا معـــاهدة رابالو ، وهى أول مثال يجسد أفكار حسن الجوار والتعـاون ذى المنفعة المتبـــادلة بين

البلدان الاشتراكية والرأسمالية . وفي نفس العام اقترحت الدولة السوفييتية برنامجا للتخفيض الشامل للاسلحة .

وفي الثلاثينات كان الاتحاد السوفييتي البلد الوحيد في العالم الذى دعا الى فكرة الأمن الجماعي ، وهو المفهوم الذى كان يتفق مع المصالح الحيوية لجميع الشعوب ويهدف الى منع خطر الحرب الذى كان ينبعث من ألمانيا الفاشية . ولكن التوازن الدولى للقوى فى ذلك الحين لم يجعل فى الامكان تنفيذ الأمن الجماعي . واليوم يدرك كل شخص أن شعوب العالم كان من الممكن أن تتجنب الخسائر الفظيعة التى حلت بها اذا كانت الدول الأخرى قد استجابت وأيدت المقترحات السوفييتية فى ذلك الوقت .

وبعد أن تمكن المعتدون الفاشيون من استعباد ما يقرب من نصف أوروبا الغربية ، بعد هذا فقط ، أضطرت الدول الرأسمالية للاعتراف بأن هزيمة الفاشية تتطلب بالضرورة العمل المنسق مع الاتحاد السوفييتي . وهكذا ظهر الحلف المعادى لهتلر الذى جسد التعاون بين البلدان ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة والقائم على أساس المصلحة المشتركة .

وأضفى نضال الاتحاد السوفييتي ومقاومة الشعوب للمعتدين الفاشيست على الحرب العالمية الثانية طابع الحرب التحريرية المعادية للفاشية . وانبثق فى كافة أرجاء العالم حركة نضالية هائلة تستهدف السلام والاستقلال الوطنى بصورة لم تعرف من قبل في التاريخ . وأكسبت المساهمة الحاسمة للاتحاد السوفييتي فى هزيمة الفاشية والبسالة التى أبداها فى هذا الصراع ، أكسبته شهرة عالمية .. ونجد تعبيرا عنها فى تلك الكلمات المحفورة على النصب التذكارى فى منتزه تريبتوف **ببرلين عاصمة جمهورية ألمانيا الديمقراطية** .. تقول هذه الكلمات « المجد الخالد لرجال الجيش الأحمر الذين ضحوا بحياتهم فى النضال لتحرير البشرية من العبودية الفاشية » . وفى نفس الوقت وضع الانتصار على الفاشية الأساس لظهور النظام الاشتراكى العالمى وبذلك خلق الظروف الضرورية لتحويل أوروبا من قارة الحروب الى قارة السلام .

وكما نعرف فان سياسة الحرب الباردة ((ودفع الاشتراكية الى الوراء))التى اتبعتها الامبريالية في أعقاب الحرب قد باءت بالفشل . وأوضحت التجربة أن سياسة المواجهة لا تجلب فائدة لأى طرف بل على العكس يمكن أن تقذف بالعالم الى أتون كارثة حربية جديدة وهو الأمر الذى يتعارض بشكل سافر مع مصالح الشعوب . ويمثل التحول من الحرب الباردة الى تخفيف التوتر ــ الذى يرجع الفضل فى تحقيقه أساسا الى جهود أسرة البلدان الاشتراكية ــ أهمية حاسمة وجوهرية لحاضر ومستقبل أوروبا حيث أن مبادىء التعايش السلمى قد أصبحت فى الواقع وبدرجة متزايدة القاعدة فى العلاقات بين الدول ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة .

وترجع هذه النجاحات لدرجة كبيرة الى السياسة السلامية الثابتة للاتحاد السوفييتى والى نشاطات وتحركات اللجنة المركزية للحـــزب الشـــيوعى السوفييتى **والرفيق ليونيد بريجنيف شخصيا** • فالاتحاد السوفيتى فى نظرته للمشاكل الدولية ذات الأهمية الحيوية للانسانية يجمع بين التحليل الدقيق للتطورات العالمية والمهارة فى التعبير عن المصالح الجوهرية للبلدان الاشتراكية وجميع القوى التقدمية والسلامية والنضال فى سـبيل تحقيق هذه النظرة • ويتزايد ادراك الشعوب بأن آفاق الســلام ترتبط ارتباطا لا ينفصل بنمو نفوذ وفعالية السياسة الســوفييتية وغيرها من بلــدان الأسرة الاشتراكية •

وتؤكد الأحداث الراهنة بصورة متزايدة اهمية تحقيق تعاون أوثق بين التيارات الثورية الرئيسية لعصرنا ـ الاشتراكية ، وحركة الطبقة العاملة العالمية ، والنضال الوطنى التحررى ، وكذلك الدور المـؤثر الكبير الذى يمكن أن تحققه مثل هذه الجبهة •

٢ ـ أدت هزيمة الفاشية بواسطة الجيش السوفييتى المجيد الى تحرير شعبنا أيضا وبذلك انفتح الطريق الى حياة جديدة • وأصبحت جمهورية ألمانيا الديموقراطية اليوم دولة اشتراكية مستقلة ذات سيادة معترف بها دوليا • وتواصل بلادنا النضال من أجل السلام والتقدم الاجتماعى على أساس المبادى اللينينية للسياسة الخارجية الاشتراكية وبذلك تســاهم ـ طبقا لقرارات المؤتمر التاسع للحزب الاشتراكى الألمانى الموحد ـ فى تحقيق مبادىء التعايش السلمى • وان العلاقات بين الدول ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة والعلاقات القائمة على الاعتراف بمبادىء القانون الدولى فيما يتعلق باحترام سيادة ووحدة أراضى وحدود كل دولة وعدم التدخل فى الشئون الداخلية ، تلك العلاقات يمكن بل يجب أن تصبح القاعدة لقيــام عــلاقات طبيعية ذات منفعة متبادلة للدول • ولا شك أن النجــاحات التى تحققت فى تنفيذ هذه السياسة لا تخدم فقط قضية بناء الاشتراكية والشــيوعية فى البلدان الشقيقة بل تخدم أيضا حركة التحرر الوطنى والنضال المعادى للامبريالية للشعوب •

وقد خلقت النتائج التى توصل اليها **مؤتمر هلسنكى** حول الامن والتعاون الأوروبى والذى اشتركت فيه ٣٥ دولة أساسا عريضــــا لحل مشـــاكل السياسة الدولية فيما يتعلق باقامة ســــلام دائم فى أوروبا • وتكرس جمهورية ألمانيا الديموقراطية فى تعاون مع الاتحاد الســـوفييتى والبلدان الاشتراكية الشقيقة الاخرى جهودها لتنفيذ **البيان الختامى لمؤتمر هلسنكى** ولمواصلة ســياسة الانفراج فى روح الاتفاقيــــات التى أبرمت ، ولتدعيم وتطوير الانجازات التى أمكن التوصل اليها • **ومما له أهمية كبرى فى هذا الصدد هو تكملة الانفراج السياسى بالانفراج فى المجـال العســـكرى •**

وقد وضعت جمهورية ألمانيا الديموقراطية (ج أ د) ٠كل ذلك فى اعتبارها وهى تشارك فى التحضيرات الجاريه لمؤتمر بلغراد ٠

وتنعكس أيضا مبادىء التعايش السلمى فى السياسة التى تتبعها دولتنا الاشتراكية لاقامة عـــلاقات طبيعية مع جمهــورية ألمانيـــا الاتحـــادية ٠ وتقدم مجموعة المعاهدات الأوروبية بما فيها الاتفاقيات والمعاهــدات المبرمه مع جمهورية ألمانيا الاتحادية والاتفاقية الرباعية حول برلين الغربيه أساسا صالحا لتحقيق نتائج هامة تتفق مع تحقيق السلام والأمن ٠ ومن جانبنا فاننا سنواصل العمل من أجل تحقيق تدابير بناءة جديدة فى مجـال اقامة علاقات طبيعية ٠ ولكن هذا يتطلب فى نفس الوقت موقفـــا متزنا وارادة طيبة من الجانب الآخر ولا يمكن تجاهل الحقيقه بان جمهـــورية المانيـــا الاتحادية وخاصة فى الفترة الاخيرة تصرفت مرارا بطريقة تناقض نصا وروحا المعاهدات المذكورة آنفا وكذلك البيان الختامى لمؤتمر هيلسنكى ٠ ولا شك أن مثل هذه التصرفات تعوق تطوير العلاقات بين الدولتين الالمانيتين فى الاتجاه الذى تستهدفه الاتفاقيات وهو أمر لا يمكن أن يكون مفيــدا لأى شخص يفكر بطريقة واقعية ويقدر ضرورة تقوية السلام وتدعيم الانفراج ٠

ومما لا جدال فيه أن تحسين المناخ السياسى فى أوروبا يتطلب الاحترام الأكيد للسيادة وحدود الدولة والوحدة الاقليمية وعدم التدخل فى الشئون الداخلية ٠ **وفى هذا الصدد فان وهم الوحدة الألمانية المزعوم الذى تقترحه باصرار جمهورية ألمانيا الاتحـــادية لا يمت الى الواقعية بصـلة بل وفى التحليل النهائى يلقى ظلالا من الشك حول كل ما أمكن تحقيقه فى مجال تحسين العلاقات بين جمهورية ألمانيا الديموقراطية وجمهورية ألمانيا الاتحادية** فليس من المتصور احلال القانون الداخلى لجمهورية المانيا الاتحـادية محل القانون الدولى ٠ ومثل هذا الوهم الذى أشرنا أنه يدمر الانفراج ٠ ويمكن أن نقول نفس الشىء فيما يتعلق بالجهود التى تبذلها جمهـــورية ألمانيـــا الاتحادية وحلفاؤها لتجاهل الاتفاقية الرباعية حول برلين الغربية ومثــال ذلك البيان الذى صدر مؤخرا فى لندن حول برلين ٠

وترتبط سياستنا الخارجية ارتباطا وثيقا جدا بالسياسة الاجتماعية التى أقرها المؤتمر التاسع للحزب الاشتراكى الألمانى الموحد ٠ فان مواصلة عملية بناء المجتمع الاشتراكى المتطور فى جمهـــورية ألمانيا الديموقراطية وخلق القاعدة الضرورية للانتقال التدريجى الى الشيوعية هى بمثابة برنامج عظيم للعمل السلمى الخلاق فى خدمة الشعب ورفاهيته ونحن نقوم ببناء قـوة بلادنا الاقتصادية ناظرين الى المستقبل البعيد وهذا هو الضـــمان لتنفيذ خططنا الاجتماعية ــ السياسية الاشتراكية ٠ وتخدم كل خططنا هذا الهدف

أن الهدف الأسمى لسياستنا الخارجية هو خلق أفضل الظـروف الممكنة لتطوير الاشتراكية وتأمين السلام العالمى والتقدم ٠ وفى هذا الصدد فاننا

نولى أهمية كبرى للتقوية الدائمة للتحالف الأخوى مع الاتحاد السوفييتى وغيره من دول الأسرة الاشتراكية .

وكذلك يتطلب تحقيق الآمال المطروحة على النضال العالمى فى سبيل السلام والتقدم وسعادة البشرية قيام تعاون عريض بين جميع القوى التى تسعى الى هذا الهدف . ولا يوجد هناك غير الاحزاب الشيوعية والعمالية التى يقع عليها فى المحل الاول الاضطلاع بهذه المهمة ؛ فهذه الاحزاب هى طلائع الطبقة العاملة والمناضلون الأشداء فى سبيل تحقيق اهداف ومصالح البشرية وأكبر القوى الثورية تأثيرا فى عصرنا . **وتتمثل لدرجة كبيرة أهميه مؤتمر الأحزاب الشيوعية والعمالية الأوروبية الذى عقد فى برلين وغيره من التجمعات العالمية للأحزاب الشقيقة أنها قد وسعت المجال والفرص لقيام مثل هذا العمل المشترك .**

واليوم بعد عام من **مؤتمر برلين** تبرز الأهمية الحيوية للنتائج والتقييمات التى توصل اليها شيوعيو أوروبا والتى تجسدت فى الوثيقة الصادرة عن المؤتمر . ان تقدم القوى الثورية واشتداد المعارك الطبقية والصراعات بين الأيديولوجيات والسياسات على النطاق الدولى يؤكد الدور المتزايد للتضامن الدولى والتفاعل بين جميع القوى المعادية للامبريالية وتشتد الحاجة الى هذا التضامن فى ظروف عالم اليوم . ويكفى أن نشير الى المشاكل العالمية التى تواجه البشرية مثل التغلب على التخلف الذى ما زالت تعانى منه غالبية البشرية والقضاء على المجاعة والفقر المدقع المسيطر على جزء كبير من سكان العالم وحماية وتحسين البيئة لكى ندرك الأهمية المتزايدة للتضامن الدولى ناهيك عن الحاجة ، التى تسبق الجميع ، الى المحافظة على السلام العالمى .

وهناك قضية اساسية أخرى الا وهى الحملة لوقف سباق التسلح الذى فرضه حلف الأطلنطى ولاتخاذ تدابير محددة لنزع السلاح . ومما لاجدال فيه أن هذه القضية تمثل المفتاح لحل مشاكل عصرنا الحالى ولحل مشكلة تأمين السلام الدائم والشامل . وستتيح حلها تجنيب الموارد المالية الضخمة التى تنفق اليوم على سباق التسلح الذى يحركه رأس المال الاحتكارى واستخدامها فى رفع المستويات المعيشية ودفع التقدم وخاصة فى المستعمرات السابقة والبلدان المقهورة .

ويكفى أن نذكر أن واحدا على عشرة من الأموال التى ينفقها حلف الاطلنطى على التسلح تكفى لسد جميع احتياجات الأطفال الذين يعانون من سوء التغذية فى العالم والذين يقدر عددهم بـ ٢٥٠ مليون طفل . وتعتبر خطوة فى هذا الاتجاه تنفيذ الاقتراح الذى تقدم به الاتحاد السوفييتى والذى يرمى الى خفض الميزانيات العسكرية للبلدان الأعضاء الدائمين فى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة . فهذا الاقتراح يدعو أيضا الى استخدام جزء

من الأموال التى يوفرها هذا الخفض نتقديم العون الى البلدان النامية ٠

أما بالنسبة للبلدان الاشتراكية فهى مضطرة الى يومنا هذا الى انفاق موال ضخمة لحماية منجزات العمل السلمى لشعوبها ٠ وتعتبر بلادنا أكثر بلدان العالم ثباتا وتصميما فى حملتها للوصول الى اتفاقيه حول نزع السلاح ٠

وقد لجأت بلدان حلف الاطلنطى فى السنوات الأخيرة الى زيادة الانفاق العسكرى بصورة مضطردة ٠ وبما أن تكاليف الأسلحة مرتفعة للغاية فان هذه الزيادة فى الانفاق العسكرى تجور على الأموال المخصصة لاحتياجات الفروع الأخرى لاقتصاديات هذه البلدان ٠ ووفقا لما جاء فى نشرة « **ملاحظات اقتصادية** » التى تصدر فى **نيويورك** فان توفير ١٠٠٠ر١ مليون دولار عن طريق خفض الانفاق على التسلح يمكن أن يفتح الباب لـ ٥٠٠٠ر٥٠ وظيفة بواسطة بناء المدارس ولـ ٦٧٠٠٠ر وظيفة بواسطة بناء المرافق العامة ولـ ١٣٢٠٠٠ر وظيفة بواسطة التوسع فى خدمات الصناعة ولكن بدلا من هذا نجد أن هناك زيادة لا مثيل لها فى أعباء الانفاق العسكرى الذى لا يستفيد منها الا رجال صناعة الاسلحة بينما يزداد شعور عدم الأمان لدى العمال فى بلدان رأس المال الاحتكارى ٠

ولقد قدم الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الأخرى ويواصل تقديم المقترحات المحددة لاجراء مفاوضات حول حماية السلام وتوطيد الانفراج السياسى بواسطة اتخاذ تدابير فعالة لخفض الأسلحة ونزع السلاح ٠

ولكننا لا يمكننا أن نغمض الأعين عن الحقيقة بان الولايات المتحدة وغيرها من البلدان الأعضاء فى حلف الأطلنطى ما زالت تواصل عاما بعد عام زيادة الانفاق العسكرى وبناء قدراتها العسكرية كما ونوعا ٠ وتأتى جمهورية المانيا الاتحادية فى المرتبه التالية للولايات المتحدة فى مجال الانفاق العسكرى وقد أقرت مؤخرا لجنة الميزانية بجمهورية ألمانيا الاتحادية رقما قياسيا للانفاق العسكرى الحكومى فى الميزانية بلغ ١١٨٥٠٠ر مليون دولار ٠ ويبلغ الانفاق على التسلح فى العام الحالى فى جمهورية ألمانيا الاتحادية ٥٠٠٠٠ر مليون مارك ألمانى ٠ وبالاضافة الى هذا فان نسبة الانفاق العسكرى للفرد فى ألمانيا الاتحادية تعتبر أعلى نسبة انفاق فى جميع البلدان الاوروبية التابعة لحلف الأطلنطى ٠

وقد أصدر الاجتماع الأخير لمجلس حلف الأطلنطى الذى عقد فى لندن قرارا بزيادة الانفاق على الأسلحة فى بلدان الحلف الغربى ٠ ولا شك أن كل شخص يعطى الأولوية للأسلحة فى تحديد سياسته الخارجية لابد وأن يفاقم من خطورة الوضع الدولى وأن يقف فى تناقض فاضح سافر مع مصالح الشعوب ٠ ومن جانبنا فاننا نرى أن أية سياسة متزنة يجب أن

نضع كهدف رئيسي وجوهري لها اتخاذ خطوات نحو الاقـــلال من خطـر الحرب النووية ودفع قضيه نزع الأسلحة بما يتفق مع مبدأ المســاواة فى الأمن لكل الأطراف ووضع مصالح كل البلدان الاوروبية في الاعتبـار ٠ هذا وستواصل جمهورية ألمانيا الديموقراطية تقديم مساهمتها الفعالة لحل هذه المشكلة ٠

ولا شك أن نزع السلاح سيقدم فرصا وامكانيات جديدة للدفاع عن تدعيم الاستقلال الوطنى للمستعمرات السابقة والبلدان التابعة للامبريالية ، حيث أن هذا سيقدم فرصا جديدة للقوى التقدمية المعادية للامبريالية فى البلدان الرأسمالية فى نضالها لاحراز مكاسب ديموقراطية واجتماعية ـ سياسية ينجم عنها تقليص نفوذ الاحتكارات واحداث تحولات ديموقراطية ٠ وبدون أدنى مبالغة **يمكننا القول بأن الحملة من أجل نزع السلاح هى بالتحديد التى تبرهن وتفضح التناقض الجذرى فى المصالح بين التحالف المكون من رجال الصناعة والأسلحة ومصالح الانسانية جمعاء ٠**

يقول البيان الذى صدر عن اللجنة السياسية الاستشارية لبلدان معاهدة **وارسو فى بوخارست** بتاريخ نوفمبر ١٩٧٦ . « ان بلادنا تعــارض عن اقتناع سباق التسلح ومن ثم فهى تعلن رغبتها واستعدادها للتعاون الفعال والبناء مع جميع البلدان للوصول الى حل لهذه المشكلة الحيوية التى تواجه الانسانية » ٠ وتتفق المقترحات المقدمة من بلدان معاهدة وارسو وبالتحديد المذكرة حول مسائل سباق التسلح ونزع السلاح التى تستند الى برنامج السلام الذى أقره **المؤتمر الـ ٢٥ للحزب الشيوعى السوفييتى** ، تتفق تماما مع هذا البيان ٠ ومما له أهمية كبرى أيضا مشروع المعاهدة الذى قدمه الاتحاد السوفييتى مؤخرا الى الجمعية العامة للأمم المتحدة حول عدم اللجوء الى استخدام القوة فى العلاقات الدولية ٠

٣ ـ لقد بذل الكثير وبذلت الكثير من التضحيات الضخمة لتحقيق حلم البشرية فى سلام دائم ٠ ولكننا اليوم لا نستطيع أن نجزم بأن عملية اقامة علاقات دولية طبيعية لا يمكن الارتداد عنها ٠ فما زالت هناك بؤر للتوتر معرضة للانفجار ٠ ولم يتم اجتثاث خطر نشوب حرب عالمية جـــديدة ، والقوى المناهضة للانفراج تشدد من معارضتها لسياسات التعايش السلمى ونزع السلاح وتحاول تخريب الانفراج والرجوع الى سياسة الحرب الباردة ومن ثم فهناك ضرورة لممارسة جهود مثابرة ومتصلة لجعل السلام الأسلوب الطبيعى لحياة الشعوب ٠

وقد أثارت سياسة التعايش السلمى ـ جوهرها ومحتواها وآفاقهـا ـ جدلا عنيفا ٠ ففى الوقت الحالى تتصاعد فى البلدان الرأسمالية المعارضة للانفراج من قبل القوى الأكثر عدوانية ٠ كما يمكن ملاحظة نوع من عــدم الثبات والتأرجح حتى فى صفوف الدوائر ذات العقلية الواقعية ٠ وهناك قوى تحلم بشىء . مختلف تماما عن الانفراج وعن وضع نهاية للحرب الباردة

ولكنها أجبرت على الرضوخ لحقيقة أن الاشتراكيةفى ازدهار ، وأن نفوذها الدولى فى نمو ، وأن حركه الطبقة العاملة والحركة الشيوعية وقوى التحرر وأنصار السلام فى العالم يزدادون قوة فوق قوة ٠

وليس من قبيل الصدفة ان موجه العداء للشيوعية الموجهة أساسا ضـــد الاتحاد السوفييتي يجرى التصاعد بها كلما ازداد انتشـــار أفكار الانفراج ونزع السلاح التى تلهمها وتدعو لها الاشتراكية فى صفوف الشـعوب ٠ وقد أصيبت الامبريالية بهزائم عديدة ذات نتـــائج استراتيجية هامة ، فالرأسماليون فى البلدان الرأسمالية يواجهـون بحركة معـــادية للاحتكار يتزايد أنصارها فى اطار الازمة الحالية وتشتد مطالبتها باجـراء تغيرات اجتماعية جذرية ٠ ويبرهن هذا على عدم جدوى محاولات الامبريالية لانتزاع نفسها من موقف الدفاع التاريخى الذى تحتله ٠

لا يلغى ولا يمكن أن يلغى تخفيف التوتر القوانين الموضـوعية للصراع الطبقى ٠ ونحن نضع فى الاعتبار هذا العامل عندما نضع سياستنا البناءة حقا ان الاسترخاء وتخفيف التوتر ــ ونحن فى ذلك نتفق تماما مع **ليونيد بريجنيف** ــ يشتمل أساسا على التغلب على الحرب الباردة ، والانتقال الى العلاقات الطبيعية والمتكافئة بين الدول ٠ كما يتضمن الاستعداد لتســـوية المنازعات والاختلافات ليس بوسائل القوة أو التهديدات أو قرقعة السلاح بل بالمفاوضات السلمية ٠ وكذلك يتضمن الانفراج درجة معينة من الثقة والقدرة على ان تضع فى الاعتبار المصالح المشروعة لكل طرف ٠

وللعلاقات السوفييتية ــ الأمريكية أهمية حاسمة للتطـــور العـــالمى بصورة عامة ولحل مشاكل نزع السلاح بصورة خاصة .وتحظى مفاوضات الحد من الاســـلحة الاستراتيجية باهتمام بالغ وطبيعي من قبل العـــالم ونحن نؤيد بحماس جهود الاتحاد السوفييتى لاقامة علاقات طبيعية والمزيد من هذه العلاقات مع الولايات المتحدة ولابرام اتفاقية جديدة وفقا لاتفاقيات فلاديفوستوك ٠ ونحن مقتنعون أيضا أنه من الممكن التوصل الى نتـــائج ايجابية فى مصلحة السلام العالمى اذا تخلى الجانب الآخر عن محاولاته غير الواقعية للحصول على مزايا أحدية الجانب ٠

أن الاعوام الستين التى انقضت منذ صدور مرسوم لينين حول السلام قد برهنت على ان السلام وسعادة الشعوب متصلة اتصالا وثيقا بنجاحات الاشتراكية ونضالات الشعوب فى سبيل التحـــرر الوطنى والاجتمـاعى ٠ ويمكن احراز المزيد من الانتصارات لهذه الأهـــداف النبيلة والعظيمة فى المستقبل أيضا من خلال النضال المعادى للامبريالية ٠ ان قرنـنــا الحـالى ترصعه النجمة الحمراء لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى ٠ ولقـد تحـولت الأهداف والمثل النبيلة التى كانت تعتبر حلما فى وقت ما الى واقــع حى نلمسه بصورة متزايدة من خلال عملية النشاط الثورى للجمـــاهير الذى تقوده الطبقة العاملة وأحزابها الماركسية ــ اللينينية ٠

●

من أجل السلام وسعادة البشرية

بقلم: بوريس بوناماريوف

تمر الحركة الشيوعية بفترة هامة للغاية ومسئولة في تاريخها .

وتتميز المرحلة الحالية في تطورها ، في المحل الأول ، بتغيرات نوعية طرات على الدور الفعلي الذي يلعبه الشيوعيون اليوم في تحديد مصير البشرية . لقد اتسعت صفوف الحركة الشيوعية ، وتزداد مواقعها قوة ، كما يتزايد تاثيرها على مجرى وطابع الاحداث العالمية . وفي عصرنا لا يمكن حل اية مسالة حيوية في السياسة الدولية دون ان تؤخذ في الاعتبار مواقف الحركة الشيوعية .

ويرتبط ذلك ارتباطا وثيقا مع عامل آخر . فكثير من الأحداث الدولية تؤثر ليس فقط على آفاق الحركة في مجموعها ، وانما نجد لها تاثيرا مباشرا كذلك على نشاط أحزاب شقيقة مفردة . وتحتل المشاكل الدولية مكانا واسعا في نضال وعمل كافة الاحزاب الشيوعية دون استثناء وتؤثر ، بين اشياء أخرى ، على تحديد تكتيكاتها واستراتيجيتها القومية . وهذا تعبير عملي عن الاهمية المتزايدة لقدرة الشيوعيين على الربط بين مسئولياتهم الدولية والقومية .

وأخيرا ، فهناك جانب آخر من المسألة . فليوم حيث طرأ تحول نوعى عميق على المسرح الدولى ، تبين انجباة بجلاء أن مستوى التفاعل السياسى بين الأحزاب الشيوعية والعمالية يصبح عنصرا هاما للغاية وضروريا للتغير فى ميزان القوى لصالح السلام والاشتراكية . وتضامن الشيوعيين الدولى عامل سياسى هام لكبح الدوائر العدوانية للامبريالية ، وللمحافظة على المنجزات العظيمة للطبقة العاملة ، والشعب العامل ، ومضاعفتها ، كما أنه شرط اساسى لمواصلة تطور العمليات الايجابية فى العالم .

وفى السنوات الأخيرة أصبحت الصلات والتعاون بين الأحزاب الشقيقة أكثر نشاطا وتنوعا بشكل ملحوظ ، اذ انها تتعاون بشكل وثيق فى المجال الدولى . والسمة العامة المميزة للصلات بين الأحزاب كانت منهجا سياسيا محددا من دراسة المهام الجارية . ان أهداف واتجاهات النضال المشترك التى ظهرت خلال الاجتماعات الاقليمية والدوليه المتعددة الأطراف . والتى عقدت خلال هذه السنوات ، كما توضح الخبرة الأخيرة على وجه الخصوص قد ساعدت الشيوعيين ، على الاستفادة بصورة أفضل وبشكل اكثر فعالية من قدراتهم الخاصة ومن الظروف الدولية المواتية ، لمصلحة الشعب العامل .

واهم نتيجة النضال الذى خاضته قوى السلام والاشتراكية على المسرح الدولى فى العقود الثلاثة منذ الحرب العالمية الثانية هى إنه كان من الممكن تحقيق تحول من « الحرب الباردة » التى تخفيف التوتر ، الى تأكيد مبادىء التعايش السلمى فى الحياة الدولية . وهذا التحول هو نتيجة للتحول النوعى فى ميزان القوى الطبقية فى العالم ، وللسياسة السلمية لبلدان الاشتراكية الشقيقة .

ففى أية صور معينة عبر هذا التحول عن نفسه ؟

اولا : فى تعزيز مطرد لمواقع الاشتراكية العالمية .

كانت الاشتراكية كواقع على الدوام ، ولا تزال ، سندا للطبقة العاملة العالمية . ويخلق وجودها وتعزيزها فرصا ضخمة لتحويل المجتمع بطرق ربما ستكون أسهل فى كثير من الحالات عن الطرق التى كان على شعوب البلدان الاشتراكية أن تتبعها . والاشتراكية كواقع قد لعبت دورا بارزا فى ضمان نجاح حركة التحرر الوطنى . ان وجودها ، ومعونتها ومساندتها تساعد اليوم البلدان التى كسبت السيادة السياسية لتحقيق الاستقلال الاقتصادى . وأخيرا ، فالاشتراكية كواقع قد وضعت مهمة حماية البشرية من حرب عالمية على أساس عملى . وبالاضافة الى ذلك ، فقد طورت بشكل حاسم بالفعل اعادة تشكيل العلاقات الدولية لتلائم مصالح كل الشعوب ، وكل القوى الديموقراطية .

وتمسك البلدان الاشتراكية بزمام المبادرة فى الشئون العالمية وهى تدافع عن السلام والأمن الدولى . والعامل الجديد هنا هو أن البلدان الاشتراكية باتخاذها لموقفها على أساس التحولات النوعية فى توازن القوى العالمية تتحرك اليوم بنجاح نحو حل المشكلات الدولية بما فيه مصالح السلام والأمن الدولى ، وحركة الطبقة العاملة وكل الشعب العامل ، ومصالح الاستقلال الوطنى .

ثانيا : فى السنوات الأخيرة كسبت الطبقة العاملة فى القسم غير الاشتراكى من العالم مركزا أكثر رسوخا كقوة قيادية للتقدم الاجتماعى .

وتلعب الطبقة العاملة اليوم دورا أكثر بروزا عنها قبل الحربين العالميتين وفى السنوات الأولى بعد الحرب العالمية الثانية . ولديها فرص حقيقية لممارسة تأثير أكثر فعالية على الدوام على حل مسائل الحرب والسلام . وفى هذا الخصوص ينبغى أن نلاحظ ابتعاد حتى بعض الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية عن بعض مبادئها السابقة وتبدى رغبة فى التعاون مع البلدان الاشتراكية ، ومع الشيوعيين حول المشكلات التى ترتبط أساسا بالمحافظة على السلام والنضال ضد الرجعية .

وقد دعمت كثير من الأحزاب الشيوعية مواقعها فى بلدانها . والعامل الجديد هنا هو أنه فى السنوات الأخيرة كسبت بعضها مواقع تواجهها بالمشكلات العملية لامكانية مشاركتها فى الحكومات . وفى عدد من الحالات يساعدها ذلك حتى الان فى ممارسة ضغط على البرجوازية تضطر ازاءه الدوائر الحاكمة فى تلك البلدان الى أن تعمل لها حسابا عند رسم ومواصلة سياستها الداخلية ، بل والخارجية كذلك .

ثالثا : حدثت تغيرات جوهرية فى منطقة حركة التحرر الوطنى .
والعامل الجديد هنا هو أن الاستعمار فى اشكاله القديمة يغادر المسرح ومع ذلك ، تحاول الامبريالية الدولية بعناد أن تكبح هذه العملية ، كما تشهد المحافظة المصطنعة على التوتر فى الشرق الأوسط ، والتطورات فى جنوب افريقيا ، وكذلك الأحداث فى زائير . بيد أن الامبريالية ، كما توضح التجربة ، لم تعد بقادرة على اعادة حركة التحرر الوطنى الى الوراء رغم أنه لايزال فى مقدورها فى بعض المناطق شن هجمات مضادة .

والبلدان التى كسبت الاستقلال السياسى تسعى بنشاط من اجل نظام عادل للعلاقات الدولية متحرر من التمييز والنهب الامبريالى . والعامل الجديد هنا هو أن زعماء عدد من البلدان حديثة التحرر التى اختارت الطريق الاشتراكى يتخذون خطوات لاقامة احزاب طليعية ثورية ويدافعون عن تطوير التعاون والتفاعل مع الحركة الشيوعية .

وسوف يتضح ، بالطبع ، أنه فى الوقت الذى نشير فيه الى النجاحات الجوهرية التى تم التوصل اليها خلال عمل دءوب من جانب الشيوعيين وكافة القوى التى تعارض الحرب وتعمل من اجل السلام والتقدم الاجتماعى ، لايغيب على المرء أن كافة العقبات القائمة فى هذا الطريق لم يتم التغلب عليها بعد ، وان كافة المشكلات لم تحل ، وانه رغم تضاؤل التهديد بحرب جديدة ، فان هذا التهديد لم يستبعد نهائيا . كما لايغيب على المرء أن الامبريالية رغم اضطرارها لأن تأخذ فى الحسبان الوضع المتغير ، لاتزال تحاول منع مواصلة تعزيز مواقع قوى السلام والديمقراطية والأشتراكية ، وحيثما أمكن تحاول الانتقام وعكس اتجاه الأحداث الدولية

وقد حفز ذلك الامبرياليين فى مختلف البلدان الى تنسيق جهودهم على نطاق دولى . ورغم أن تزايد حدة ازمة الامبريالية يؤدى بشكل محتوم الى منافسة واحتكاك وتنافضات أكثر حدة بين البلدان الراسمالية ، بين الاحتكارات الكبرى أو المجموعات الاحتكارية ، بما فى ذلك الاحتكارات متعددة الجنسية ، تسعى الامبريالية الدولية الى التوصل الى عمل دءوب عندما يتعلق الامر بمقاومة قوى التحرير الثورية ، ومعارضة السياسة الهادفة الى كبح سباق التسلح وتطوير الأمن الدولى الحقيقى .

وقدمت السنوات الأخيرة تأكيدات هامة مقنعة لحقيقة أن عدونا الطبقى يولى اهمية متزايدة لتنسيق استراتيجيته المعادية للشيوعية على نطاق عالمى . وهذا يتضمن نشاطا متزايدا من جانب ميكانيزمات مثل حلف الأطلنطى والسوق المشتركة ، كما يعنى كذلك مؤتمرات منتظمة لرؤساء الحكومات ووزراء الخارجية لحماية مواقع رأس المال الدولى ووضع سياسة مشتركة نحو البلدان الاشتراكية والنامية ، انه يعنى اجتماعات عديدة بين السياسيين على مختلف المستويات لمناقشة وتعديل الاستراتيجية والتكتيكات المشتركة فى النضال ضد الطبقة العاملة والشعب العامل فى كافة البلدان . وفى مثل هذه الظروف فان تدعيم التضامن الدولى ، والعمل الجماعى من جانب الأحزاب . الشيوعية والعمالية ، التى تجعل منها طبيعتها ، ونظرتها العالمية وموقعها فى البنية السياسية للمجتمع المعاصر حاملة لأفكار الأممية والتضامن ، يكتسب اهمية خاصة .

ويمثل ذلك أهمية اكثر ، وبخاصة لان المهام التى على الشيوعيين ان يحققوها فى المجال الدولى فى السنوات المقبلة تتخذ طابعا جديدا تماما . وتتميز المرحلة الحالية فى النضال من اجل تحقيق وتدعيم وتعميق الانفراج الدولى بحقيقة أنه يتعلق الان بالتوصل الى اتفاقيات خاصة بدرجة متزايدة حول المشاكل الحيوية للغاية بين بلدان تنتمى الى أنظمة اقتصادية اجتماعية متعارضة . وهذا فى حد ذاته يؤدى الى وجود تعقيدات .

بيد أن المصاعب الرئيسية تنبع من مصدر آخر . وهذا المصدر هو

مقاومة الامبريالية المتزايدة لعملية الانفراج ، وبخاصة فى المجال العسكرى ورغبتها فى الا تسمح بأى كبح لسباق التسلح ، الذى هو فى الحقيقة ليس سوى اعداد مادى للحرب .

وكما لم يحدث من قبل ، تصعد الامبريالية سباق التسلح ، وتضعه على مستوى لم يشهده من قبل . ان جانبين من جوانبه ليس لهما سابقة فى العالم الحديث . واحد هذين الجانبين هو التصعيد الهائل لقوة النيران وتطوير انماط وانظمة جديدة من اسلحة الابادة الشاملة ، والجانب الاخر هو العبء الاقتصادى الضخم الذى يلقيه ذلك على المجتمع حتى فى زمن السلم .

ومع ذلك يجب التشديد على عامل جوهرى آخر . فعن طريق تصعيد سباق التسلح تأمل الامبريالية ليس فقط أن تعكس الاتجاه نحو اعادة توزيع القوى العالمية لصالح السلام والاشتراكية وتستعيد تفوقها العسكرى انها تعتبر سباق التسلح كذلك كوسيلة لممارسة ضغط عسكرى سياسى على البلدان الاشتراكية والنامية . وهى تستخدمه فى محاولة لابطاء تطور الاقتصاد الاشتراكى وبالتالى معدل تقدم البلدان الشقيقة على طريق الاشتراكية . واخيرا ، فان سباق التسلح يعتبر أحد المظاهر الأساسية للاتجاه الذى يميز الامبريالية نحو عسكرة الحياة الاقتصادية والاجتماعية السياسية ، ووسيلة لتعزيز المواقع الاجتماعية والسياسية للقوى الرجعية العدوانية ، ووسيلة لابتزاز أرباح فائضة من الطبقة العاملة والفئات العاملة الاخرى فى المجتمع ، وعاملا يفاقم من ازمة الراسمالية .

وبالمقابل ، فان المعارضة الدائبة لكافة اشكال العسكرية تعتبر جزءا لاغنى عنه من الرسالة التاريخية للطبقة العاملة . فمنذ حوالى ٧٠ عاما مضت أيد لينين بنشاط الفكرة التالية فى قرار مؤتمر ستوتجارت للاممية الثانية حول النضال ضد العسكرية : « ان الطبقة العاملة ، التى تعتبر المصدر الرئيسى لتقديم الجنود ، والتى تقدم التضحيات المادية الرئيسية ، هى على وجه الخصوص عدو طبيعى للحروب ، لأن الحروب تتعارض مع هدفها فى خلق نظام اقتصادى قائم على المبدأ الاشتراكى ، مما سيضمن من الناحية العملية تضامن الشعوب » « المؤلفات الكاملة ، المجلد ١٥ ، ص ١٩٢ »

والنضال ضد سباق التسلح ومن اجل تعميق الانفراج هو احد المسائل الرئيسية للصراع ليس فقط فى مجال السياسة ، وانما فى الايديولوجية كذلك . وهدفه الرئيسى ، كما نرى ، هو ان الغالبية العظمى للشعب ينبغى :

— ان تدرك الخطر المتزايد لسباق التسلح « فقد ضعف ادراك هذا الخطر فى بعض الدوائر اخيرا » .

ـ أن تحاول تلمس حيل السياسة الامبريالية ، وتدرك حقيقة مناوراتها حول هذه المسألة .

ـ ان تدرك تماما ان الامبريالية هي السبب الحقيقي لسباق التسلح والنزعة العسكرية .

وهذا ضروري على وجه الخصوص لان العدو الطبقي يبذل كل مافي وسعه لالقاء اللوم عن مثل تلك التطورات على البلدان الاشتراكية .

لقد اعتبر الحزب الشيوعي السوفييتي على الدوام أن حماية السلام ، وتجنب حرب ذرية ومقاومة سباق التسلح مهمة يتحمل حيالها مسئولية اممية . وسباق التسلح الذى فرضته الامبريالية يجبر الاتحاد السوفييتي بالطبع على انفاق أموال ضخمة على تعزيز دفاعاته . بيد ان الحزب الشيوعي السوفييتي والدولة السوفييتية قد دافعا دون كلل ، ولا يزالا يدافعان عن الحد من سباق التسلح على أساس عادل ومتبادل .

وكما أكد ليونيد بريجنيف ، فانه اذا لم تجد جهود أكثر الدوائر الامبريالية عدوانية لتصعيد سباق التسلح ، ردعا مناسبا ((فان التهديد بالحرب سينمو مرة أخرى . ومثل هذا الخط خطر على كل شعوب الشرق والغرب وسوف يبذل الاتحاد السوفييتي كل جهوده لمواجهة ذلك ، وفضح مايتضمنه من أخطار .))

ان ازدياد حدة ازمة الراسمالية ، التى اصبحت كما يعترف الان على نطاق واسع ، اكثر خطرا على النظام الرأسمالي ، في عديد من الوجوه ، من الأزمات السابقة ، يطرح كذلك عددا من المسائل الدولية العامة .

وهناك اليوم مايكفي من الأدلة للحديث عن أزمة للنظام الاقتصادي الرأسمالي العالمي وأزمة السياسة الاستعمارية الجديدة . وسمة بارزة لصدمات الأزمة الحاضرة هو طابعها الدولي .

ويلاحظ أن هناك انتعاشا معينا في السوق في عدد من البلدان في الوقت الحاضر ، بيد أن ذلك لايعني أن الاقتصاد الرأسمالي قد تغلب على الازمة فالنمو المستمر للبطالة ، والتضخم وغيرهما من عمليات الأزمة تقدم الدليل على العكس . والهوة بين احتياجات الجماهير وبين تلبية هذه الاحتياجات تتسع على الدوام ، كما يزداد وضوحا عجز الطبقات الحاكمة وعدم رغبتها في أن تأخذ في الاعتبار احتياجات الناس العاديين ، كما يزداد التباين الاجتماعي وبصورة جلية . وهكذا فمازالت تعمل الأسباب الاجتماعية السياسية وكذلك الاقتصادية التى تدفع الجماهير للدفاع عن مصالحها بتصميم أكبر ؛ مما يترتب عليه جذب فئات اجتماعية جديدة في الحركة

النشطة . وتثرى اشكال الصراع الطبقى ، وفى المحل الاول ، يصبح الصراع الاقتصادى أكثر اندماجا على وجه الخصوص مع الصراع السياسى .

وقد وضعت الأحزاب الشقيقة فى العالم الرأسمالى نصب عينيها مهمة عدم السماح بحرمان الجماهير العاملة من المكتسبات التى حققتها فى النضال الطبقى العنيد لسنوات مابعد الحرب . وهى تسعى لدمج النضال ضد الأزمة مع النضال ضد تحكم الاحتكارات ومن اجل تغييرات اجتماعية اقتصادية عميقة ، من أجل التجديد الديموقراطى لحياة المجتمع فى جميع المجالات ، ومن أجل مصالح الطبقة العاملة ومن أجل الاهداف الاشتراكية . ويتركز اهتمام الاحزاب الشيوعية كذلك على ربط النضال ضد ظواهر الأزمة واثارها على الجماهير العاملة بالنضال من أجل الانفراج ، الذى تشف عن امكانية تطور عريض للتعاون الاقتصادى بين البلدان ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة .

والنتيجة الايديولوجية والسياسية الرئيسية للاحتدام الراهن لأزمة الراسمالية هى ان سمعتها تزداد سوءا كنظام اجتماعى فى أعين الجماهير العريضة . ومن المستحيل تجاهل ذلك ، كأحد الأسباب الرئيسية لصراع الايديولوجى والسياسى الشامل بين قوى السلام والاشتراكية وقوى الامبريالية ، والعدوان والرجعية ، والذى يزداد اشتعالا فى العالم . لقد انجذبت الى العمل جماهير غفيرة من الناس فى المنطقة غير الاشتراكية . وهذه النزعة الراديكالية حقيقة واضحة . ان المصالح الحيوية للجماهير العاملة تتطلب اجابة على المسائل الملحة لعصرنا :

ــ كيف ، وبأى طرق تناسب المصالح الاقتصادية والسياسية للجماهير العاملة يمكن ايجاد مخرج من هذه الأزمة التى تمسك بخناق النظام الراسمالى بكامله ، اقتصاده ، وسياسته ، وأيديولوجيته ، ومعنوياته ،
ــ كيف نتجنب خطر الحرب المباشر ونبنى سلاما وطيدا حقا ، سلاما ديموقراطيا حقا وعادلا ، وكيف نوقف سباق التسلح ،الذى يستنفدموارد هائلة يمكن أن تستخدم لجعل الحياة أكثر سهولة بالنسبة للجماهير العاملة

ــ كيف نستخدم مزايا المجتمع الجديد ، التى اكدتها الآن كل الممارسة الاشتراكية ، وكيف نحقق الفرص الموضوعية التى خلقتها للطبقة العاملة وحركة التحرر جبروت وهيبة الاشتراكية المعاصرة .

ولا غرابة فى ان السياسيين والايديولوجيين والدوائرالحاكمةللامبريالية بشكل عام تسعى بكافة الوسائل لمنع الجماهير من ادراك ان الحل الواقعى الطويل الاجل والوحيد لمشاكل الجماهير العاملة يكمن فى التحويل الاشتراكى للمجتمع . ان حقيقة أن البديل الاشتراكى قد يجذب على وجه

التحديد أقساما جديدة من الجماهير العاملة هو مايرعب الرأسمالية اليوم

وكل ذلك قد حفز الدوائر الحاكمة الامبريالية على التركيز بشكل خاص على الدعاية وغسيل المخ النفسى للجماهير العريضة فى العالم غير الاشتراكى ، وبخاصة الجماهير العاملة بروح العداء للشيوعية والعداء للسوفيت . ويهدف الهجوم الأساسى الى تشويه سمعة المثل العليا العظيمة للاشتراكية . وزرع عدم الثقة بين البلدان التى يطبق نحوها هذا الهجوم . ولهذا الغرض صعدالامبرياليون أخيراحملة ضخمةمعاديةللشيوعيةومعادية للسوفيت . وقد أقامت الامبريالية جهاز تخريب أيديولوجى ضد البلدان الاشتراكية لم يسبق له مثيل فى اتساعه حقا . ومما يلفت النظر ، أن احد التحركات الأولى للحكومة الامريكية الجديدة كانت المطالبة باعتمادات لاقامة ١١ محطة اذاعة قوية جديدة لاستخدامها للدعاية التخريبية ضد الاشتراكية القائمة .

والحملات المعادية للشيوعية والمعادية للسوفيت ، التى اتخذت ابعادا لم يسبق لها مثيل ، تدهش المرء باعتبارها امتهانا للمنطق السليم . والرأسمالية ، ذلك النظام الذى بذل كل مافى وسعه خلال الستين عاما الماضية للقضاء على الاشتراكية ، يتظاهر الان بانه مدافع عن تحسينها . والرأسمالية فى الواقع ، ضد الاشتراكية بالطبع ، وليست فى صف تحسينها ، وكم يكون مضحكا أن تختار من بين كل الأشياء ، حقوق الانسان باعتبارها مادة للتصدير . لأن الرأسمالية على وجه التحديد هى التى تنكر حقوق الملايين .

ومما له اهمية ، أن حملات الدعاية التى شنت فى الفترة الأخيرة ترتد الى نحورهم . فالجماهير العاملة وتنظيماتها التقدمية تتمسك بما يقوله حكام العالم الراسمالى وتقدم كشف حسابها ، مما يترتب عليه اجبار الحكام على النكوص عن تلك الاقوال ، وحتى تخفيف حملاتهم لفترة . والحزب الشيوعى السوفييتى يقدر عاليا العمل الذى يقوم به زملاؤنا الشيوعيون يوميا فى الخارج فى ظروف معقدة لفضح الدعاية البرجوازية ووضع الحقائق حول حقوق الانسان فى البلدان الاشتراكية أمام الجماهير فى بلدانهم .

وترفض الصحافة الاحتكارية الاشارة الى انه فى كل يوم يوضع عشرات ومئات الناس الابرياء تماما فى السجون فى بلدان ما يسمى « بالعالم الحر » وان المتظاهرين والمضربين يطلق عليهم الرصاص فى عديد من هذه البلدان . ومع ذلك نجدهم يتصايحون من فوق الأسطح عندما يقوم الاتحاد السوفييتى أو أى بلد اشتراكى آخر بمعاقبة هذا الفرد او ذاك – بما تمشى تماما وقوانينه – لنشاطه المعادى للاشتراكية والذى يضر بمصالح الشعب .

فلماذا تشن الحملات الحالية ضد البلدان الاشتراكية تحت الشعار المزيف للدفاع عن حقوق الانسان ؟

اولا ، لأن مقارنة واسعة ، وقد نقول مباشرة ، لحالة الأمور في العالم الرأسمالي مع التقدم الذي حققته البلدان الاشتراكية في الاقتصاد ، والعلوم ، والتكنولوجيا ، والثقافة ، ومستوى المعيشة قد تضع الامبريالية في موقف خاسر . ولدى البرجوازية فرصة اقل الان للمناورة الايديولوجية ومزايا الاشتراكية بشكل عام واضحة للغاية ، وبخاصة على خلفية الأزمة التي اصابت العالم الرأسمالي ، لدرجة أن مثل هذه المقارنة سوف تعزز من جاذبية النظام الاشتراكي لجماهير الناس .

وثانيا ، لأن مشكلة حقوق الانسان هي مشكلة حقيقية في العالم البرجوازي ، مشكلة تؤثر على مصالح ومشاعر الناس الذين يمتهن رأس المال حقوقهم ويقمعها . ولذلك تحاول الدعاية البرجوازية أن تبعد اللوم عنها ، وباثارة قضايا افراد ، تستطيع أن تؤثر على مشاعر الناس ، وأن تثير الرأي العام وتحول اهتمام الجماهير عن المعنى الاجتماعي للعمليات السلبية التي تجري في المعسكر الامبريالي ، وعن شروره وامراضه .

وفي هذا الخصوص ، أود أن أؤكد على الزيف والنفاق الكامل للدعاية البرجوازية التي تبرز قصة من يسمون بالمنشقين في البلدان الاشتراكية . والوسائل الرئيسية التي اختارها « المنشقون » لمقاومة النظام الاشتراكي هي النداءات المباشرة للدول الامبريالية لممارسة ضغط اقتصادي وحتى عسكري أكبر على البلدان الاشتراكية . وهذه المجموعة التافهة من الافراد الحقيرين الذين لا يمثلون احدا والذين قطعوا كل صلاتهم بشعبهم لا تهتم على الاطلاق بمصير الاشتراكية ، كما تدعي الصحافة الامبريالية . ونقد « المنشقين » للاشتراكية سلبي ومعاد تماما . انه في الحقيقة شكل من الصراع ضد النظام الاشتراكي ، ضد الشيوعية . وانه لمنطقي تماما أن « المنشقين » ، عندما يجدون انفسهم خارج البلدان الاشتراكية ، يتخلون تماما عن شعاراتهم الديماجوجية دفاعا عن الحرية ويعلنون صراحة عن تعاطفهم مع أعداء الشعوب الالداء ، وعن الرجعيين الدوليين الاكثر افتضاحا

وليس هناك جديد بالنسبة لاستخدام الامبريالية لحثالة المهاجرين لأغراض معادية للشيوعية ، ومعادية للسوفيت . وعندما هزم الغزاة الامبرياليون والحرس الأبيض في الحرب الأهلية ، منذ أكثر من نصف قرن مضى ، هرب كثيرون من الحرس الابيض الى الغرب . وفي ١٩٢١ ، ١٩٢٢ ، كان هناك من مليون ونصف الى مليونين من المعادين للثورة النشطين يغمرون باريس ، وبرلين ، واستانبول . وعواصم بلدان برجوازية اخرى وواصلوا كفاحهم من هناك ضد بلاد السوفيت . بيد أن حزبنا ، والأحزاب الشيوعية الفتية

في البلدان الرأسمالية ، من جانبها ، تغلبت على الهجوم ، وتلاشي الهجوم الخبيث للحرس الأبيض . والوضع الان مختلف تماماً . « فالمنشقون» اليوم مجرد عدد محدود من الافراد . بيد ان الامبرياليين بخلقهم اساطير دعائية حول وجود معارضة في بلادنا ، يعتمدون على جهل الناس ويستخدمون هذا العدد المحدود من الافراد للاعلان .

وهناك مع ذلك جانب آخر للحملات المعادية للسوفييت والمعادية للاشتراكية . ونحن نشير الى محاولات رجال الدولة في الغرب للتدخل في شئون الاتحاد السوفيتي الداخلية . وبالتأكيد ، فان هذه المحاولات لا يمكن ان تؤثر على سياستنا الداخلية ولكنها تسمم بالتأكيد المناخ الدولي لقد رفض الحزب الشيوعي والحكومة السوفيتية هذه المحاولات وسوف يرفضونها على الدوام .

ان غاية وغرض حملات اليوم المعادية للاشتراكية واضحة لكل شخص ناضج سياسيا . وكما هو معتاد وجهت الامبريالية سهام نضالها ضد احزاب البلدان الاشتراكية والاسرة الاشتراكية في مجموعها . وخلف هذه الحملات توجد عناصر تود أن تفرض تغييرات سياسية جوهرية على البلدان الاشتراكية كشرط لاستمرار الانفراج . ويستخدم المرتدون من البلدان الاشتراكية وكذلك مشكلة « المنشقين » بصراحة كوسيلة لتعطيل مزيد من الخطوات نحو الانفراج ولنسف الطريق الى علاقات دولية ترتكز على التعايش السلمي .

ويكشف تحليل الدعاية الغربية أن تكيفها مع الوضع المتغير ادى الى ظهور عناصر جديدة في طرق واساليب تأثيرها على الرأى العام . فقد اصبحت الدعاية البرجوازية أكثر تركيزا ، وهي توجه ضرباتها الى اهداف اقل ولكنها تجعلها أكثر قوة لتحقيق اثر اكبر . وجدير بنا أن نشير بشكل خاص الى أن هذه الدعاية مخططة ومنسقة بعناية على المستويين القومي والدولي

وفي هذه الظروف ، يولي الحزب الشيوعي السوفيتي اهمية خاصة لتشديد المقاومة ضد الحملات الايديولوجية والسياسية التي اطلقتها الامبريالية ضد الاشتراكية العالمية ، والحركة الشيوعية الدولية وضد أحزاب مفردة . ولذلك يعتبر حزبنا أن من المهم تنسيق عمله بدرجة اكبر مع عمل الأحزاب الشقيقة الأخرى في الهجوم الايديولوجي ضد الامبريالية في فضح طبيعتها الطفيلية المعادية للشعب ، وفي توضيح مزايا النظام الاشتراكي .

ان خبرة ستين عاما مضت منذ انتصار الثورة الإشتراكية في روسيا تقدم دليلا لايتطرق اليه الشك على أن الامبريالية تستخدم على الدوام

معاداة السوفيت كسلاحها الرئيسى ضد الحركة الشيوعية وكافة القوى التقدمية . وتهدف الهجمات الامبريالية على البلدان الاشتراكية الى احياء الطابع المعادى للديموقراطية للنظام الراسمالى ذاته . والحملات المعادية للاشتراكية ليست سوى واجهة لنشاط يهدف الى تعزيز الرجعية فى مختلف المجالات . انها مسالة الهجوم العنيف المباشر على الاحزاب الشقيقة وتصعيد الكفاح ضد الحركة النقابية ، ومنع اليساريين من القيام بوظائف معينة ، واخضاع الموظفين « لاختبارات الأمن » وممارسة التمييز العنصرى وغيره من أنواع التمييز . وتبدو هناك دلائل مزعجة فى عدد من البلدان الرأسمالية ، لنمو خطر الفاشية ، وخاصة فى تلك البلدان التى اصبح للأزمة فيها ابعاد عميقة . ويتضمن الكفاح ضد الديموقراطية والحرية محاولات ارهاب السكان بالحديث عن « تهديد » سوفيتى ، وشيوعى بشكل عام .

والامبرياليون بتشويههم للواقع الاشتراكى ومحاولتهم الحط من شأن منجزاتنا يبذلون كل مافى وسعهم كذلك لتشويه الأفق الاشتراكى والنيل من سمعة المثل العليا الاشتراكية ، كى تبعد الجماهير عنها وتعرى الاساس الايديولوجى للحركة الشيوعية .

وتهدف الحملات المعادية للاشتراكية بثبات الى تقويض نفوذ الشيوعيين فى البلدان الراسمالية ، واضعاف صلاتهم بالقوى الاجتماعية والسياسية الاخرى . وكل من هذه الحالات تشجع القوى المعادية للشيوعيين وتعرقل الكفاح من اجل مساندتهم بين الجماهير .

والاشتراكية القائمة ليست فحسب مصدر قوة مادية وسياسية ومعنوية عظيمة لطبقة عاملة اصبحت فى بلادها القائد السياسى للمجتمع. ولكنها فى نفس الوقت مصدر قوة عظيمة للطبقة العاملة العالمية فى مجموعها .

والاشتراكية القائمة ، سواء نظريا او عمليا قد وفرت الحرية من سلطة راس المال ومن استغلال الانسان للانسان ، الحرية من استخدام الناس فى حروب مدمرة للعدوان تشن لصالح الامبريالية ، الحريةمن القهر الاجتماعى والتمييز العنصرى .

لقد وفرت الاشتراكية حقوق الانسان المضمونة التى يعتد بها ، نحق العمل والتعليم والامن الاجتماعى والعناية الطبية المجانية وحق الراحة والاستجمام . والغت العداوات الطبقية فى بلادنا ورفعت تعليم الشعب ومستواه الثقافى لدرجة كبيرة ، مما يساعدهم على المشاركة بشكل أكثر كفاءة و فاعلية فى ادارة كافة الشئون العامة . لقد ضمنت الحرية الحقة للكلام والصحافة التى يستفيد منها ملايين وملايين المواطنين السوفيت بشكل فعال .

وتعزيز الديموقراطية الاشتراكية وتطويرها في كافة المجالات ـ السياسية والاجتماعية والسياسية على السواء ـ هو احد الخطوط الرئيسية لعمل الحزب . وهذا ماعبر عنه بجلاء الاجتماع الموسع الأخير للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي في مايو ١٩٧٧ ، الذي ناقش مشروع الدستور الجديد للاتحاد السوفيتي ووافق عليه في اتجاهاته الأساسية . وقد أوضح ليونيد بريجنيف السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي بأسلوب علمي الحاجة الى الدستور الجديد ، ومغزاه السياسي الداخلي والدولي الكبير . وقدم موجزا مطولا لهذا المشروع للقانون الاساسي لدولتنا ، مشيرا بصورة خاصة الى انه يعمم كل التجربة الدستورية للاتحاد السوفييتي كما يستند الى خبرة التطور الدستوري المتراكمة في البلدان الاخرى للاسرة الاشتراكية . واكد الرفيق بريجنيف « ان العناصر الرئيسية الجديدة في المشروع تهدف الى توسيع وتعميق الديموقراطية الاشتراكية » . والمناقشة الحرة والجادة على نطاق البلاد للمشروع والتي تجرى الآن في الاتحاد السوفيتي بمشاركة عشرات الملايين من الناس ، تقدم للعالم صورة واضحة للديموقراطية الحقة لمجتمع اشتراكي متطور في التطبيق .

وهذا هو عام الذكرى الستين لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى وقد اتخذت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي قرارا خاصا يحدد الخطوط الرئيسية للعمل الايديولوجي والسياسي في بلادنا بمناسبة هذه الذكرى والتدابير العملية المرتبطة بها . ويشير الشيوعيون السوفيت بارتياح الى أن عديدا من الأحزاب الشقيقة قد اتخذت كذلك قرارات خاصة وبدأت الاعداد على نطاق واسع . ونحن نرى في ذلك تعبيرا عن اعتراف الحركة الشيوعية العالمية بالعلاقة بين مصالحها القومية وبين الافكار التي بدأت ثورة اكتوبر تجسيدها ، وكذلك تعبيرا عن تضامنها التقليدي مع نضال شعبنا من اجل الاشتراكية والشيوعية .

وتبذل الدعاية الامبريالية جهودا متزايدة مع مرور السنين كي « تعطى طابعا روسيا » لثورة أكتوبر ، عن طريق انكار الجوانب المعترف بها عالميا لتجربتها وادعاء أن تلك التجربة قاصرة على الظروف الروسية المتميزة . ولا يحتاج الأمر الى كثير من البصيرة لرؤية أن الهدف هو تشويه سمعة المثل العليا للحركة الشيوعية بشكل عام ، المثل العليا التي لاتنفصل عن اكتوبر والتي يعتبر ترجمتها الى واقع المهمة الاممية المشتركة لكافة الاحزاب الشيوعية والعمالية .

وتتميز المرحلة الراهنة للعملية الثورية العالمية بالتنوع الواسع لاشكال النضال التي تستخدمها الطبقة العاملة والأحزاب الشيوعية والعمالية في القسم غير الاشتراكي من العالم . والصراعات الطبقية والتحررية تشتد وتتصاعد ، تارة في ركن من العالم ، وتارة في ركن آخر . وخلال السنوات القليلة الماضية اكتسبت القوى الثورية في كافة البلدان خبرة

جديدة ومتنوعة . وهذه الخبرة تدرسها بشكل وثيق على أساس نظـرى الأحزاب الشيوعية ، التي ترسم خطوطا مرشدة استراتيجية وتـكتيكية جديدة تنطبق على المرحلة الحالية للحركة الثورية وعلى الواقع القومي في بلدانها .

ويقدر حزبنا هذا العمل الواسع والهام . ولهذا السـبب يعتبر من الجوهرى الترويج لمكتسبات الاحزاب الشيوعية في البلدان الاخرى ، مؤكدا أنها تشكل مـساهمة هامة لقضيتنا المشتركة ـ القضية التى يحملها على عاتقه الشعب السوفيتي بالمثل ـ للنضال ضد الحرب والسياسة الامبرياليـة للعدوان والاملاء ، ومن أجل السلام الوطيد والامن والتقدم الاجتمـاعى للشعوب . وحزبنا بدوره يشارك بدور نشط في التبادل الجماعي الخبرة ويساهم في دراستها من وجهة نظر اممية .

ان كثيرا من المشاكل السياسية والايديولوجية تواجه الشيوعيين في مختلف البلدان اليوم . وهى تتضمن التمكن من كافة أشكال النضـال ، سواء تلك التي اختبرت من قبل أو الجديدة منها ، بهدف دفع قضـية الثورة ، والدفاع عن مكتسباتها ، والحاجة الى الاهتمام الكبير بتفاعـل العوامل الخارجية والداخلية في تطور العملية الثورية ، والبحث عن أكثر الوسائل فعالية كى تتمشى الاهداف العاجلة للصراع الطبقى مع النضـال من أجل مستقبل اشتراكى . وتواجه الأحزاب الشيوعية كذلك مشـكلة تدعيم صفوفها على أساس مبادىء الماركسية اللينينية ، وتوسيع نفوذها بين الطبقة العاملة وربط هذا العمل مع تطوير تحالفات طبقية على أساس عريض ، والربط بين مسئوليتهم السياسية المتزايدة على المستوى القومى وممارسة دورهم كفصيلة في الحركة الشيوعية العالمية ، التى يسخر دورها ومسئوليتها في عالم اليوم في التزايد . وهناك ايضا مشاكل عديدة تتعلق بتعميم خبرة البلدان ذات المنحى الاشتراكى .

وليس سرا أن هناك اراء مختلفة بين الاحزاب الشـيوعية حول بعض المسائل الايديولوجية والسياسية . كما انه ليس سرا ان الامبرياليـين يعتمدون على تزايد عمق الخلافات في الراى داخل الحركة الشيوعية . وهم يبذلون كل مافي وسـعهم لتوسيع هـذه الخلافات واستغلالها لاهدافهم الطبقية . وهم في ذلك يعتمدون على اضعاف وحدة الحركة الشـيوعية ووضع الاحزاب الشقيقة في البلدان الراسمالية في تعارض مع مثيلاتهـا في البلدان الاشتراكية .

وبنفس الاهداف في الاعتبار ، تبذل الجهود لوضع فكرة المستقبـل الاشتراكى لبلدانهم الذى تطوره الاحزاب الشيوعية ليلائم ظروفهم القومية الخاصة ، في تعارض مع الاشتراكية كواقع . وحزبنا لم يعتبر على الاطلاق ان الاشتراكية القائمة قد حددت بالفعل كل قمم مثلنا الاعلى الاجتماعى ،

والا لما كان هناك سبب لأن نتقدم ببرنامج للانتقال الى الشيوعية . وهكذا فان انتقاد الاشتراكية القائمة من موقع مجرد أمر لا مبرر له . ومن ناحية أخرى ، فان المنجزات التاريخية التى لاتبارى يمكن ان تكون عاملا يعتمد عليه فى النضال من أجل التقدم الاجتماعى ومن اجل الاشتراكيــة فى مختلف اجزاء العالم .

ان الحاجة الحيوية للتعاون الأممى على أساس الافكار العظيمة لمــاركس وانجلز ولينين معترف بها عالميا فى الحركة الشيوعية . وموقف الحــزب الشيوعى السوفيتى حول هذا الموضوع يظل دون تغيير . وقــد حــدد شكل كامل الرفيق ليونيد بريجنيف فى خطابه الى مؤتمــر الاحــزاب الشيوعية والعمالية الذى عقد فى برلين منذ عام مضى ، حيث قال :

((ان كل حزب شيوعى انبثق من حركة الطبقة العاملة فى البلد الذى يعمل فيه . وهو مسئول كذلك عن نشاطه اولا امام الجماهير العاملة فى بلده ، التى يعبر عن مصالحها ويدافع عنها . وهذا مايوفر الاساس للتضامن الدولى للشيوعيين ... اما فيما يتعلق بالاممية البروليتارية ، أى تضامن الطبقة العاملة وشيوعى كافة البلدان فى النضال من أجل الاهــــــداف المشتركة ، وتضامنهم مع نضال شعوبهم من اجل التحرر الوطنى والتقــدم الاجتماعى ، والتعاون الاختيارى بين الاحزاب الشقيقة التى تحترم بدقة استقلال كل منها والمساواة بينها ، فنحن نعتبر انمثل هذا التضامــن الرفاقى الذى كان الشيوعيون حملة ألويته لاكثر من مائة عام ، يحتفظ بشكل كامل بمغزاه العظيم حتى يومنا هذا . لقد كان ولا يزال سلاحاقويا ومختبرا للاحزاب الشيوعية وحركة الطبقة العاملة بشكل عام))

وهذا ما تؤكده بقوة الخبرة التى اكتسبها كل حزب شيوعى وحركتنا فى مجموعها . فخبرتها تعلمنا أن نجاح قضية السلام والاشتراكية وتقدم كافة الاحزاب الشيوعية بشكل عام وكل منها بشكل خاص لاينفصل عــن وحدة الشيوعيين ودرجة التفاعل التى يتوصلون اليه، فى تحقيق المهــــام الاممية . وهى تعلمنا كذلك أن اضعاف هذا التفاعل قد يضر ضررا بالغــــا بتقدم الانفراج والنضال ضد خطر الحرب ، وكذلك بالمصالح الطبقية لحركة الطبقة العاملة الثورية .

ان حزبنا ، الذى ينطلق من قرارات مؤتمره الخــــامس والعشرين ، سيواصل العمل بثبات من أجل تفاعل وتعاون أخوى أوثق بين الاحــزاب الشيوعية والعمالية على النطاق الدولى ، ومن اجل مزيد من وحدة الحركة الشيوعية العالمية على أساس مبادىء الماركسية اللينينية والاممية البروليتارية

شيلى

الدور السياسى للطبقة العاملة

بقلم : جلاديس مارين

لم يكن تولى حكومة الوحدة الشعبية للسلطة فى شيلى تطوراً قائماً على الصدفة ، أو نتاجا لخطأ فى الحساب من جانب الرجعية ، كما اعتقد البعض . لقد كان انتصارا ناتجا عن العمل الموحد من جانب الشعب لعبت فيه الطبقة العاملة الدور القيادى ، وعن نضال طويل .

وكان ذلك عندما زاد التحالف الاشتراكى الشيوعى قوة وتشكل المركز العمالى الموحد الذى تمت تحت قيادته اضرابات ضخمة لمطالب اقتصادية وسياسية . وحارب الفلاحون بطريقة منظمة من اجل الارض وسكان المدن من اجل المسكن ، وتطورت حركة واسعة وقوية للطلبة والعناصر الاكاديمية من اجل اصلاح الجامعة ، وباستخدام اشكال جديدة ، انضم الشباب بجراة تتمشى مع سنهم الى النضال الذى تحددت اهدافه بالحاجة الى التغيير الثورى . وعلى وجه الخصوص ، فقد وسعت الحريات السياسية فى هذه السنوات ، واشيعت الديموقراطية فى حياة البلاد وازداد النضوج السياسى للشعب . وشكل النضال السياسى وعيهم السياسى ، عندما ساندوا خلال المعركتين الانتخابيتين عام ١٩٥٨ ، ١٩٦٤ ، ترشيح سلفادور الليندى للرئاسة .

وسياسة حزبنا الصائبة فى ظل حكم الديموقراطيين المسيحيين ـ سياسة توحيد كافة التقدميين والديموقراطيين بين قوى المعارضة وفى الحكومة ومقاومة كافة الرجعيين فى الحكومة وبين المعارضة ـ ساعدتنا على أن نوضح للجماهير أن وعود الحكومة خادعة وأن نجذب انتباههم الى المشاكل السياسية والاجتماعية الملحة . وهذه المشاكل التى اثارت اكثر مجموعات السكان تباينا ، هى استعادة موارد شيلى الطبيعية ، وأساسا مناجم النحاس الهامة ، واصلاح حقوق الملكية ، ووضع حد لنظام الضياع اللاتيفوندية من خلال اصلاح زراعى بعيد المدى ، وخلق وظائف جديدة ، وانهاء التخلف واتخاذ خطوات لضمان تطور البلاد كدولة مستقلة ذات سيادة .

واصبح الاقتناع بان شيلى تحتاج الى تغييرات اقتصادية واجتماعية وسياسية بعيدة المدى جزءا من الوعى لمعظم الشيليين . ووجد انعكاسه فى سياسة الاحزاب التى انضمت فيما بعد الى الوحدة الشعبية وفى مشاعر معظم الديموقراطيين المسيحيين والمستقلين .

وفى هذا الجو العاصف فى أواخر ١٩٦٩ ظهرت الكتلة السياسية للوحدة الشعبية الى الوجود . وكان برنامجها يتمشى ومصالح غالبية السكان ويدعو الى تغييرات عميقة فى المجتمع الشيلى .

ويرجع قيام الوحدة الشعبية اساسا الى الشيوعيين . فلقد كان للحزب برنامج سياسى يبرز الحاجة الى تحالف عريض للقوى التقدمية لعزل الرجعية .

وقدم الحزبان الاشتراكى والراديكالى والديمقراطيون المسيحيون الذين انسحبوا من حزبهم ليشكلوا حزب حركة العمل الشعبى الموحد مساهمة حاسمة لتشكيل الوحدة الشعبية .

ان انتصار ٤ سبتمبر ١٩٧٠ حققته أولا الطبقة العاملة والفلاحون الاكثر تقدما فى تحالف مع القوى الثورية للبرجوازية الصغيرة الحضرية وقسم هام من الفئات الوسطى . ولتحقيق مزيد من التقدم الى الامام ، كان من الضرورى تدعيم التحالف بزيادة الدور القيادى للطبقة العاملة وتعزيزه بحلفاء من مجموعات سكانية جديدة .

وارتكزت سياستنا للتحالف على دراسة عميقة للوقائع . فالسيطرة الامبريالية ووجود أوليجاركية احتكارية فى الارض تتعارض مصالحها مع مصالح الغالبية الساحقة من السكان كانت هى أساس التناقضات الرئيسية التى كان لابد من حلها فى شيلى . وكانت الطبقة العاملة فى حاجة الى الاتفاق مع كافة الفئات الاجتماعية التى تأثرت مصالحها بالسيطرة الامبريالية

والاوليجاركية المحلية او على الاقل محايدة هذه الفئة او تلك . وكان لدى القوى الشعبية خبرة معينة يمكن أن تساعدها فى التوصل الى هذا الهدف . وقد نمت بشكل ملحوظ نتيجة للتحالف الذى شكلته التيارات الايديولوجية المتباينة ـ الماركسيون ، والمسيحيون ، والعقلانيون ـ لانتخاب الليندى كرئيس . وتطور التحالف بسرعة نتيجة البحث المستمر عن أرض مشتركة ، مع التأكيد على ما يفيد الوحدة فى النضال ضد العدو المشترك ويقوى من نضالية الشعب . وتشكلت حوالى ١٥٫٠٠٠ لجنة فرعية خلال المعركة الانتخابية .

وفى هذه الظروف ، كان من الضرورى التقدم الى الامام واضعين فى الاعتبار بشكل ثابت قول لينين « ان اقوى عدو يمكن هزيمتهفحسب ببذل اقصى جهد ، وبالاستخدام الاكثر دقة وحرصا وعناية ومهارة والزاما ، لاى بل لاقل انشقاق بين الاعداء ... والاستفادة كذلك من اى ، بل اقل فرصة لكسب حليف جماهيرى ، رغم أن هذا الحليف قد يكون مؤقتا ، متذبذبا ، غير ثابت لا يعتمد عليه ومرتبطا بشروط معينة » .

ولمواصلة سياسة مشتركة تجعل من الطبقة العاملة محورا وقوة دافعة للتغير الثورى ، كان من الضرورى تدعيم وحدة الطبقة العاملة نفسها ثم وحدة كل العاملين بأجر ، التى كان عليها بدورها أن تساهم فى تشكيل تحالف قومى عريض للقوى الشعبية حول الطبقة العاملة . وارتكز هذا التحالف من الناحية السياسية على وحدة العمل بين الاشتراكيين والشيوعيين . وتطورت الوحدة النقابية بتشكيل المركز النقابى الموحد . وظهر تأثير القوى الثورية القوى على الجماهير العاملة ، عندما تأسس المركز النقابى الموحد عام ١٩٧٢ وانتخبت قيادته بالتصويت المباشر . وساندت مجموعات كبيرة من الناخبين (٣٢٫٥ ٪ على التوالى) النقابيين الشيوعيين والاشتراكيين ، وفاز الراديكاليون بـ ٤٫٧ ٪ .

ومن الناحية الاخرى ، اوضح التصويت ان الحزب الديموقراطىالمسيحى لا يزال قوى النفوذ بين الجماهير العاملة « فقد حصل على ٢٥٫٩٪ من الاصوات) وانه رغم تكثيف العمل التنظيمى بدرجة كبيرة ، كانت اعداد كبيرة من ذوى الاجور والرواتب لا يزالون غير منتظمين . ثم هناك العديد من المؤسسات الصناعية الصغيرة والورش الحرفية ، التى تستخدم ٣٩ ٪ من قوة العمل الصناعية ، وفقا لاحصاءات ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ . وكان هناك كذلك النمو السريع لنسبة العاملين باجر نتيجة لتدفق العمل من الفئات والطبقات الاجتماعية الاخرى ، وخاصة من بين الفلاحين ، وكذلك الى تدفق الشباب الذين يبدأون لتوهم حياة العمل ، وزادت قوة العمل القومية حوالى ٢٦ فى خمس سنوات فقط (١٩٦٦ ــ ١٩٧١) . وهاتان الواقعتان تطلبتا تعزيز القوى فى الحركة النقابية والجهود الدعوية للتنوير الاجتماعى للذين انضموا الى صفوف الطبقة العاملة .

وخلال عملية التغيير هذه ، لم تكن مهمة سهلة ان تكسب غالبية الجماهير العاملة . وارتكبت العديد من الاخطاء . ولناخذ المجال الاقتصادى ، مثلا . فقد أدت التقديرات الخاطئة فى سياسة الوحدة الشعبية ، الى أن يولد بشكل خاص اتجاه نحو انفاق تبديدى لا تتناسب وامكانيات البلاد . وظهرت سياسة تحديد الاسعار مقابل مطالب اقتصاديات مغال فيها تعارضت مع برنامج زيادات الاجور التى استهدفتها حكومة الوحدة الشعبية والنقابات وبينما نصت خطة ١٩٧١ على زيادة قدرها ٤٠ ٪ (زادت عن نمو الاسعار) ، بلغت الزيادة الفعلية فى المتوسط أكثر من ٥٠ ٪ . وعلى عكس السياسة التى وضعتها الحكومة ، رفعت عديد من المؤسسات الاجور حوالى ١٠٠ ، أو ٢٠٠ ، أو حتى ٥٠٠ ٪ زيادة على مؤشرات الخطة . واعتمدت الرجعية على هذا التخطيط لمواصلة سياسة اشاعة عدم الاستقرار ، كما كان متوقعا فحسب . وحتى هؤلاء الذين عارضوا مطالب الجماهير العاملة على الدوام ، ساندوا الان بحماس أكثر المطالب غير معقولية .

واحد العراقيل الاخرى بالطبع ، هو ان بعض الدوائر النقابية التى تساند الحكومة عجزت عن ان تدرك أن الوضع قد تغير . لقد تشبثوا بشعارات الماضى التى تدعو الى الاضرابات الاقتصادية . واستفادا من الاهتمام الذى أولته القيادة القومية الجديدة لحاجات الجماهير العاملة ، وكذلك من تخفيف أساليب أرباب الاعمال التعسفية .

وتوضح التجربة أن المطالبة بظروف اقتصادية افضل ، وغيرها من المطالب الخاصة ، التى تعبر بشكل عام عن نضال الجماهير العاملة ضد الطبقات الحاكمة يمكن أن تستخدمها تلك الطبقات الحاكمة لاهدافها الخاصة اذا لم تتبصر الجماهير العاملة بالوضع الشامل خلال تشكيل حكومة شعبية .

وتوضح احداث شيلى كذلك أن الانتهازية اليمينية واليسارية يمكنهما ان يلتقيا موضوعيا فى مثل هذه الظروف . وليس هذا مصادفة، على ما نعتقد ولكنه أمر ملازم للغاية ومن الممكن ان يحدث فى الظروف الحاسمة . ان المنافسة بين الاتجاهات اليسارية واليمينية المتطرفة داخل وخارج الطبقة العاملة على صياغة الشعارات المتطرفة كانت دليلا جديدا على الحاجة الى مقاومة الانتهازية .

وتبين تجربتنا أن مثل هذا الكفاح ، بدلا من ان يضعف وحدة عمل وتماسك الجماهير العاملة ، انما هو شرط لازم لوحدتها ويساعد هؤلاء الذين تاثروا بالانتهازية على الانخراط فى الحركة الموحدة . ان مخططات المتآمرين للقيام بانقلاب ، ساعدت بشكل كبير إضرابات أرباب الاعمال فى أكتوبر ١٩٧٢ ويوليو ـ اغسطس ١٩٧٣ ، واستندت الاتجاهات الانتهازية على العوامل

التى ذكرناها ، تركيب قوة العمل ذاتها فى شيلي ، ووجـــود جماعات غير منتظمة ولا مبالية بالسياسة فى هذه البنية وتدفق قوة عمل جديدة لهـــا أيديولوجيتها الخاصة . وبالاضافة الى ذلك ، ارتكبت القوى الثـــورية أخطاء فى نشاطها بين الجماهير العاملة . وكان للانتهازية اليمينية واليسارية المتطرفة سند جماهيرى معين ، قوى بما فيه الكفاية ، رغم أنه غير كبير للغاية

ولدفع العملية الثورية ، كان لابد ، الى جانب النضال الايديولوجى ضد التأثيرات الغريبة على الطبقة العاملة ، العمل على ضمان أوسع مشـــاركة للجماهير العاملة فى الادارة الاقتصادية ، فى الحكومة ، وفى نشاط كل قطاع اجتماعى . وبالتالى ، فقد طرح حزبنـــا مرارا مسألة سياسة الطبقـة العاملة فى مجرى التحولات الاقتصادية فى شيلى . وأعتقد أنه من المهم أن تقدم فكرة عن موقف الحزب الفعلى من هذه المسألة .

« ان معركة الانتاج لن تكون معركة مالم تكن هنـاك خطط معينة ، وأهداف محددة ومشاركة حقيقية للجماهير العاملة . وعندما نتحدث عن الخطط ، فاننا لانعنى التقديرات غير النهائية ، ولا صياغةالتنبؤاتبالمقاييس المعتادة فى ظل الراسمالية . اننا نتقدم بخطط تضع مهاما محددة وتحـوى تقديرات بخصوص الانتاج والتسويق والاستثمار والتمويل ، وقـــوة العمل وانتاجية العمل ، ومتوسط الاجور ، والصادرات والواردات ،والاجراءات الاجتماعية والثقافية ، واستخدام الفوائض . وبدون مثل هذه الخطط، لا يمكننا أن نصل الى الاستقرار المنشود لرفع الانتاجية وضمان أن تعمل مؤسسات القطاع العام لتحقيق أرباح .

« ان وضع وتنفيذ تلك الخطط لا ينبغى أن ينظر اليها كشىء بيروقراطى. بل ينبغى أن تشكل عملية تشكل فيها الخطوط المرشدة المعدة وفقا لمقياس علمى أساسا لصناعة القرارات ، مع أوسع مشاركة للجماهير العاملة .ويجب ان تحدد الخطط مهاما جزئية شهرية ، حتى يمكنان يفهمها كلعاملوكل تكنيكى وحتى نضمن تنفيذها . وينبغى أن تقدم مجالس الادارة تقارير الى اجتماعات العمال العامة شهريا حول التقدم فى تنفيذ الخطط . وبدلا من ارهاب أصحاب الاعمال ، وتقديم العمال لمطالب ، ينبغى تمهيد الطريق فى القطاع العام والمختلط للانفاقات الديموقراطية حول خطط الانتاج والاجور ، وأن توضع مشاريعها بالتعاون مع النقابات باعتبارها النافعة عن ارادة الطبقة العاملة فى دورها الجديد كقوة قائدة للبلاد تتحمـل المسـئوليات الثورية والوطنية » .

وسياستنا لم تصغ فحسب وفقا لقواعد عامة . وقد بذلالكثيرلوضعها فى التطبيق . وسجلت مكاسب لا يتطرق اليها الشك ، مثلا ،فى اليارور، وبروجرسو للنسيج ، وماديكو ، وسوكوراً ، وانمار ، وغيرها من المؤسسات

التى أديرت بكفاءة وفقا للخطوط المرشدة العامة للحكومة ، وحيث أصبحت مشاركة العمال فى الادارة حقيقة واقعة ، وساهم ذلك فى تنظيمات وتشغيل افضل وأرباح أكبر . وجدير بالذكر كذلك أن نشير الى الجهود التى بذلت لتنظيم تشغيل الآلات ، وتخطيط الانتاج ، والحوافز المادية ، والاستخدام المخطط للارصدة الاجنبية فى القطاعين العام والمختلط .

وكانت الخطوات التى اتخذتها حكومة الليندى فى هذا المجال ذات مغزى تاريخى اذا ما نظر اليها على خلفية وضع شيلى فى ذلك الوقت . ومع ذلك ، فاننا نراها ، من وجهة نظر اليوم ، محدودة للغاية .

لقد نجحت الحكومة فى اشراك الجماهير العاملة فى الادارة فى العديد من المؤسسات . وخلقت قنوات توزيع جديدة وكان للنقابات كلمتها فى المشاكل القومية الهامة ، وكان ذلك هاما لتقدم البلاد كما ساعد على تعزيز الوعى الاجتماعى للجماهير العاملة وادخال اشكال جديدة من انضباط العمل ليحل محل الانضباط القائم على الاستغلال الرأسمالى ، ونجحت الحكومة أكثر من أى مكان اخر حيث تحمل العمال مسئولية أكبر فى الادارة . ولكن حيث لم يقوموا بذلك وقفت الحكومة ضد مظاهر الفوضى التى أضرت بالانتاج ، واضعفت من هيبة الحكومة ، وهذا هو الاكثر خطورة . وحال ذلك دون أن يستخدم لصالح الشعب مزايا التغييرات البنيوية المبكرة التى نفذت فى البلاد . وكان لتطبيق اشكال جديدة لمشاركة العمال فى الادارة خارج النقابات بالمثل أثر سلبى ، لانه عطل مشاركة العمال الفعلية فى الادارة وادى الى الفكرة الخاطئة القائلة بأن النقابات يجب الا يكون دورها مقصورا على تحديد المطالب الاقتصادية .

ومع ذلك ، فالى جانب الاتجاهات التى تقلل من مشاركة العمال فى الادارة تطورت اتجاهات عديدة أخرى ساهمت فى وحدة العمال ويقظتهم . والاستنتاج الذى برهنت الممارسة الثورية على صوابه ، والقائل بأن هذه التغييرات يحتمل أن تزيد بسرعة من الوعى الاجتماعى للشعب ، قد أكدته التجربة الشيلية . ولعبت الطبقة العاملة الدور الحاسم فى أوضاع كانت صعبة للغاية بالنسبة للحكومة . وخلال اضراب ارباب الاعمال فى أكتوبر ١٩٧٢ والذى كان يهدف الى شل الصناعة ، وضع العمال أيديهم على الانتاج واستأنفوه بعد ذلك بوقت قصير . وتوافرت فرص جديدة أمام الحركة الثورية رغم الصعوبات . واقنعت الحقائق العمال بأنهم اكفاء على ادارة المؤسسات بانفسهم . ومما له دلالة ان تكوين القطاع العام كان نتيجة لاعمال ضخمة من جانب العمال . ومع ذلك ، ففى بعض الحالات ، عندما قررت الحكومة نقل المؤسسات الى القطاع العام ، لم تستطع أن تفعل ذلك ، عادة لانها لم تستطع التوصل الى اتفاق مع العمال .

واتخذت مشاركة العمال فى الادارة اشكالا اكثر تحديدا فى المؤسسات

القومية . اما فيما يتعلق بالقطاع الخاص ، لم توجد أشكال مناسبة للمشاركة ، رغم ان العمال هناك اقاموا كذلك هيئات شبيهة باللجان للاشراف على الانتاج وضمان الا يتصرف أرباب الاعمال بما يتعارض مع المصلحة الوطنية .

وكان الشرط الاسمى اللازم للنجاح هو التفاهم المتبادل بين الاشتراكيين والشيوعيين والعمل المشترك من قبل الوحدة الشعبية . بيد أن الافتقار الى قيادة موحدة ادى الى الحد من قوة العمال الثورية وترك مجالا لانتشار الاتجاهات الغريبة فى حركة الطبقة العاملة .

ولكى تقوم الطبقة العاملة بدورها كمركز للوحدة التى تشكلت وكقوة محركة للتغيير الثورى ، كان عليها ان تعبر وتدافع عن مصالحها الخاصة وعن مصالح الطبقات والفئات التى تحتاج لان توحدها حول نفسها . وكانت المهمة الاولى هى تدعيم التحالف العمالى الفلاحى لانه لم يكن قويا بعد بما فيه الكفاية ، رغم أن سكان الريف فى الستينات أصبحوا اكثر تنظيما وكان النضال فى الريف يتصاعد . وكانت التغيرات التى حدثت هامة للغاية .

وزاد عدد اضرابات العمال الزراعيين من ثلاثة عام ١٩٦٠ الى ٣٩ عام ١٩٦٤ ، والى ٦٩٣ عام ١٩٦٧ والى ١٥٨٠ر١ عام ١٩٧٠ . وبعد اقرار قانون الاصلاح الزراعى ، أدركت الاقسام الاكثر تقدما من سكان الريف أن عمق العملية يتوقف ، على مدى نشاطهم . وفى ١٩٧٠ ، انتقلت ٣٦٨ ضيعة ريفية الى الذين يعملون عليها ، واساسا كنتيجة للنضال من اجل الاصلاح الزراعى .

وتحقق تغيير هام مماثل فى تنظيم اسكان الزراعيين . فقد ازدادت عضوية اتحادات نقابات الفلاحين من ٦٦٤ر١٠٣ عام ١٩٦٩ الى ٨٩٥ر٢٧٧ عام ١٩٧٣ ، وكان النمو ملحوظا بدرجة اكبر فى التنظيمات التى يقودها الشيوعيون أو الاشتراكيون . وكنتيجة لذلك كسبت الوحدة الشعبية ، وعلى الاخص الشيوعيين ، نفوذا أكبر فى المناطق الريفية خلال الانتخابات العامة عام ١٩٧٣ .

وازداد التحالف العمالى الفلاحى قوة بدون شك فى ظل حكم الوحدة الشعبية (وكذلك فى ظل حكومة فرى ، التى بدات اصلاحا زراعيا) . وفى نفس الوقت شارك عدد اكبر من السكان الزراعيين فى الشئون القومية . واتخذت الحكومة ، وفى مقدمتها الشيوعيون ، اجراءات عديدة لمساعدة الريف ، خاصة عام ١٩٧٣ . وكانت الحملة من اجل التنفيذ الكامل للاصلاح الزراعى ، والموجهة فى المحل الاول ضد ملاك الضياع الكبيرة ، هامة للغاية

لان نتائجها كان لها أثرها على كل عملية التطور الديموقراطى . فقد كانت تلك الضياع حاجزا فى وجه تطور الزراعة ، وتقدم البلاد الشامل .

لكن فى الوقت الذى تحققت فيه مكاسب بعيدة المدى سوف يتضح اثرها فى المستقبل، فان سياسة الحكومة الشعبية الزراعية لم تكن معفـاة من اخطاء فى التقدير . فالحكومة لم تزود بالطعام كل المجموعات الريفية الواردة فى برنامجها . وافاد الاصلاح الزراعى اساسا العمـال الزراعيين وأشباه البروليتاريا . وكان هذا انجازا لكنه لم يكن كافيا . وكان من الواجب ان يشمل المستفيدون صغار الفلاحين وأشباه البروليتاريين الذين يملكون قطع أرض أكبر نسبيا . وكان لابد أن يوضع فى الاعتبار مصالح كافة الفئـات التى يمكنهـا أن تحصل على مزايا محددة من سياسة الحكومة الشعبية والتى احتشدت لمساندتها نتيجة لذلك . وقد قال لويس كورفالان فى تقريره الى اللجنة المركزية ، التى اجتمعت فى اغسطس ١٩٧٢ لمناقشة المسـألة الزراعية ، « يوجد أكثر من ٢٠٠ر٠٠٠ حيازة أصغر من القطع المقررة التى تبلغ مساحتها ٤٠ هكتارا ، ويعمل عليها مئات الالاف من الشيليين » . ولا يمكننا أن نسد حاجة البلاد اذا ما تخلينا عن انتاجهم . لقد مدت الحكومة الشعبية مساعدتها لهم على شكل قروض ائتمانية لكن ذلك غير كاف . ولابد من مساعدتهم على الانتظام فى تعاونيات ، ومنحهم قروضا أكبـر ، وزيادة مشتريات الحكومة للمحاصيل الزراعية بشكل فعال .. وفى المحل الاول ، ضمان تأمين ملكية الارض فى الواقع .

« وينبغى ان يصبح الفلاحون الصغار والمتوسطون حلفاء للعملية التاريخية التى تجرى فى شيلى . واى امرىء يدفعه موقفه الاخرقنحو الجانب الآخر هو معاد للثورة » .

والنتائج التى يمكن ان نوجـزها الان تبين أن تلك النواقص لم يتم التخلص منها تماما بعد باية حال . وزاد الوضع تفاقما نتيجة لزيادة شعور كثير من الملاك بعدم الاطمئنان بسبب الاعمال التى حرض عليها اليساريون المتطرفون بهدف الاستيلاء على الاراضى التى لم يشملها الاصلاح الزراعى ، ونتيجة لاستفادة الرجعية بذلك فى دعايتها . ولم تواجه الحكومة علىالدوام مثل هذه الاعمال على الوجه السليم .

وكان من سوء الحظ كذلك سواء من الناحية السياسية او الاقتصادية انه فى تنفيذ الاصلاح الزراعى ، غالبا ما تجاهلت السلطات آراء الفـلاحين وحاولت أن تفرض أشكالا تنظيمية من أعلى ، متخطية مراحل معينة من عملية اقامة التعاونيات الزراعية . وفى أغسطس ١٩٧٢ وضح الحـزب الشيوعى حالة الامور ، فقال : « يمكننا ان نخرج ببعض الاستنتاجات من التجربة التى اكتسبناها فى هذا المجال . فلا اسينتامينتوس التى أقامهـا

الديموقراطيون المسيحيون ، ولا مراكز الاصلاح الزراعى التى اقيمت فى ظل الحكومة الحالية ترضى الفلاحين تماما .. ونحن نعتبر ان المهمة الجوهرية التى لا تحتمل أى تأخير هى مراجعة كل هذه الاشكال التنظيمية وان ناخذ فى الاعتبار رأى الفلاحين ومصالحهم على وجه التأكيد ، اذ أن هـــذه هى الطريقة الوحيدة لكسب مساندتهم فى تنفيذ المهام الكبيرة التى تواجهنا فى الريف » .

وتلك واحدة من المشاكل التى لم تحل على خير وجه . وكانت أحـــد النواقص الاخرى أنه فى البحث عن أشكال جديدة لتنظيم الانتاج والملكية ، ركز الاهتمام كلية على القطاع الذى نفذ فيه الاصلاح الزراعى . ولم تبـذل محاولات جادة لتشجيع تطور الاشكال التعاونية لملكية الارض بواســـطة صغار الملاك كما استهدف البرنامج الرئيسى لحكومة الوحـدة الشعبيـة واستغل اليساريون المتطرفون هذه التقديرات الخـــاطئة . وكانت بعض تحركاتهم انعكاسا للمشاكل الحقيقية لاقسام متباينة من السكان الزراعيين ولكن الحلول التى قدموها كانت خاطئة . أن « جوع الارض » الذى يؤثر على قسم هام من سكان الريف يتطلب اشكالا جديدة من تنفيذ الاصـلاح الزراعى مع الاهتمام بمصالح كافة الفئات الاجتماعية .

وفى شيلى كما فى بعض بلدان أمريكا اللاتينية الاخـــرى ؛ كان تحقيق التفاهم المتبادل مع الفئات الوسطى الحضرية مسألة ذات أهميـة متزايدة بالنسبة لسياسة الطبقة العاملة فى التحالف . ولعبت العددية لهذه الفئات ، وبدرجة أهم ، فعاليتها السياسية المتزايدة ، دورا فى ذلك .

كان سكان الحضر يتزايدون على حساب سكان الريف . ففى ١٩٧٠ وصل سكان الريف النشطون اقتصاديا الى ٤٣٫٩ ٪ فقط . وتأتى الفئـــات الوسطى ، من الناحية العددية ، فى المرتبة الثانية فقط بعد الطبقة العـاملة (بالنسـبة للسكان فى مجموعهم) . وتركيب هذه الفئـــات غير متجانس للغاية ، لان بعضها قد تشكل نتيجة للاحتفاظ بأشكال الانتاج السابقة على الرأسمالية ، بينما تطور البعض الآخر فى ظل الطريقة الرأسمالية للانتاج .

وفى عام ١٩٦٨ ، كان حوالى ٩٤ ٪ من صناعة شيلى يتـكون من ورش حرفية ومصانع صغيرة تستخدم كل منها حتى ٤٩ عاملا . وهذا القسم من الفئات الوسطى ــ الحرفيون وبعض صـغار المنتجين ــ كانت تستغله المجموعات الاحتكارية والاوليجاركية المالية ، والتغييرات التى أحدثتهـــا حكومة الوحدة الشعبية حررتهم من الاستغلال ، مما يعنى أنه كان من الواجب عليهم أن يرحبوا بها أو على الاقل أن يتخذوا منها موقفا محايدا . وقد نفذت كافة الاجراءات المبكرة للتغييرات البنيوية فى وقت كان توازن القوى فيه مواتيا . ولتوطيد هذا الوضع لم يكن من الضرورى فحسب

تحويل القطاع العام المتطور الى أكثر القطاعات الاقتصادية دينامية، وانما اقامة علاقات من نوع جديد مع المؤسسات الخاصة ، التى كانت ترتبطبها بالفعل كل مؤسسة فى القطاع العام ، وبخاصة عندما اصبح العديد من المجموعة الاخيرة معتمدا على السابقة فيما يتعلق بالمواد الخام .

وزاد المنتجون الصغار والمتوسطون من أرباحهم ولكنهم لم يعتبروا ذلك نتيجة للتغييرات التى حدثت فى البلاد . واتضح أن كثيرين منهم فى الحقيقة اشتركوا فى أعمال الكسب غير المشروع وصفقات السوق السوداء (وهذه التطورات كانت تغذيها سياسة الرجعية فى اشاعة عدم الاستقرار). لقد اعتبروا الاجراءات التى اتخذت للتضييق على مثل هذه الاعمال كدليل على « تقييد » نشاطهم . وقد أكدت التجربة الشيلية فكرة لينين عن أن تلك الفئات تتذبذب بين الرغبة فى التخلص من أغلال رأس المال الكبير وبين الخوف من التغير الثورى .

ورغم الفرص التى أتيحت لها للنمو والنشاط ، فشلت القوى الثورية فى شيلى فى أن تبين أن التقدم الذى تحقق كان نتيجة للتغييرات التى نفذت . وفشلت فى اقامة علاقات قوية من نوع جديد بين الدولة ، والقطاع العام والمؤسسات الخاصة . وكان الافتقار الى التفاهم المتبادل يرجع كذلك الى المبالغات فى اقامة القطاع العام . لقد اشترك قسم هام من البرجوازية الصغيرةوكثير من الحرفيين فى اضرابات أرباب الاعمال ، وقد ضللهم شعار الرجعية الديماجوجى عن « حماية الملكية » والمطالبة « بالحريات » بينما كان الهدف الحقيقى للذين حرضوا على الاضرابات هو افساح الطريق أمام الانقلاب . وفى ظل النظام الفاشى اليوم ، الذى يقضى على نطاق واسع على صغار المنتجين ومتوسطيهم ، بل وحتى كبارهم (غير الاحتكاريين) ، من الواضح أن مصالحهم الحقيقية لم يكن يحترمها سوى الحكومة الشعبية فحسب .

والفئة الوسطى الحضرية الجديدة ، التى لا تزال فى مرحلة التكوين،

تصبح أكثر نشاطا من الناحية السياسية بالمقارنة مع الفئات الوسطى الحضرية الاخرى . ان الطلبة ، وأعضاء المهن الحرة ، والمثقفين ، وبعض ضباط الجيش الذين يمكن اعتبارهم أفراد هذه الفئة الوسطى تزداد بالمثل فعاليتهم الاجتماعية .

وقد تطور تحالف قوى العمال والطلبة ، الذين ازدادت علاقاتهم المتبادلة عمقا عندما كانت الحكومة الشعبية فى السلطة . وساعدت حركة الطلبة بشكل عام الحكومة بطرق مختلفة . ومع ذلك ، كان ذلك مجرد جانب واحد من عملية معقدة أصبحت فيها مجموعات الطلبة التى تساند

المعارضة اكثرعدوانية ، ودافع كثير من المثقفين كذلك عن آراء تقدمية من حيث الجوهر . وفي ذلك الوقت وجد تفكيرهم الابداعي تعبيرا في اكثر الاشكال تباينا . وكان الوضع مختلفا في تنظيمات المهنيين . فقد اصبح بعضهم أدوات لاكثر العناصر رجعية . وكان هناك بين ضباط الجيش تيار ديموقراطي ضعف عندما تدهور الوضع بكامله ، ولم يبذل هذا التيار جهدا لتقوية صلاته مع القوى التي تساند الحكومة .

وكان الصراع بين الثوريين وبين أعداء الثورة من اجل توازن موات للقوى يهدف لدرجة ملحوظة الى كسب الفئات الوسطى . بيد أن الطبقة العاملة فشلت في خوض معركة حازمة من أجل مطالب هذه الفئات باستخدام المواقع التي تحتلها في الحكومة .

وتدلنا التجربة على مدى اهمية ان نضع في اذهاننا طبيعة التغيرات التي تحدث في شيلي والمميزة لثورة ديموقراطية ، حتى لا تكون هناك محاولات لتخطي مراحل ، وان نحلل بعناية الاسهام الذي كان يمكن للفئات التي اخرت بها التناقضات القائمة ، أن تقدمها ، وأن ندرس امكانيات العملية الثورية التي تنتقل الى مراحل اعلى بمساندة غالبية هذه الفئات .

والسياسة الصائبة للتحالف تتضمن تفاهمـا متبادلا بين الوحدة الشعبية وبين الحزب الديموقراطي المسيحي ، وهو الحزب المتعدد الطبقات الذي يحتل مواقع قويه بين الفئات الوسطى ويتمتع بنفوذ كبير بين العاملين بأجر ، لقد صوت الحزب الديموقراطي المسيحي مع تأكيد مجلس البرلمان لانتخاب الليندي للرئاسة ، وكذلك مع تأميم مناجم النحاس الهامة ، وهو اجراء وافق عليه البرلمان بالاجماع .

ومن وجهة نظر الحكومة الشعبية ، كان التوصل الى تفاهم متبادل يعني التهاون ، وقد بذلت جهود محددة من أجل ذلك لكنها فشلت نتيجة للمقاومة داخل الحزب الديموقراطي المسيحي والوحدة الشعبية . فمن ناحية ، ضمت المعارضة قطاعات برجوازية وبرجوازية صغيرة لا يدفعها شيء آخر سوى الخوف من أن تدعم الطبقة العاملة من مواقعها . ومن الناحية الاخرى ، ضمت قوى يسارية أعتبرت كل المساومات تراجعا ــ على أساس الافتراض الزائف بأن المهمة هي الاسراع بالتغيرات الاشتراكية رغم الافتقار الى الشروط الاقتصادية والسياسية اللازمة لذلك . ومع ذلك ، فقد كانت معارضة يمكن التنبؤ بها بدقة والتخلص منها من خلال العمل الدءوب بين الجماهير .

وفي شيلي ، كما نعرف من التجربة ، فان التوصل الى التفاهم المتبادل جعل التقدم امرا ممكنا . واعتمد النجاح في الجهود من أجل اقامة جبهة ديموقراطية عريضة ، لدرجة ليست بصغيرة على القوى التي كانت خارج

الوحدة الشعبية والتى اتخذت موقفا مرنا من هذه المسألة وعلى طبيعة التيارات التى تتطور بين الجماهير ، بما فى ذلك الديموقراطيين المسيحيين ، وعند الاشارة الى امكانية وضرورة العمل المشترك مع الديموقراطيين المسيحيين حددت قيادة الحزب الشيوعى النقاط التالية :

« بالتأكيد ، هناك اشياء فصلت وما زالت تفصل بين الماركسيين والديموقراطيين المسيحيين . لكن لدينا كذلك مصالح مشتركة واحد دروس التاريخ الواضحة فى بلادنا انه حينما نجحنا فى التوصل الى العمل المشترك وتحقيق الوحدة حول المشكلة الرئيسية ، كانت النتيجة منافع واضحة للشعب ...

« وهذا احد وجهى العملة . لكن هناك الجانب الاخر كذلك ، لان الحزب الديموقراطى المسيحى حزب متعدد الطبقات غالبا ما تعبر فيه المصالح المتعارضة عن نفسها . وهذا يفسر السبب فى انه فى كل مرة ارتبطت القوى المتعصبة ، مع الاحتكار ووجدت مساندة لا تقدر فى مظاهر متعصبة بين القوى اليسارية التى اصبح لها الغلبة فى قيادة الحزب الديموقراطى المسيحى ، كانت النتيجة انقساما أو حتى مواجهة عادت بالفائدة على المصالح والامتيازات الرجعية » .

ويقول الحزب الشيوعى بوضوح ، كما نرى ، انه كان من الضرورى **الكفاح من أجل الوحدة مع كل القوى المعادية للفاشية ،وهو يؤكد كذلك** الاهمية الخاصة للنضال الايديولوجى ضد هؤلاء الذين يعرقلون أو يعارضون الجهود من أجل الوحدة . والنضال من أجل الوحدة ، الذى يلعب فيه الحزب الشيوعى دورا ملحوظا ، لا يتضمن التخلى عن النضال الايديولوجى أو تناسى المهمة المركزية ، مهمة التقريب بين المواقف بزيادة امكانيات التحالف .

وليس هناك سبب يدعو لان تصبح الخلافات القائمة بين الحزب الديموقراطى المسيحى والوحدة الشعبية خلافات عدائية ، وخاصة اذا ما نظر الى المسألة وجهة نظر التركيب الطبقى للحزب الديموقراطى المسيحى . والذين عارضوا سياسة الطبقة العاملة فى التحالف قالوا ان الطبقة العاملة تتخلى بذلك عن دورها القيادى وسوف تكون عاجزة عن التصرف بشكل مستقل . وفى كلمات اخرى ، فقد حول الانتباه الى تناقض خيالى غير قائم . وفى النهاية ، فان الطبقة العاملة يمكنها أن تصبح قائدة ليس بمرسوم وانما نتيجة تفاهم متبادل مع الطبقات والفئات الاخرى ، ويتوقف ذلك على مدى مواصلتها لنشاطها بصورة أفضل والى اى مدى تصبح مصالح تلك الطبقات والفئات مصالحها . ولا يتناقض ذلك مع النشاط المستقل لحزب الطبقة العاملة ، وزيادة على ذلك ، فانه يجعل استقلالها ضروريا ،والوحدة

داخل التحالف ترتبط بالضرورة بالنضال ، وخاصة حينما يشمل التحالف أكثر القوى تباينا .

وهذا يجعل من الضرورى على حزب الطبقة العاملة أن يحـــافظ على استقلاله الطبقى داخل الجبهة المشتركة وان يوسع من نفوذه الايديولوجي. وقد أكدت الفترة التى نحللها أن ذلك يمكن التوصل اليه بالاستناد بشكل ثابت الى الجماهير ، واحاطة الجماهير العاملة بالحقيقة ، ومساعدتها عـلى التغلب على المصاعب والتوصل الى حلول صائبة . وهـــذا ما تعلمنا اياه خبرتنا .

ان تسمية مرشح مشترك للقوى الشعبية عام ١٩٧٠ ، وصياغة برنامج وحدة وتحديد المعايير الاساسية لنشاط الحكومة الشعبية قد تم بمشاركة الشعب النشطة ، التى لعبت الدور الحاسم فى التغلب على الصعاب . ومع ذلك فان الحكومة لم تتمسك دوما بهذه المبـــادىء . وكثير من المناقشات الجاسمة حول ما اذا كانت العملية الثورية تقاد بطريقة صائبة أم لا كانت تجرى فقط « فى القمة » أو فى دوائر محدودة للغـــاية . وكنتيجة لذلك تزايدت الصعوبات الناجمة عن الافتقار الى قيادة موحدة ، مما وجـــد تعبيرا عنه مرارا فى تحركات انقسامية وفوضوية بل واتجه أحيانا الى شل الحكومة . ولكن فى كل مرة اتجهت الحكومة الى الجمــاهير العـــاملة ابدوا قدرة كبيرة على التبعئة .

والتاكيد على أهمية العمل الجماهيرى لا يعنى التقليل من أهمية العمــل بين القادة .وسوف يكون مضرا بقضيتنا فحسب اذا ما ميزنا بشكل مصطنع بين العمل وسط الجماهير والعمل وسط القادة .

ان ما سبق يقودنا الى الاستنتاج بان احد المشاكل الرئيسية للعملية الثورية الشيلية هى انه لم توجد قيادة ثورية متجانسة ومتماسكة . وفى نفس الوقت فالمكاسب التى تحققت ترجع بدرجة كبيرة الىعملية تشكيل مثل هذه القيادة . والدور الرئيسى فى تشكيلها وتطويرها لعبتهالطبقــة العاملة ، بسبب طبيعة العملية الثـــورية ذاتها ، والى الدرجة التى تفشل الطبقة العاملة فى هذا الخصوص ، تجعل الامر أسهل على العدو .

ومن الواضح كذلك أن دور الحزب الشيوعى نما مع تطور الوضــــع الثورى والنضال من أجل السلطة .

ونحن الشيوعيين نتخذ موقفا انتقاديا ذاتيا من منجـــزات ونواقص العملية الثورية فى شيلى كى نتعلم دروسها ، وهو ما نعتبره الشرط الضرورى لتحويل هزيمة الامس الى انتصار الغد .

●

ماذا عن حقوق الإنسان؟

تولى وسائل الأعلام فى البلدان الرأسماليه فى الفترة الأخيرة اهتماما كبيرا بضرورة احترام الالتزامات الدولية حول حقوق الانسان والحريات الانسانية . ويهمني أن أعرف شيئا ما عن هذه الالتزامات وما هى الحقوق والحريات التى تنادى بها ، وكيف تحترم ومن يحترمها ؟

وبصفتى فلسطينيا فاننى أدرك تماما أن شعبى قد حرم من كل حق وأنه يناضل فى سبيل حريته وقد بذل فى سبيل هذا تضحيات لا تحصى . كما أننى اعرف من هم حلفاؤنا ومن هم اعداؤنا في هذا النضال وعندما يزعم أى انسان أن نضال شعبى نضال غير شرعى أو أن الاشتراكية تتجاهل القانون الدولى أو أن أصدقاءنا ينكرون الحريات الديمقراطية لمواطنيهم ويضرب المثال بغياب ((المعارضة الشرعية)) فى البلدان الاشتراكية ووجود ((عدد كبير من المنشقين)) وماشابه ذلك ، فاننى لا أملك الا الامتعاض من هذه المزاعم .

أنا لست شيوعيا ــ بل عامل مثقف ــ ولكن هذه المزاعم تبدو لى زائفة . هل يمكنكم أن تلقوا الضوء حول هذه القضية ؟

خليل سلامة ((الاردن))

هذا وقد طلبنا من البروفيسور ايجور بليششنكو سكرتير الرابطة الدولية للمحامين الديمقراطيين ((الاتحاد السوفييتى)) والبرتو كوهين ((الارجنتين)) وهو صحفى له عدد من المؤلفات تتناول القضايا القانونية الاجابة عن الاسئلة التى اثارها خليل فى رسالته ، وفيما يلى تسجيل للحوار الذى تم حول هذه القضية بين بليششنكو وكوهين

بليششنكو ــ ان المشاكل التى اثارها الخطاب ذات اهمية بالغة . فالنضال فى سبيل حقوق الانسان اليوم قد أصبح جزءا من النضال فى سبيل التقدم الاجتماعى والسلام والانفراج . ويشكل المفهوم الحقيقى لهذه الحقوق شيئا يشبه الحد الفاصل بين التقدم والرجعية ، وحيث أنها تفسر بطرق مختلفة فاننى أقترح تحديد اطار الأسئلة التى نتولى الاجابة عنها .

كوهين ــ اننى أعتقد أننا بحاجة الى تعريف مختصر للاحكام الأساسية للاتفاقيات الدولية حول حقوق الانسان . وعلينا أن نشير الى هؤلاء الذين يقومون بتنفيذها وكيف ، وكذلك اعطاء صورة عامة عن كيف تعطى تفسيرات متعددة للحريات وحقوق الانسان . ثم يتعين علينا بعد ذلك أن نفضح مزاعم الدعاية البورجوازية التى أشار اليها القارىء الاردنى .

بليششنكو ــ يهمنى بصورة خاصة التعرض لمشكلة « المنشقين » فى البلدان الاشتراكية .

كوهين ــ أوافق . دعنا نقدم أولا فكرة عن الأحكام القانونية الدولية المتعلقة بحقوق الانسان . أوليس كذلك ؟

القوانين الدولية حول حقوق الانسان

كوهين ــ للتشريعات الدولية حول حقوق الانسان سجل طويل ولكنها فى صورتها الحالية قد تبلورت بعد ثورة أكتوبر وبالتحديد بعد الحرب العالمية الثانية ، وذلك تحت تأثير أفكار وقوى الاشتراكية والسلام والديموقراطية والتقدم . وهذه التشريعات تشكل سفرا ضخما ولكننى سأتناول بصورة خاصة ثلاث مجموعات من المعايير المتفق والموافق عليها على المستوى الدولى . وأولا وقبل كل شىء هناك ميثاق الأمم المتحدة المستمدة منه الأحكام البالغة الأهمية فى هذا الشأن ، البيان الختامى لمؤتمر هيلسنكى حول الأمن والتعاون فى أوروبا وعدد آخر من الاتفاقيات بين البلدان الاشتراكية والرأسمالية التى تنص على عدم شرعية الحرب كأداة فى السياسة الحكومية وتدعو الدول المعنية لتسوية منازعاتها

بالوسائل السلمية ، وتؤكد حقوق الشعوب والأفراد فى السلام والحياة السلمية . واننى أعتقد أنه من الواجب التذكير دوما بهذا المبدأ القانونى البالغ الأهمية لأن كثيرا من الناس ليسوا مدركين الحقيقة بأن العيش فى سلام هو أحد الحقوق الانسانية التى لايمكن دحضها .

وهناك مجموعة أخرى من الاتفاقيات التى تتضمن الاعلان الدولى لحقوق الانسان الذى أقرته الأمم المتحدة فى عام ١٩٦٦ والمواثيق حول حقوق الانسان « ميثاق الحقوق المدنية والسياسية وميثاق الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية مثلا » وعدد من الاتفاقيات الدولية الأخرى تتضمن معايير ومبادىء عامة متصلة بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والحقوق والحريات المدنية و « السياسية للفرد . وأخيرا هناك قوانين نورمبرج والاحكام التى أصدرتها المحاكم العسكرية الدولية فى نورمبرج وطوكيو ، والمواثيق حول منع ومعاقبة جرائم الاضطهاد العنصرى وابادة الأجناس وكذلك الغاء كافة أشكال التمييز العنصرى وعدم تطبيق قواعد السقوط بالتقادم على جرائم الحرب والجرائم ضد الانسانية وكذلك الاتفاقيات الاخرى التى تحدد المسئولية عن الانتهاك الاجرامى للحقوق الانسانية .

بليشنكى — أود أن أؤكد أن الاتفاقيات الدولية حول حقوق الانسان تقوم على أساس مبدأ حق الشعوب والأمم فى تقرير مصيرها (١) .

وقد حدثت اضافات وملاحق لهذه الاتفاقيات تجرم مخالفتها وتنص على الحقوق المتساوية للرجل والمرأة . وانطلاقا من هذا فان ميثاق حقوق الانسان يتضمن الحق فى العمل والحق فى ظروف عمل مناسبة وملائمة ، والحق فى تكوين النقابات ، والحق فى الضمان الاجتماعى

---

(١) المادة الأولى من ميثاق حقوق الانسان تقول :

(أ) لكل الشعوب الحق فى تقرير المصير . ووفقا لهذا الحق فانها تحدد بحرية مستقبلها السياسى وتقرر بحرية تطورها الاقتصادى والاجتماعى والثقافى .

(ب) لكل الشعوب وفقا لأهدافها الخاصة الحق أن تتصرف بحرية فى ثرواتها ومواردها الطبيعية دون الحاق الضرر بأية التزامات قائمة على أساس مبدأ المنفعة المتبادلة والقانون الدولى .

وفى جميع الحالات لا يمكن حرمان اى شعب من وسائله فى المعيشة .

(ج) الدول الموقعة على هذا الميثاق بما فيها الدول ذات المسئولية فى ادارة المناطق ذات الحكم الذاتى والخاضعة للوصاية عليها أن تعمل من اجل تنفيذ مبدأ حق تقرير المصير وكذلك عليها احترام ذلك الحق بما يتفق مع احكام ميثاق الامم المتحدة » .

بما فيه الحق فى التأمين الاجتماعى ، وحق الأسرة بما فيها الأمهات والاطفال فى الحماية والمساعدة ، والحق فى مستوى لائق من المعيشة ومستوى صحى سواء بدنى او عقلى لائق ، والحق فى التعليم والمشاركة فى الحياة الثقافية .

وتؤكد هذه المواثيق الحق فى حياة مامونة يصونها القانون ، بما يتضمن من عدم حرمان أى إنسان بصورة تعسفية من حياته . وتحرم هذه الاتفاقيات عمليات التعذيب أو غيرها من وسائل المعاملة غير الانسانية أو المهينة او الوحشية . وتحرم ايضا العبودية وتجارة العبيد والعمل القسرى أو الاكراهى . وتطالب هذه المواثيق من الموقعين عليها أن يكفلوا حرية وامان الانسان وأن يمنعوا التدخل التعسفى فى الحياة الخاصة للفرد او العائلة والانتهاكات لحرمة المسكن أو لسرية المراسلات . كما تتضمن هذه المواثيق ايضا الحقوق المتعارف عليها كحقوق سياسية ومدنية الحق فى الخطابة وحق الاجتماع ، وحق التنظيم ، وحرية الرأى والضمير والتعبير وما الى ذلك . وتدين هذه المواثيق وغيرها من الاتفاقيات الدولية العنصرية والتمييز العنصرى وابادة واضطهاد الأجناس وتجرم كل هذه الأفعال .

كوهين ـ بالاضافة الى ماسبق فان جميع المعاهدات والاتفاقيات الدولية تجرم الدعاية للحرب ولبث الكراهية والعداوة بين الشعوب وذلك بفضل الجهود التى بذلها الاتحاد السوفييتى والبلدان الأخرى المحبة للسلام . وفوق هذا ، فان اى نظام اجتماعى مثل الدكتاتورية الفاشية والأنظمة العنصرية والانظمة القائمة على القهر الاستعمارى أو العنصرية تعتبر ـ وفقا للقانون الدولى ـ انظمة مخالفة للمعايير الشرعية . وفى هذه الحالة ، فان القانون الدولى يعترف بحق الشعوب فى اللجوء الى كل الوسائل لتحقيق حريتها الفعلية وحقها الشرعى فى حمايتها .

بليششنكو ـ وهذا هو السبب فى أن الحروب التى تشن كوسيلة لمقاومة العدوان وكذلك الحروب الوطنية التحريرية لا تعتبر جرائم فى نظر القانون الدولى . وقد استفاد نضال الشعب الفلسطينى استفادة مباشرة فى هذا ، اذا وضعنا فى الاعتبار أيضا أن عددا من وثائق الأمم المتحدة تؤكد بصراحة ووضوح حق كل شعب فى تقرير المصير وحق الشعوب تحت سيطرة الحكم الاستعمارى فى القتال فى سبيل حريتها بكل الوسائل بما فيها استخدام القوة . « انظر ـ على سبيل المثال ـ تقرير اللجنة السادسة للامم المتحدة « ١ ـ ١٨٠٩ » ـ ٤ ديسمبر ١٩٦٩ » .

كوهين ـ اعتقد اننا بهذا قد اوردنا الاتفاقيات الدولية الاساسية حول حقوق الانسان بتفصيل كاف . والان دعنا نلقى نظره على كيفية تطبيقها .

كوهين ـ ليس بسر ان **الولايات المتحدة** وهى أغنى بلد رأسمالى عاجزة عن آن تكفل لـ ٨٪ من سكانها الأصحاء الحق فى العمل وتنكر الحقوق المدنية والاجتماعية للغالبية العظمى من الأمريكيين الزنوج والهنود والبورتوريكو وغيرهم من القوميات الأخرى . وبالنسبة لشيلى فقد اعادت الدورة الـ ٣١ للجمعية العامة للأمم المتحدة تأكيد ادانتها القوية لأعمال الخرق الفاضحة الجارية ، الان لحقوق الانسان . وفى **السلفادور** اسفرت انتخابات الرئاسة عن قيام مذبحة بعد أن تلاعبت الرجعية بالانتخابات . وهناك أعمال خرق فاضحة عديدة لحقوق الانسان فى **الشرق الاوسط وجنوب افريقيا وبلدان امريكا اللاتينية التى تحكمها الأنظمة الفاشية أو الدكتاتورية .**

ورغم ان الوضع فى **الارجنتين** مختلف عن الوضع فى البلدان المجاورة لها المحكومة بواسطة أنظمة ديكتاتورية فان خضوع اقتصاد البلاد للاحتكارات الاجنبية وكبار ملاكى الاراضى يحول دون اقامة ديموقراطية حقيقية ويولد الانقلابات واعمال الارهاب والكبت وعدم الاستقرار السياسى والاجتماعى . وتعد اعمال الكبت الوحشية الارهاب اليسارى المتطرف والتغاضى عن أعمال الارهاب اليمينى المتطرف امثلة حية على انتهاك ابسط حقوق الانسان ، وحقه فى الحياة وهو الأمر الذى يثير قلق الرأى العام الديموقراطى فى الداخل والخارج . وبرزت قضية حقوق الانسان فى الأرجنتين الى المقدمة نتيجة لاعتقال مئات السياسيين دون اتهام أو محاكمة وبفعل اعمال الطرد والفصل لأسباب تتعلق بالنشاط السياسى والنقابى ، واعمال الخطف اليومية والتعذيب والجرائم بالجملة ضد الشعب كله ، وضد رجال الدولة الذين يبدون نوعا من التطلع الى طريق ديموقراطى . وتشير الى هذا الوضع تصريحات المتحدثين باسم حركة الطبقة العاملة والدوائر السياسية وحتى تصريحات جنرال جورج ر . فيويلا رئيس الارجنتين وغيره من القادة العسكريين وغيرهم من ممثلى الكنيسة الكاثوليكية .

بيد ان الممارسة الفعلية والحقيقية لحقوق الانسان قد اصبحت قضية ملحة . ففى الأرجنتين ، مثلا ، فان هذه القضية تتطلب اتخاذ تدابير ضرورية لفتح الطريق امام حوار شعبى غير مقيد . ولكن اجراء مثل هذا الحوار لايمكن تصوره اذا استمرت أعمال الخطف واذا لم تتوقف اعمال القبض على الناس دون اتهام أو محاكمة ، واذا لم تجر عملية مقرطة كاملة للحركة النقابية واذا لم ترفع القيود على الأحزاب السياسية . كما أنه من المستحيل اجراء مثل هذا الحوار اذا لم تحل مشاكل التدهور

الاقتصادي والديون الخارجية والطرد بالجملة والبطالة والانحدار فى الأجور الحقيقية والارتفاع المضطرد فى تكاليف المعيشة .

وفي معظم البلدان الرأسمالية لا تتفق احوال النساء والشباب والأقليات القومية مع المعايير والالتزامات الدولية المنصوص عليها فى الاتفاقيات الدولية حول حقوق الانسان . **ويدعو هذا الوضع الى تساؤل البعض عما اذا كان اقتراح بعض المحامين والقانونيين لانشاء هيئة عالية تختص بمثل هذه الأمور مفيدا . ولكن من الصعب الموافقة على مثل هذه الفكرة الليبرالية البورجوازية .**

بليششنكو ــ اعتقد انك على حق . فان قبول هذه الفكرة معناه خرق حق السيادة لكل دولة فى ممارسة التشريع فوق اراضيها . والأوجب أن تقوم الدول نفسها بتعديل وتطوير تشريعاتها بما يتفق مع المعايير القانونية الدولية المقبولة منها ، وقد ارتفعت فى الاونة الأخيرة نداءات قوية متزايدة فى البلدان الراسمالية تدعو الى تكوين وكالة قانونية دولية تعمل بصورة محكمة عليا للحقوق المدنية وتنظر فى شكاوى ودعاوى الأشخاص والأفراد وانني اعتقد أن المروجين لهذا الاقتراح يأملون من ورائه الى استخدامه كوسيلة تسهل عملية تدخلهم فى شئون البلدان الاشتراكية وهى البلدان التى صدقت على جميع الاتفاقيات الدولية حول حقوق الانسان . وتتحمل الدول الراسمالية مسئولية اضاعة الوقت حتى لا تتحمل المسئوليةالقانونية فى تنفيذ هذه الاتفاقيات ، فهذه الدول وقفت باديء الأمر ضد توقيع هذه الاتفاقيات والان تمتنع عن التصديق عليها .

كوهين ــ هل يمكنك أن تكون أكثر تحديدا ؟

بليششنكو ــ طبعا ــ هناك كتاب **جيمس جرين « الأمم المتحدة وحقوق الانسان »** . وقد قرات فى هذا الكتاب « صدر فى واشنطن عام ١٩٥٦ ــ ص ٤٠ » أن الولايات المتحدة لعبت الدور الرئيسى بين الوفود التى أصرت على قصر حقوق الانسان على الحقوق المدنية والسياسية . ويمكن أن نتذكر أن الولايات المتحدة وبريطانيا ونظام سالازار فى البرتغال وجنوب افريقيا قد صوتت ضد مشروع الميثاق حول منع ومعاقبة جريمة الاضطهاد العنصرى . واصرت بريطانيا وبلجيكا وجنوب افريقيا على استبعاد المواد المتعلقة بحقوق الشعوب والأمم فى تقرير المصير فى التصرف المستقل فى ثرواتها الطبيعية . وقد حاولت الولايات المتحدة أيضا منع توقيع الميثاق حول تحريم جميع أشكال التمييز العنصرى . ووقفت بريطانيا وهولندا وبلدان رأسمالية أخرى ضد المادة التى تجرم الحرمان التعسفى لأى شخص من حياته .. وفى هذا الصدد عدد الوفد الهولندى الحالات

التى يمكن فيها السماح بحرمان الشخص من حياته دون محاكمة أو اتهام بحالات القلاقل والثورات .

اما بخصوص الامتناع عن التصديق على الاتفاقيات فقد لعبت الولايات المتحدة ايضا الدور الرئيسى فى ذلك . ويقول تقرير « **دراسات جامعية حول حقوق الانسان** » وهو تقرير تم اعداده بالتعاون مع اليونسكو أن الولايات المتحدة لم تصدق على اية وثيقة دولية حول حقوق الانسان باستثناء الميثاق حول العبودية . « صدر التقرير فى عام ١٩٧٥ ـ انظر ص ٣٥ » . وفى هذه البلاد تجرد كثير من المعاهدات الدولية فى فاعليتها بفعل مايسمى حق الاعتراض الفيدرالى ، والذى يقول أن احكام المواثيق الدولية تنفذ فقط فى حالة عدم تناقضها مع تشريعات الولاية التى تتضمن الكثير من القيود على حقوق الانسان بما فيها القيود العنصرية . وقد كشف النقاب عن هذه المقاومة العنيدة **جون فوستر دالاس** وزيرالخارجية الأمريكى السابق وأب الحرب الباردة عندما قال أن الولايات المتحدة لا تنوى على الاطلاق الالتزام بالمعاهدات الدولية التى يمكن ان تفضى الى تغيرات اجتماعية داخلية . « أنظر الى م . موسكوفيتز « **حقوق الانسان والنظام العالمى** » ـ نيويورك ١٩٥٨ » .

كوهين ـ ان هذا القول من جانب دالاس اظهر الحقيقة . أو ليس كذلك ؟

بليششنكو ـ نعم ، انه اعتراف اضطرارى بالحقيقة بأن الاشتراكية وحدها هى التى تستطيع أن تمنح الشعوب أوسع الحقوق والحريات الديموقراطية .

كوهين ـ بالضبط ـ والان دعنا ننتقل الى موضوع الحقوق والحريات كمفهومات محددة فى ظل الرأسمالية والاشتراكية .

الحقوق والحريات فى ظل الرأسمالية والاشتراكية

بليششنكو ـ دعنا نبدأ بتقرير الحقيقة بان النظام الراسمالى يوفر ويضمن الحرية الحقيقية فى المقام الأول لأقلية ضئيلة من المستغلين وانه مصدر لفقدان الحرية بالنسبة للاغلبية العظمى من المستغلين . وقد اثبتت حتى أغنى البلاد الرأسمالية عجزها عن أن توفر لشعوبها الوظائف الكافية والخبز أو التعليم وأن تحافظ على صحة الناس أو تضمن لهم شيخوخة آمنة .

كوهين ـ وحتى فى البلدان التى كانت تعتبر لفترة طويلة مهد الحضارة

البورجوازية فاننا نشهد فيها عملية فقدان مفهوم الحقوق المدنية لمعناه الأصلي ، وتتناقص أكثر فأكثر الفرص المتاحة للمواطنين العاديين لممارسة حقوقهم كمواطنين . ولا نقصد بذلك أنهم لم يعودوا يستطيعون قراءة الجريدة التي يفضلونها أو الاشتراك في اضراب ما ، وذلك لأن الديموقراطية البورجوازية مازالت تتحمل وجود هذه الحريات وغيرها التي كسبها الشعب بنضاله وان كانت تقيم المزيد من العراقيل في طريق ممارستها . ومن الناحية الشكلية فان الناس أحرار في التعبير عن آرائهم ولكن حريتهم في التفكير تتضاءل بصورة متزايدة وهو الأمر الذي يرجع الى ان نطاق السيطرة الاحتكارية يتزايد ويتسع ليس فقط في مجال الانتاج بل ايضا في مجال تشكيل وتلبية احتياجات الانسان . فالاحتكارات عن طريق استخدام وسائل الاعلام تفرض قيمها ومفاهيمها الخاصة على المواطن العادي . وتحاول أن تجعل من الصعوبة أو الاستحالة عليه أن يفكر أو يتصرف باستقلال .

بليششنكو ـ وعلى النقيض من هذا ، فان الحريات في ظل الاشتراكية التي تكسب الفعالية لحقوق كل فرد تتميز بانعدام الملكية الخاصة لوسائل الانتاج وبالمساواة في مجال الانتاج والتبادل وتكفلها اصالة هذه المساواة . ويستند المفهوم الاشتراكي لحقوق الانسان وحرياته الى حقيقة أن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المكفولة تمكن الشعب من ان يتمتع تمتعا كاملا بحقوقه السياسية والمدنية وان يقدم مساهمة حقيقية في تقدم المجتمع . وكانت البلدان الاشتراكية في مقدمة البلدان التي اقترحت وضع مشاريع قوانين دولية حول حقوق الانسان وتبني هذه القوانين . وبالاضافة الى هذا ، فقد عملت على تنفيذها بالكامل وصدقت على الاتفاقيات الدولية حول حقوق الانسان وحرياته وجعلت منها قوانين وطنية وهو الأمر الذي اعترف به العالم أجمع .

وقد ابرزت لجنة حقوق الانسان التابعة للامم المتحدة ان نطاق حقوق الفرد التي اقتصرت في الأصل على الحريات الشخصية والسياسية قد اتسعت الى أقصى حد في البلدان الاشتراكية لتتضمن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تحددت بنفس دقة ووضوح الحقوق السياسية .

كوهين ـ انطلاقا من هذا يمكننا القول بان الراسمالية بطبيعتها لايمكنها أن تكفل الحقوق المتساوية للجميع . وطالما ظلت هناك عدم المساواة فيما يتعلق بوسائل الانتاج التي تقوم على أساس الملكية الخاصة فان عدم المساواة ستظل قائمة فيما يتعلق بالحقوق الاجتماعية والسياسية والمدنية . ومن الناحية الأخرى فان الاشتراكية هي أول نظام في التاريخ أعلن وكفل :

ـ التطوير الشامل لجميع الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للفرد :

الحق فى العمل والتعليم والراحة والترويح عن النفس والضمان الاجتماعى والتى لا يمكن تصور الحرية الحقيقية بدونها .

ـ حق الاقتراع الشامل وغير المقيد وكذلك الديموقراطية الانتاجية الحقة المتمثلة فى شكل المشاركة العمالية المباشرة فى الادارة .

ـ الحل العادل للمسألة القومية مما ادى الى التقدم السريع لكل الشعوب والقوميات .

ـ الحل العادل لمشكلة المساواة فى الحقوق للنساء .

بليشنكو ـ هناك كثير من الحقوق والحريات المعترف بها عالمية سواء التى صيغت طبقا للمعايير القانونية الدولية . أو حتى التى صيغت فى الشكل المبتور فى قوانين أكثر البلدان الراسمالية الديموقراطية كانت مفتقدة فى التشريعات قبل ثورة أكتوبر . وقد حفزت التطبيقات القانونية فى الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الأخرى الجماهير لتشديدنضالها فى سبيل التشريعات الديموقراطية واضطرت المشرعين الراسماليين الى توسيع نطاق حقوق الشعب العامل .

واذا صادفت هذه الاستنتاجات القبول فانهيمكننا الانتقال الى المجموعة الأخرى من الأسئلة المتعلقة بالنقد البورجوازى السقيم للمفهوم الاشتراكى لحريات وحقوق الانسان .

نقد لا يمكن الدفاع عنه

كوهين ـ لقد تعرضنا لهذا الموضوع عند مناقشة الاختلاف بين العالم الاشتراكى والعالم الراسمالى فى تفسير مفهوم الحقوق والحريات . ولكن نعود الى الأسئلة التى جاءت فى الخطاب ، ففى الواقع فان الأيديولوجيين البورجوازيين بينما يبرزون أن الثورة الاشتراكية قد خلقت مجتمعا جديدا وشرعية جديدة ونوعا جديد من الدولة . فانهم يزعمون أن الثورة تتناقض مع القانون وتنكره . ويقولون ايضا ان الدول الثورية والاشتراكية تنظر الى القانون كوسيلة تكتيكية وتحترم أو تخرق المعايير القانونية الدولية

عندما تشاء . ويتفق هذا الراى من زاوية ما مع ما يعتقده اليساريون المتطرفون بأنه يتعين على البلد الذى تنجح فيه الثورة أن تنبذ جميع المعايير القانونية .

بليششنكو ــ ان مثل هذه النظريات تقلب الحقائق . نعم ، لقد حرمت الثورة ــ وأنا أشير هنا الى ثورة أكتوبر فى روسيا ــ عدة مئات أو حتى عشرات الألوف من المستغلين من الحقوق المدنية . ولكنها منحت الملايين وعشرات الملايين من الشعب الفقير المحروم الحقوق المدنية والاجتماعية والاقتصادية الحقيقية .

كوهين ــ وعلاوة على هذا ، فان الثورة الروسية لم تحرم كل المستغلين السابقين من حق الاقتراع . وقد اخبر **لينين** احد الصحفيين الأمريكيين ان الدولة السوفييتية بعد ثورة ٧ نوفمبر ١٩١٧ لم تغلق حتى الجرائد البورجوازية وانها لم تطلق سراح العديد من أعضاء وزارة **كيرينسكى** فحسب بل اطلقت سراح **الجنرال كراسنوف** الذى شن صراعا مسلحا ضد البلاشفة والشعب العامل . **ولم يصبح من الحتمى الدفاع عن الثورة بكل الوسائل بما فيها وضع قيود معينة على حقوق اعدائها الا بعد أن شنت الطبقات المستغلة الحرب الاهلية .**

بليششنكو ــ ينطبق هذا ايضا على البلدان الاشتراكية الأخرى التى حرمت بصورة كاملة جميع المستغلين السابقين من حقوقهم المدنيه . وفى الحقيقة فان الفضل يرجع فقط الى انتصار ثورة اكتوبر ونمو النفوذ الدولى للاتحاد السوفييتى وهزيمة المانيا الهتلرية ونمو قوى السلام والاشتراكية فى تمهيد الطريق أمام اعلان حقوق الانسان وحرياته الأساسية على المستوى الدولى . وقد ضمنت بفضل جهود الاتحاد السوفيتى المعايير القانونية الجديدة التى صاغها **لينين** فى قالب نظرى فى ميثاق الأمم المتحدة باعتبارها مبادىء للقانون الدولى معترف بها عالميا، وقد غيرت هذه المبادىء الجديدة ــ تحريم حروب العدوان والالتزام بحماية السلام وحق الشعوب فى تقرير مصيرها ، والغاء الاستعمار ، والمساواة فى السيادة ، والتسوية السلمية للنزاعات وغيرها وكذلك حظر ابادة الأجناس والاضطهاد العنصرى والتمييز العنصرى ، وتأكيد حقوق الانسان الاقتصادية والاجتماعية ــ تغييرا شاملا جوهر وطبيعة القانون الدولى . وبفضل الاشتراكية اكتسب هذا القانون محتوى ديموقراطيا عاما وأصبح قانونا للسلام والتعايش السلمى بين الدول المستقلة ذات السيادة من مختلف الأنظمة الاجتماعية ويتسم بالأصالة الحقة . وبهذا أصبح هذا القانون يخدم مصالح جميع الشعوب والتقدم الاجتماعى ، ومن أجل هذا تخرق الامبريالية هذا القانون .

كوهين — وبما أن الشرعية الاشتراكية هى واحد من اهم المبادىء اللينينية عن الدولة والتنظيم القانونى للمجتمع فانه يمكننا أن نناقش الان السؤال الذى طرحه خليل فى خطابه عن حق المعارضة . يدعى النقاد البورجوازيون أن غياب الأحزاب المعارضة فى البلدان الاشتراكية يعنى غياب الحرية هناك . ولهذا الادعاء تأثير معين على الجماهير طالما أن هناك أحزاب شيوعية وعمالية قوية فى بعض البلدان الراسمالية تقف فى صفوف المعارضة بل ونجحت فى بعض الحالات فى احتلال مراكز هامة بلغت حد الاشتراك فى الحكومة مما يعتبر مؤشرا للمكاسب الديموقراطية التى احرزها الشعب العامل .

بليششنكو — ان وجود الأحزاب المعارضة فى ظل الراسمالية مسألة طبيعية وضرورية — حيث ان المجتمع الراسمالى يتكون من طبقات متعادية . حقا هناك اختلافات معينة حتى فى صفوف المجموعة الحاكمة ناشئة عن عدم تجانس آراء اعضاء هذه المجموعة حول مصالح طبقتهم والبلد ككل . ويكمن فى هذا ، المصدر الموضوعى لوجود التعددية السياسية فى الديموقراطية البورجوازية .

لاتوجد احزاب معارضة فى البلدان الاشتراكية ، وفى بعض البلدان يوجد نظام تعدد الأحزاب ولكن هذا لايعنى أن الأحزاب غير الشيوعية تمثل المعارضة حيث أنه لايوجد فى ظل الاشتراكية مستغلون أو مستغلين ولا توجد مصالح متعادية ومن ثم ليست هناك ثمة حاجة للتعبير عن هذه المصالح فى صورة تكتلات سياسية متحاربة .

وفوق هذا فان تشكيل كل دولة قد تأثر بمختلف العوامل والخصائص الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية والقومية التى تركت بالضرورة طابعها على التركيب الحالى لكل دولة . ومن ثم يكون من الخطأ « النقل » الميكانيكى لأوضاع بلد ما الى بلد آخر .

كوهين — وبكلمات أخرى ، فان المطالبة بقيام أحزاب معارضة فى ظل الاشتراكية لقائمة حيث توحد وسائل الانتاج والسلطة السياسية فى ايدى الشعب العامل يعادل المطالبة بالردة الاجتماعية والدعوة الى الغاء النظام القائم واعادة الاستغلال وعدم المساواة .

بليششنكو — تماما ، وهذا يفسر الحماس الذى تبديه الدعاية الاحتكارية فى محاولة خلق الاحساس بانه توجد « معارضة داخلية » فى البلدان الاشتراكية ، وفى تحريض أفراد يعدون على أصابع اليد الذين يسمون انفسهم بالمناهضين للاشتراكية . أما بالنسبة لموقف المجتمع الاشتراكى من « المنشقين » فاننا يمكن أن نلحظه فى الادانة الجماعية لهم من جانب الشعب .

بالدور الذى لا ينكر للتضامن الاممى الا اننا نستهجن ادعاءات الامبريالية الامريكية فى الدفاع عن حقوق الانسان خارج حدودها لانها تنتهك هذه

كوهين ــ ومع ذلك ، فان نقاد الاشتراكية ، بمن فيهم أعضاء فى حكومات بعض البلدان مثل الولايات المتحده يدعون أن معاملة « المنشقين » كاشخاص خونة لمصالح بلدهم وشعبهم من جانب الدول الاشتراكية فان هذه الدول تتصرف بطريقة غير قانونية و « تنتقص » من حقوق الانسان وحرياته .

بليششنكو ــ فلنبدأ أولا ببحث الجانب الأخلاقى فى الموضوع . اننا نعرف ان لدى الحكومة الأمريكية والبنتاجون والمخابرات المركزية خبرة كاملة فى كبت الحقوق المدنية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وحريات الشعوب . فقد حاولوا تدمير هذه الحريات فى الهند الصينية بواسطة القنابل والنابالم . وقد دفعوا ومازالوا يدفعون للقتلة العاملين فى شيلى وباراجواى وغيرهما من البلدان . ومن الانصاف الان وقد شرع هؤلاء « الانسانيون » فى « الدفاع » عن الحريات فى البلدان الاشتراكية أن نسأل : ضد حريات وحقوق من يشنون حملاتهم ؟ والاجابة بسيطة . انهم يشنون الحملات ضد حق الشعوب فى البلدان الاشتراكية فى بناء حياتهم كما يرغبون وطبقا لقوانينهم ودساتيرهم وليس طبقا لقوانين ودساتير واشنطن . انهم يشنون الحملات ضد حق جميع الشعوب فى حياة سلمية وهو الأمر الذى يحتاج الى الانفراج والتعايش السلمى .

انه فى هذا وليس فى الانسانية المدعاة للمتحمسين البورجوازيين «لحقوق الانسان » يكمن السر فى هذه الضجة عن « المنشقين » وعن « المعارضة الداخلية » والادعاء بالقدرة « لارشاد الآخرين كيف تكون الحياة» والمحاولات لفرض نظامهم فى الحكم التعسفى وانتهاك القانون ، على الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الأخرى .

كوهين ــ ان حكام امريكا هم آخر من يستطيعون تقديم بلادهم كنموذج لاحترام الحقوق المدنية . ان أمريكا لنموذج حقا ! . انها البلاد التى يسترق فيها مرشح الرئاسة السمع على منافسه فى الانتخابات ، بلاد يمكنك أن تؤجر فيها أحد رجال العصابات للتخلص من أحد منافسيك السياسيين ، بلاد يوضع بها ١٤٠٠٠ شخص معظمهم من السود والهنود فى ٧٧ سجنا فى شمال كارولينا وحدها ، بلاد حكم فيها على بنيامين شافيس بطل الدفاع عن الحقوق المدنية بـ ٣٤ عام سجن بناء على اتهام ملفق . ومن ثم فان القاء الخطب « دفاعا » عن الحريات المدنية من هذا النوع الاخلاقى لايمكن وصفه . الا بالنفاق .

وقد كشف قادة الحزب الشيوعى الارجنتينى فى بيان اخير تدخل الامبريالية الأمريكية فى شئون بلادى تحت الدعوى المزيفة « للدفاع » عن حقوق الانسان هذا بينما تمثل المخابرات المركزية والاحتكارات العمود الرئيسى لسيادة موجة الارهاب الوحشى . ويؤكد البيان انه « بينما نعترف

بالدور الذى لا ينكر للتضامن الاممى الا اننا نستهجن ادعاءات الامبريالية الامريكية فى الدفاع عن حقوق الانسان خارج حدودها لانها تنتهك هذه الحقوق فى داخل حدودها وفى أجزاء مختلفة من العالم ؟ . وأعلن الشيوعيون الشيليون ، بدورهم ، أن اقصى مايتوفعونه من الادارة الأمريكية الجديدة أن تضع حدا لتدخلها فى الشئون الداخلية لشيلى التى تتمثل فى تقديم المساندة للنظام الفاشى .

تعرضنا فيما سبق الى الجانب الأخلاقى فى الموضوع ولكن ماذا عن الجانب القانونى ؟ هل تنتقص القوانين السوفييتية مثلا فى حرية الرأى او الاختلاف ؟

هل تنتقص الاشتراكية من حرية الراى ؟

بليششنكو ـ فلنتفق أولا عما هو مقصود « بحرية الراى » و « الاختلاف » . ان نقد النواقص هو نوع من « الاختلاف » تشجعه الاشتراكيه . ويمكن لاى شخص يقرأ الصحافة السوفييتية أن يتأكد بنفسه من هذا . وتناقش صحافتنا أكثر المشاكل حساسية والتحديات التى تواجه بناء الاشتراكية . وتحمى القوانين السوفييتية حرية النقد على كافة المستويات والمناقشة الواسعة لكل مشكلة اجتماعية والتى تعتبر معايير لحياتنا الداخلية . وانه لامر مزر من جانب الحقودين فى البلدان الرسمالية أن يضمنوا فى قائمة « المنشقين » عمالنا وفلاحينا ومثقفينا الذين يبعثون بانتقاداتهم الى الصحف او يدلون بها فى الاجتماعات العامة أو فى اجتماعات الاجهزة الحكومية . انه لامر مزر لان هؤلاء الناس ليسوا « بمنشقين » كما يحاول أن يصوره نقاد الاشتراكية بل مواطنون يشاركون فى الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية لشعبنا .

وانه لمرز أيضا ، كما أعتقد ، ان نطلق صفة « المنشق » على أى شخص غير راض لسبب أو لاخر عن حياته ويلوم المجتمع لفشله الشخصى ولسوء تقديراته . فهناك أشخاص ساخطون فى أى مجتمع ولا ينبع سخطهم من أسباب سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية بل من أسباب سيكولوجية . ويوجد أيضا فى بلادنا أشخاص ذوى عقلية استهلاكية وضعاف النفوس أو أناس يستبد بهم الطموح والغرور بمواهبهم وقدراتهم كما هناك اناس واقعون ضحية للوهم بانه قد أسىء اليهم فى هذا الموقف أو ذاك ، وهم يلومون الدولة السوفييتية على تخلفهم ولكن الدولة السوفييتية لاتعتبرهم مناهضين لها فهى تعمل على معالجة نواقصهم والاخذ بيد من سقط منهم وتساعد الضعيف على أن يجد مكانه فى الحياة .

ولا يفوتنا القول بهذه المناسبة أن نقادنا لايبدون أى اهتمام بمصير امثال هؤلاء « المدافعين عن الحقوق » حالما يهاجرون من الاتحاد السوفييتى . وليس من قبيل المصادفة أن كثيرا من المهاجرين لايجدون أعمالا أو يعيشون فى فقر أو حتى يقيمون فى مصحات عقلية . وليس من المصادفة

أيضا أن السفارات السوفييتية تتلقى خطابات كثيرة من « أبطال الدفاع عن حقوق الانسان » السابقين يطالبون فيها باعادة السماح لهم بالعودة للاتحاد السوفييتي وذلك بعد أن لمسوا بأنفسهم ماهية الحياة والحريات الرأسمالية .

كوهين ـ ماذا عن « المنشقين والساخطين العديدين » الذين تتحدث الدعاية الرأسمالية عن وجودهم في الاتحاد السوفيبتي وعن حقوقهم المهددة المزعومة ؟

بليشنكو ـ يوجد منهم عدد يعد على أصابع اليد وحتى هذا العدد متنافر الاتجاهات . فهو يشغل هؤلاء الذين غرر بهم ونحن ـ من جانبنا ـ نرغب في الحوار مع مثل هؤلاء الناس وان نبين لهم خطاهم ومثل هذا الحوار مثمر . فقد تخلى كثيرون من هؤلاء الذين كانت لهم آراء معادية للسوفييت لسبب أو لآخر عن أفكارهم الخاصة ونفضوا عن كاهلهم تأثيرات الايديولوجيات الغربية . أما بالنسبة لحالة سولجنيتين وبوكوفسكى وآماليك وغيرهم من الكلاب المسعورة المعادية للشيوعية فأمرهم مختلف

ونحن نعرف ايضا ان المزاعم « بخرق حقوق الانسان » في البلدان الاشتراكية تاتى في الغرب ايضا من جانب بعض التقدميين بمن فيهم هؤلاء الذين يقفون مع الاشتراكية من ناحية المبدأ . وسنتعرض على الفور لهذا الاتجاه . بصورة عامة لابد أن نضع في أذهاننا انه بينما توفر الديموقراطية الاشتراكية للفرد أقصى الحقوق والحريات الا انها ما زالت نظاما اجتماعيا في طريق التطور والاكتمال كما يتضح ذلك في مشروع الدستور السوفييتي الجديد المعروض على الشعب للمناقشة . ولكننا نرفض ـ ونحن نطور الديموقراطية ـ المفهوم المجرد عن الحرية غير المقيدة التي لايمكن أن تفضى الا الى الفوضى . فهناك قيود معينة لا مناص منها ولابد أن يكون للفرد التزامات معينة ازاء المجتمع . ولقد ادرك حتى الرومان هذه الحقيقة ـ فهم كانوا يرددون « الحرية هدف كل قانون » ولكن « هناك حدودا لكل شيء » . فالقانون هو الذي يحدد بصورة رسمية معيار الحرية الفردية والحرية الاجتماعية . وقد أشار ماركس الى أن « الحرية في دولة ماتتواجد في شكل قوانين .. ومجموعة المبادىء القانونية هي انجيل الحرية » . ففي الاتحاد السوفييتي تعتبر جرائم الدعاية للحرب والعدمية والعنصرية أو النزعة العسكرية ، وكذلك تعتبر الافعال واعمال الاثارة الهادفة الى تقويض أو اضعاف النظام الاجتماعي السوفييتي أفعالا تنتهك القانون السوفييتي . وعندما نرتكب الافعال من هذا النوع بتعمد وبتأييد من الدول أو المنظمات الخارجية أو من أشخاص يعيشون في الخارج فانه يصبح من واجب المجتمع أن يدافع عن نفسه . اننا لعلى يقين بأننا اذا كنا لانرغب في التخلي عن موقفنا الطبقي

أو فى خرق قوانيننا الخاصة فانه يتعين علينا الا نسمح بحرية العمل فى داخل بلد اشتراكى لأعداء الاشتراكية ولأعداء الحريات والحقوق التى منحتها الاشتراكية للملايين من الشعب العامل .

كوهين ــ فى الحقيقة ان الاعلان العالمى حول حقوق الانسان يتحدث عن التزامات ازاء المجتمع ويحدد الشرعية بمفهوم ان القانون يمكن أن يقيد حقوق وحريات الفرد فيما يتعلق بالاعتراف واحترام حقوق وحريات الأعضاء الآخرين فى المجتمع ولضمان مستوى معين من الأخلاقيات والنظام العام والرفاهية العامة . ولكن يحدث أحيانا أن تثار الاعتراضات على وضع مثل هذه القيود من زاوية القانون الدولى .

بليشنكو ــ هذه الاعتراضات لا اساس لها . فقد اشارت ندوة الأمم المتحدة حول حقوق الانسان التى عقدت فى قبرص عام ١٩٦٩ الى أن الاشخاص الذين يعيشون معا فى مجتمع منظم عليهم أن يتقبلوا قيودا معينة على حقوقهم لانه يجب موازنة حقوق الفرد مع مصالح المجتمع وفى هذا الصدد فان المواثيق الدولية حول حقوق الانسان تجيز وضع قيود قانونية معينة على عدد من الحريات الواردة فيها . ومثل هذه القيود من هذا النوع تضعها جميع الدول . ويحضرنى فى هذا المجال ان القوانين فى بلجيكا تعاقب بـ ٥ سنوات سجن وبغرامة تصل الى ٢٠ الف فرنك للشخص الذى يقوم بنشاطات أو دعايات تستهدف زعزعة ولاء المواطنين لدولتهم اذا استعان فى ذلك بأموال من الخارج .

كوهين ــ أود الاشارة الى التعارض الكامل بين القيود التى تفرضها القوانين الاشتراكية والقوانين الراسمالية بالرغم من التشابه الخارجى بينها . فالقانون البورجوازى يفرض هذه القيود لحماية مصالح النظام الراسمالى والأقلية المستغلة بينما يضعها القانون الاشتراكى لحماية مصالح الشعب العامل وكل المواطنين ضد انتهاكات وتعديات بعض الأفراد وبهذه الصورة تكون قد أجبنا عن سؤال المواطن الاردنى خليل حول حقوق الانسان من يدافع عنها وكيف ، وكذلك سؤاله عن الحقوق الانسانية فى ظل الراسمالية والاشتراكية .

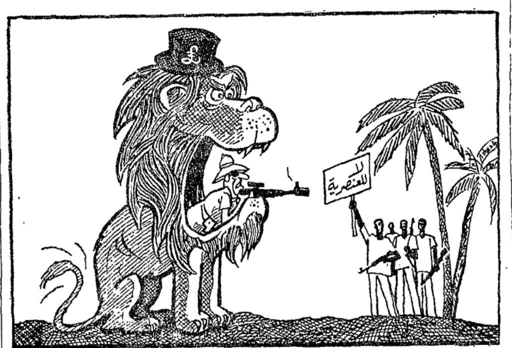
بليشنكو ــ اننى أتفق معك تماما فى هذا . ولكننى ارى انه يتعين علينا أن نستخلص استنتاجات محددة . ويهمنى أن أؤكد ان الجوهر الديموقراطى العام والشامل للمعايير القانونية الدولية كان نتاجا للنضال المتصاعد للشعوب من أجل الديموقراطية وحقوق الانسان وحرياته وفى سبيل السلام والتقدم الاجتماعى وأن هذا النضال يلعب دورا متزايدا فى هذا المجال .

كوهين ـ أظن انه بامكاننا صياغة الاستنتاج الثاني فى الكلمات التالية يستخدم الامبرياليون الأكذوبة المفضوحة عن « خرق » حقوق الانسان وحرياته فى الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الأخرى كسلاح سياسى ضد الحركة الجماهيرية المتصاعدة من أجل الحقوق الديموقراطية الحقيقية لغالبية الشعب . ان الحملة حول « انتهاكات » حقوق الانسان ماهى الا واجهة دعائية تختفى وراءها الدوائر الامبريالية الرجعية وخاصة فى الولايات المتحدة التى تحاول تغطية دورها كالركيزة الأساسية للانظمة الفاشية . وكذلك تستخدمها الدوائر الامبريالية الرجعية فى محاولة منها لصرف انظار الرأى العام عن المفهوم الاشتراكى والتقدمى لحقوق الانسان وحرياته وللتقليل من جاذبيتها فى أنظار الغالبية من الشعب العامل وكذلك لصرف الانظار عن التعسف البوليسى والانتهاكات لحقوق الانسان وحرياته فى العالم الرأسمالى .

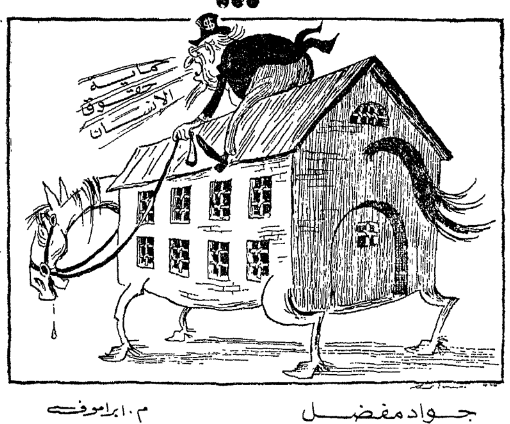
بليششنكو ـ وهناك أيضا اهداف سياسية وايديولوجية اخرى لهذه الحملة . تعتقد المجموعات الامبريالية العدوانية ان الهجوم على النظام السائد فى البلدان الاشتراكية والتدخل الفاضح فى شئونها ـ بما يتناقض مع جميع المعايير الدولية ـ سوف يؤدى الى تقويض المناخ الدولى السياسى والقانونى المناسب الذى ظهر مع الانفراج . وهذا فى اعتقادى هو الاستنتاج الثالث الذى يمكن ان نخرج به .

كوهين ـ بالنسبة للماركسيين ـ اللينينيين ولكل انسان يريد تغيير المجتمع وفق خطوط اشتراكية فان مقياس الحرية هو الحرية الممنوحة للطبقة العاملة وغيرها من فئات الشعب الكادح ، وأن النضال فى سبيل الديموقراطية ماهو الا جزء هام من النضال فى سبيل الاشتراكية . ومن ثم فاننى أعتقد بضرورة أن نوضح دائما بأن التأكيدات حول انتهاكات حقوق الإنسان وحرياته فى البلدان الاشتراكية خاطئة بغض النظر عما اذا كانت صادرة عن اعتبارات طبقية أو تنبع من فهم خاطىء أو معلومات مضللة . ويجب علينا ألا ننسى أن العداء للسوفييت والعداء للاشتراكية والعداء للشيوعية يشكل عقبة أمام النضال فى سبيل حقوق الانسان فى تلك البلدان التى يجرى خرقها فيها . ومن ثم فان العمل التوضيحى والحجج الرصينة تساعد الحركة العاملة من أجل السلام والديموقراطية والتقدم الاجتماعى فى كسب قوى جديدة وكذلك تساهم فى توطيد وتعبئة الجماهير فى النضال فى سبيل هذه الاهداف .

• كاريكاتير •



موقع دفاعي لإيان سميث — ف. فولكوف



جواد مفضل — م. ا. ابراموف

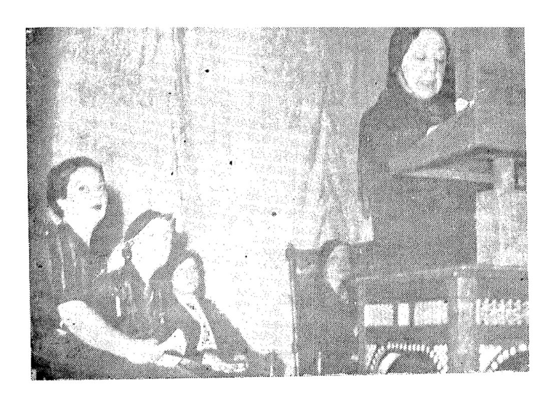
قاسم أمين وتحرير المرأة

بقلم: د. محمد عمارة

(... هناك تلازم بين الحالة السياسية والحالة العائلية ... فشكل الحكومة يؤثر فى الآداب المنزلية ، والآداب المنزلية تؤثر فى الهيئة الاجتماعية ... ففي الشرق نجد المرأة في رق الرجل ، والرجل فى رق الحكومة ... وحيثما تتمتع النساء بحريتهن الشخصية يتمتع الرجال بحريتهم السياسية ، فالحالتان مرتبطتان ارتباطا كليا .

وافتقار المرأة الشرقية الى الاستقلال بكسب ضروريات حياتها هو السبب الذى جر ضياع حقوقها ، فلقد استأثر الرجل بكل حق ، ونظر اليها نظرته الى حيوان لطيف ، يكفيه لوازمه كى يتسلى به !..)

قاسم أمين



هدى شعراوى تخطب فى المؤتمر الثانى عن قضية فلسطين « ١٥ - ١٠ - ١٩٣١ » . « وفرضت المرأة وجودها فى العمل السياسى منذ ثورة ١٩١٩ »

ان التعميم فى الحكم على الميراث العربى والشرقى فيما يتعلق بحقوق المرأة والنظرة اليهـا وتقييم دورها فى المجتمع وعلاقتها بالرجل . ذلك الميراث الذى واجهه قاسم أمين ومعاصروه عندما فكروا فى دخول هـذا الميدان من ميادين الاصلاح الاجتماعى .. ان التعميم فى الحكم على هـذا الميراث هو خطأ ، وخطأ كبير ..

ذلك أن تراث العرب والشرق قد اشتمل على تيارين رئيسيين تمايزا الى حد كبير فى هذا الموضوع .. فحيثما كانت هناك حركات فكرية عقلانية أو ثورية أو تقدمية ، وجدنا للمرأة فى صفوفها دورا ملحوظا ، نسبيا ، ووجدنا فى فكر هذه الحركات والتيارات حديثا مشوبا بالكثير من الاحترام للمرأة ودورها فى الحياة .. نجد ذلك عند المعتزلة ، والخوارج ، وبعض فرق الشيعة ..

وحيثما كانت السيادة للفكر المتخلف ، والمهـام الاولى للحركات الفكرية هى التبرير لمظالم الحكم واضفاء الشرعية على تصرفات المستبدين بالسلطة كان الاحتكار للمرأة ، والنظر اليها كسلعة من سلع المتعة ، ومخلوق جميل وضعيف قد خلقه الله كى تتزين به القصور ويستمتع به الرجال ! ..

ولما كانت الغلبة والسيادة ، ان فى الزمن طولا أو فى الصوت قوة وعلوا ، كانت من نصيب ذلك المفهوم الثانى والتقييم الاخير ، فلقد أصبحت ألوان

تراثنا الفكرى مليئة بكل ما يحقر المراة ويغض من شأنها ، ورسخ ذلك فى فكرية المجتمع الشرقى ، خصوصا بعد ان طال ليل العصور « المملوكية ـ العثمانية » ، حتى لقد غابت من الميراث الفكرى الذى كان الناس يتداولونه أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر تلك القسمة الاخرى فى تراثنا ، التى تنصف المرأة وتضع اعتبارا لدورها الايجابى فى الحياة ..

ومن هنا نستطيع ان نتخيل : اى ميراث فكرى كان يطالعه جيل قاسم امين عن المراة وحظها من الحرية ونصيبها من المساواة ؟! .. وهذا التخيل أمر ضرورى ، لا لتقييم العمل الفكرى والتطبيقى الذى بذله وانجزه قاسم أمين ، فى ذلك الميدان ، التقييم الذى يستحقه فحسب ، بل ولادراك : لماذا كانت أحلام قاسم امين وجيله فى هذا الميدان متواضعة جدا ، عندما تنظر لها الان فى ضوء ما أنجزته حركة تحرير المرأة فعلا ، فضلا عن الآمال التى ما زالت تسعى فى سبيل تحقيقها على هذا الدرب الطويل ؟! ..

ونحن نستطيع أن نكشف ملامح تلك ألفكرية المتخلفة التى ورثها ذلك الجيل ، فى هذا الموضوع ، بالاشارة الى نصين يعبر كل منهما عن فكرة وموقف حددهما المجتمع من المراة ..

اولهما : يعبر عن المقولة القائلة بان موت المراة خير من حياتها ، وان بطن الارض أكرم لها وللحياة من ظهرها !! .. ويعبر عن هذه المقولة أبو بكر الخوارزمى (٩٣٥ ـ ٩٩٣ م) .

عندما يكتب الى رئيس « بهراء » معزيا فى وفاة ابنته ، فيقول :

« ... ولولا ما ذكرته من سترها ، ووقفت عليه من غوائب أمرها ، **لكنت الى التهنئة أقرب من التعزية !! فان ستر العورات من الحسنات ، ودفن البنات من المكرمات ! ونحن زمان اذا اقدم احدنا فيه الحرمة ، فقد استكمل النعمة ، واذا زف كريمة الى القبر ، فقد بلغ أمنيته من الصهر !** قال الشاعر :

ولم أر نعمة شملت كريما كنعمة عورة سترت بقبر

وقال آخر :

تهوى حياتى وأهوى موتها شفقا والموت أكرم نزال على الحرام

وقال آخر :

وددت بنيتى وودت أنى وضعت بنيتى فى لحد قبرى

وقال آخر :

ومن غاية المجد والمكرمات بقاء البنين وموت البنات

وقال آخر :

ســـــميتها اذ ولـــدت : تموت والقبر صهر ضامن وبيت !! (١)

وثانيهما : اى ثانى النصين ــ هو المعبر عن سيادة المجتمع الانفصـــالى ، وصرامة هذا الفصل بين الرجال والنساء .. ويعبر ابو العـــلاء المعرى (٩٧٣ ــ ١٠٥٧ م) عن هذه المقولة عندما يقول :

اذا بلغ الوليـــــد لديك عشرا فلا بد على الحـــــرم الوليـــد
وان خالفتنى وأضعت نصحى فانت ، وان رزقت حجى ، بليد
الا ان النساء حبـــال غى بهن يضيع الشرف التليـــد (٢)

تلك كانت مواريث الفكر ، عن المرأة ، التى واجهـــا قاسم امين وجيل قاسم أمين .. ومن ثم فنحن نستطيع أن نبصر عمق قاسم امين عنـــدما **ربط بين تخلف المرأة وعبوديتهـــا وبين ســـيادة النظم المستبدة** ، فى فترات طويلة ، حياة الشرق ومجتمعاته .. فلا الاسلام ، ولا طبيعـــة الاشياء ، ولا خصائص ضعف المرأة وقصورها ، هى التى ميزت بين الرجال وبين النساء وقسمت شئون الحياة بينهم تلك القسمة غير العادلة ، وانما هو الاستبداد الذى جعل من المرأة احدى فرائسه ، فكبلها بالقيود والاغلال .. ومن ثم فان تحررها مرتبط بتحرر الرجل من الاستبداد ، اى بتحـــرر المجتمع ككل .. وهو يعبر عن هذه الفكرة الهامة عندما يتحدث عن « أن مبدأ تشكيل الحكومة كان على صورة العائلة ، **والحكومة التى تؤسس عـلى السلطة الاستبدادية لا ينتظر منها أن تعمل على اكتساب المرأة حقوقهـــا وحريتها .. فهناك تلازم بين الحالة السياسية والحالة العائلية فى كل بلد، ففى كل مكان حط الرجل من منزلة المرأة وعاملها معاملة الرقيق حط بنفسه وافقدها وجدان الحرية ، وبالعكس ، فى البلاد التى تتمتع فيهـــا النساء بحريتهن الشخصية يتمتع الرجال بحريتهم السياسية ، فالحالتان مرتبطتان ارتباطا كليـــا .**

وان لسائل أن يسأل : اى الحالتين اثرت فى الاخرى ؟ نقول : انهمـــا متفاعلتان ، وان لكل منهما تاثيرا فى مقابلتها ، وبعبارة أخرى : ان شـــكل الحكومة يؤثر فى الاداب المنزلية ، والاداب المنزلية تؤثر فى الهيئةالاجتماعية

انظر الى البلاد الشرقية ، تجد أن المرأة فى رق الرجل ، والرجل فى رق الحاكم ، فهو ظالم فى بيته مظلوم اذا خرج منه ! ثم انظـــر الى البـــلاد

---

(١) (الهلال) تابين قاسم امين . انظر مقدمة ناشر (اسباب ونتائج) لقاسم امين ص ٤ ، ٥ .

(٢) المعرى : (لزوم ما لا يلزم) جـ ١ ص ٢٤٧ . تحقيق امين عبد العزيز الخانجى ــ طبعة القاهرة سنة ١٩٢٤ م .

الاورباوية ، تجد أن حكوماتها مؤسسة على الحرية واحترام الحقـــوق الشخصية ، فارتفع شان النساء فيها الى درجة عالية من الاعتبار وحرية الفكر والعمل ! » .

وحقيقة أخرى على جانب كبير من الاهمية ، والعمق أيضا ، وعاها قاسم أمين ، عندما أدرك أن افتقار المراة الى « الاستقلال الاقتصادى » ، وبعدها عن ميادين العمل المنتج فى المجتمع جعلها تابعة وخاضعة لمن يسد رمقهـا ويضمن لها مقومات الحياة وضرورياتها .. وادراك قاسم امين لهذه الحقيقة هو امتداد للمنهج الاجتماعى الذى استخدمه فى دراسة المجتمع وتفسـير التاريخ .. وهو يعبر عنها عندما يتحدث عن عمل المراة ودوره فى تحريرها، اذ لو تبصر المسلمون لعلموا **أن أعفاء المرأة من أول واجب عليها ، وهـو التاهل لكسب ضروريات الحيــاة بنفسها ، هو السبب الذى جر ضياع حقوقها . فان الرجل لما كان مسئولا عن كل شىء استأثر بالحق فى التمتع بكل حق ، ولم يبق للمرأة حظ فى نظره الا كما يكون لحيوان لطيف يوفيه صاحبه مايكفيه من لوازمه تفضلا منه ، على ان يتسلى به ! » (١) .**

ذلك هو الميراث الفـكرى ، المعبر عن الواقع العملى ، اى وجها العملة المجسدة لوضع المراة فى المجتمع الشرقى عندما نادى بتحريرها قاسم أمين

وذلك هو تقييمه للاسباب الجوهرية لذلك الوضع المتخلف الذى كانت عليه النساء فى مجتمعه الذى عاش فيه ..

ونحن نستطيع ، دون تفصيل يطيل بنا الحـــديث ، أن نستدعى الى الاذهان صورة أمراة ذلك العصر ، كما رآها قاسم أمين ..

فهى ، اجتماعيا ، لا وجود لها ، لعزلتهـــا عن المجتمع وقبوعها خلف جدران الحريم .. وكما يقول قاسم أمين : فانه « ليس بين الامهـــات الا عدد قليل جدا يعرف القراءة والكتابة ، وليس واحدة لها المام ، ولو سطحيا ، بمقدمات أى علم من العلوم أو فن من الفنون ، وهى فـوق ذلك جاهلة بكل أحوال الدنيا ، ولا تدرى شيئا من المعاملات والتجارة ولا من نظامات وقوانين البلاد التى تسكنها ، فضلا عن الالمام بأى شىء من أحوال البلاد الاخرى ، وهى مع رفيقاتها من النساء عالم مستقل بذاته لا يجمعه بعالم الرجال فكر أو عمل ، وأمة داخل الامة لهـــا اخلاقهـــا وعوائدها ومعتقداتها . وفى الحقيقة : **انهن آثار عتيقة لاجيال مضت ، وبقـايا أزمنة بعيدة .. باقيات على ما كن عليه فى تلك الاوقات ! » (٢) .**

---

(١) قاسم أمين : (تحرير المراة) . فصل : (تربية المراة) .
(٢) قاسم أمين : (أسباب ونتائج) . مقال : (الأمهات والتربية) .

ولم يكن حال المرأة داخل المنزل بالخير كله ، فلم تكن ، كما قد يتوهم البعض ، ملكة لمملكة المنزل ، وانما كانت مخلوقا ضعيفا قد أعد وبعد للاستمتاع أولا وقبل كل شيء .. وعن حالتها المعنوية هذه يقول قاسم أمين :

« واما من الناحية المعنوية ، فهي - (أى المرأة) - مخلوق متكاسل ، ذات طبيعة تأملية ، وبعيدة عن الفاعلية ، تكثر الحديث والضحك ، تحب دينها ، ولكنها لا تمارسه !؟ ليس لها مثل أعلى ، وتتأقلم مع الحياة الواقعية ، وهي زوجة نموذجية ، وأم حانية ، لكنها محدودة المواهب في التدبير المنزلي ! » .

فهي مخلوق ذبلت مواهبه وامكانياته من طول تعطلها وحرمانها من التدرب على ممارسة ماخلقها له الخالق سبحانه ! .. ولقد بقيت لها من هذه المواهب والامكانيات ما كان متعلقا منها « بالشكل » ، فهي على قدر لا بأس به من الجمال « يتجلى على وجه الخصوص في نسب أعضائها ، ومتانة الجسد وتماسكه ، كم تنتشي العيون التي تتطلع الى فلاحة جميلة تمشي مستقيمة بارزة النهدين مثقلة القوام ممتلئة العينين بالاحلام ، طويلة تقريبا ، في كفيها وقدميها دقة رائعة ! .. أما ما تتميز به حقا فهو عيناها الواسعتان السوداوان الحانيتان حتى ليحسبها المرء عيني « ملاك » ، والمعبرتان ، حتى ليفهمهما المرء قبل أن تتحدث هي ! » .

وعلى عظم الضجة وضخامة الرفض اللذين قوبلت بهما صيحات قاسم أمين ، فان مطالب الرجل كانت متواضعة ، بل شديدة التواضع ، اذا ماقيست بما يجب لتحرير المرأة حقا من انجازات واصلاحات . ولكن هذه المطالب كانت تمثل ثورة حقيقية وتغييرا جذريا في فكر المجتمع وأعرافه بالقياس الى واقع المرأة الذى أشرنا الى اللمح العام من ملامحه ..

• **ففي التعليم** : لم يطلب قاسم أمين مساواة المرأة بالرجل في جميع مراحله .. بل طلب لها فقط المساواة به في التعليم الابتدائي ؟! .. وعبر عن مطلبه المتواضع هذا عندما قال :

« .. ولست ممن يطلب المساواة بين المرأة والرجل في التعليم ، فذلك غير ضروري ، وانما أطلب **الآن** ، ولا أتردد في الطلب ، أن توجد هذه **المساواة في التعليم الابتدائي على الاقل** ، وان يعتنى بتعليمهن الى هذا الحد مثل مايعتنى بتعليم البنين » .

وهو لا ينسى في حديثه عن تعليم المرأة أن يميز بين التعليم الجاد الذى يطلبه لها ، وهو الذى يصبح في حياتنا قوة تغير سلبيتها فتجعلها

ايجابية ، ويطورها بتطوير مجتمعها ، وبين ذلك التعليم الذى ليس له من التعليم سوى المظهر والقشور .. ولذلك فهو ينتقد ما كان موجودا يومها من « تعليم » تتلقاه المرأة ، كى تظل به « متعة » أكثر جودة ! .. فيقول :

« .. أما ما يتعلمــــه بعض البنات الان فأراه غير كاف ، لانهن يتعلمن القراءة والكتابة بالعربية وبلغة أجنبية ، وشيئا من الخيــاطة والتطريز ، والموسيقى ، **ولا يتعلمن من العلوم مايستفدن منه فائدة يلتفت اليهـــا** ، وربمـــا زادتهن تلك المعــــارف غرورا بأنفسهن ، فتظن الواحـــدة أنها متى عرفت أن تقول : نهارك سعيد ، باللغة الفرنساوية ، فقـــد فاقت أترابها ، وارتفع شأنها ، وسما عقلها ، ولا تتنازل بعد ذلك لان تشتغل بعمل من الاعمال المنزلية ، فتقضى حياتها فى تلاوة أقاصيص وحكايات قل ما تفيد الا فى اثارة صور من الخيالات تطوف بها وتتمثل لها عالما لطيفـــا تسرح فيه طرفها وهى شاخصة الى دخان السيجارة التى تقبض عليها ! ..

أكثر ماتعرفه المرأة ، التى يقال الان انها متعلمة ، هـــو القراءة والكتابة ، وهذه واسطة من وســـائط التعليم وليست غاية ينتهى اليها ، وما بقى من معارفها فهى قشور تجمعها الحافظة فى ريعان العمر ثم تنفلت منها واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى شىء . اين هذه القشور من **الحقائق العلمية التى يتغذى منها العقل ويتقوى على مطاردة الوهم ؟! »** (١) .

ذلك هو حال تعليم من كن يتعلمن يومئذ من البنات .. وهذا هو رأى قاسم فى هذا التعليم .. ومطلبه فى تعليم النساء ..

• **وفى الحجاب** : لم يطلب قاسم سفور المرأة على النحو الذى كان عليه أمرها فى أوربا يومئذ ، ولا على النحو الذى وصل اليه أمرها هذه الايام .. وهو كذلك لم يطلب اباحة خلوة المرأة الواحدة بالرجل الواحد ، وهو غريب عنهـــا ، ليس بمحرم لها .. وانما طالب فقط بكسر أسوار عزلة المرأة عن المجتمع ، وتحريرها من الحجاب المعوق لها عن العمل وممارسة وظائفهـــا العامة والطبيعية والضرورية ، وحبذا الوقوف بالحجاب عندما هو شرعى منه وفق آراء الفقهاء ، ونادى بالاختلاط الذى تحتمه ضرورات العمـــل ومقتضياته فى معترك كسب الرزق والحياة .. وعن هـــذا المطلب المتواضع يقول :

« ربما يتوهم ناظر اننى أرى الان رفع الحجاب بالمرة ، لكن الحقيقة غير ذلك ، فاننى لا أزال أدافع عن الحجاب ، واعتبره أصلا من أصول الآداب التى يلزم التمسك بهـــا ، غير انى أطلب أن يكون منطبقا على ما جاء فى

---

(١) (تحرير المرأة) . فصل : (تربية المرأة) .

الشريعة الاسلامية ، وهو على ما فى تلك الشريعة يخالف ماتعارفه الناس عندنا، لما عرض عليهم من حب المغالاة فى الاحتياط ، والمبالغة فيما يظنونه عملا بالاحكام ، حتى تجاوزوا حدود الشريعة واضروا بمنافع الامة .

والذى أراه فى هذا الموضوع هو أن الغربيين قد غلوا فى اباحة التكشف للنساء الى درجة يصعب معها أن تتصون المرأة من التعرض لمثارات الشهوة ، ولا ترضاه عاطفة الحياء ، وقد تغالينا نحن فى طلب التحجب والتحرج من ظهور النساء لأعين الرجال حتى صيرنا المرأة أداة من الادوات أو متاعا من المقتنيات ، وحرمناها من كل المزايا العقلية والادبية التى أعدت لها بمقتضى الفطرة الانسانية ، وبين هذين الطرفين وسط ، هو الحجاب الشرعى ، وهو الذى أدعو اليه .. »(١) .

والحجاب الشرعى هو كشف المرأة وجهها وكفيها عند كل الفقهاء ، وأجزاء أخرى من بعض أطرافها الاخرى ، عند نفر منهم ، كما تحدث عن ذلك قاسم أمين ..

• **وفى العمل** : تدرج موقف قاسم أمين وترقى تبعا لتطوره الفكرى ازاء تحرير المرأة .. وهو هنا قد مر بمراحل ثلاث :

١ – **ففى البداية** : وهى مرحلة كتابة (المصريون) سنة ١٨٩٤ م كان يطلب تعليم المرأة ، ويطلب كذلك ان تظل فى البيت ، خاصا بها ومختصة به، وينقد اشتغالها ، لا **بالوظائف العمومية** ، بل وبالاعمال المدنية التى يقوم بها الرجال .. وهو فى التعبير عن هذه الفكرة يقول :

« اننى لا أرى الفائدة التى يمكن أن يجنيها النساء بممارسة حرف الرجال ، بينما أرى كل ما سوف يفقدنه . فان هذه الحرف سوف تجرفهن عن المهام التى يبدو انهن خلقن من أجلها ، كما أن هذه الاعمال لن تجعلهن أكثر فائدة للمجتمع ، ولن تزيد من سحرهن ، بل على العكس من ذلك . ان مشهد الام المتفانية يملؤنى حنانا ، كما يحرك سرورى منظر الزوجة التى تعنى ببيتها ، فى حين انى لا أشعر بأية عاطفة حين ارى امرأة تهل على فى خطى الرجال ، ممسكة كتابا فى يدها ، وتهز ذراعى فى عنف ، وهى تصيح بى : « كيف حالك ياعزيزى ؟! » بل لعلى أشعر بشىء غير بعيد عن النفور .

هل السيدات المؤلفات والسياسات – (ولست أتحدث الا عمن اتخذن حرفة الادب وتجارته) – هل هن حقيقة نساء ؟! وما هى أوجه الشبه بين

---

(١) (تحرير المرأة) . فصل : (حجاب النساء) .

هذه الـــكائنات اللاتى رأين كل شىء ، وقرأن كل شىء ، وفعلن كل شىء ، واللاتى لم تعـــد وجوههن تحمر ، وبين تلك الملائكة اللاتى ما يكدن يرسلن نظرة أو لفظة أو لمسة كف حتى تبتل عيوننا بالدمع وتفعم قلوبنا بالنشوة ؟!

انى أحتقر ادعاء النساء وتحذلقهن ، ولكننى نصير متحمس لاخذ المراة **قدرا نسبيا من التعليم** . اننى انعى تربية النساء المصريات وسط الجهل المطلق ، يجب أن تعرف المراة دائما ما يكفى لكى تلقن أبناءها مبـــادىء الاخلاق والفضيلة ، ولتقدم لهم شرحا علميا للاشياء التى تحيط بهم ، يجب أن تعرف دائما كيف تجيب ، دون أن تخطىء ، على تساؤلات الطفولة التى لا تنقطع .. » (١) .

٢ ــ **وفى المرحلة الثانية :** مرحلة كتاب « تحرير المراة » سنة ١٨٩٨م ، يبقى قاسم امين على موقفــه الرافض تولى المراة « **الوظائف العمومية** » ، ولكنه يتطور خطوة فيطلب لها أن تمارس ، مثل الرجل « **جميع الاعمـال المدنية** » .. علاوة على شئونها الخاصة .. ويعبر عن موقفه الجديد هذا بقوله :

« ان الناظر فى الاحوال التى فضلت فيها شريعتنا الرجل على المراة ، مثل الخلافة والامامة ، والشهادة فى بعض الاحوال ، لا يجد واحدة منهـــا تتعلق **بعيشتها الخصوصية وحريتها** ، وان الشارع لم يراع فى هذه المسائل القليلة الا عدم الخروج بالمراة عن وظيفتها فى العـــائلة ، **وحصر الوظائف العمومية** فى الرجال ، وهو تقسيم طبيعى جرى على مقتضـــاه الى الان التمدن فى أوربا ــ (لم تكن المراة الاوربية قد نالت حقوقها السياسية بعد) ــ ولا يوجـــد فيه شىء يمنع من ترقية المراة والوصول بها الى أعلى مرتبة تستحقها ، وما من عاقل يدرك الغـــرض الصحيح من تلك الحقوق العظيمة التى خولتها الشريعة الاسلامية الى المراة فى **جميع الاعمال المدنية** ، ومنهـــا اهميتها لان تكون وصية على رجل ــ يستحسن ما يخالفها من عوائدنا التى تؤدى الى حرمان المراة بالفعل من استعمال هذه الحقوق » (٢) ..

وقاسم أمين يرى أهلية المراة المصرية ، اذا تعلمت ، لاجادة كل « الاعمال المدنية » التى تجيدها المراة الغربية .. كما يرى فى ذلك عاملا هاما ينمى ثروة المجتمع ويدفع بتطوره الى الامام ، فالمراة عندنا طاقة معطلة واستثمار غير مستغل ، بل لقد أصبحت عالة على ثمرة عمل الرجال .. « **فلأن النساء ، فى كل بلد ، يقدرن بنصف سكانه ، على الاقل ، فبقاؤهن فى الجهل حرمان من الانتفاع باعمال نصف عدد الامة وفيه من الضرر الجسيم ما لا يخفى .**

---

(١) (المصريون) . فصل : (النساء) .
(٢) (تحرير المراة) . فصل : (المراة والامة) .

ولا شيء يمنع المرأة المصرية من ان تشتغل ، مثل الغربية ، بالعلوم والاداب والفنون الجميلة والتجارة والصناعة ، الا جهلها واهمال تربيتها . ولو اخذ بيدها الى مجتمع الاحياء ، ووجهت عزيمتها الى مجـاراتهم فى الاعمال الحيوية ، واستعملت مداركها وقواها العقلية والجسمية لصارت نفسا حية فعالة تنتج بقدر ما تستهلك ، لا كما هى اليوم عالة لا تعيش الا بعمل غيرها ، ولكان ذلك خيرا لوطنها ، لما ينتج عنه من ازدياد الثروة العامة والثمرات العقلية فيه «١» ..

٣ ـ وفى المرحلة الثالثة : من تطوره الفكرى ، ازاء هذه القضية ، مرحلة كتابه « المرأة الجديدة » سنة ١٩٠٠ م ، يبقى قاسم أمين على موقفه من قضية اشتغال المرأة «بالأشغال العمومية والوظائف العامة» أى العمل السياسى ووظائفه العليا ، ولكنه يتقدم فكريا عن ذى قبل ، عندما يعلل للفروق القـائمة بين الجنسين ، والتى أهلت الرجل ، دون المرأة ، لهذه الوظائف السياسية العليا ، فبعد أن كان يرى ذلك تقسيما فطريا وابديا للعمل ، نشأ عن طبيعة كل جنس من الجنسين ، أصبح يـراه ثمرة لتأهل الرجل ومرانه ، وهو الامر الذى حرمت منـه المرأة وأبعدت عنه قرونا طويلة ، ومن ثم يعلق صلاح دخولها هذه الميادين على اكتسابها هذه المؤهلات وذلك المران ، وهمـا فى الامكان ، ولذلك فهـو **يرى أن حرمانها من هذه الوظائف السياسية العليا هو امر مؤقت سيزول بزوال ماله من أسباب .. أما عبارته المعبرة عن فـكرته هـذه ، فهى التى يقول فيها :**

« انى ما طلبت ولا أطلب المساواة بين المرأة والرجل فى شيء مـن المزايا والحقوق السياسية ، **لا لانى أعتقد ان الحجر عـلى المرأة ألا تتناول الأشغال العمومية ، حجرا عاما مؤبدا ، هو مبدأ لازم للنظام الاجتماعى ، بل لأنى أرى اننا لا نزال الى الان فى احتياج كبير لرجال يحسنون القيام بالأعمال العمومية ، وأن المرأة المصرية ليست مستعدة اليوم لشيء مطلقا ، ويلزمها أن تقضى أعواما فى تربية عقلها بالعلم والتجارب حتى تتهيأ الى مسابقة الرجال فى ميدان الحياة العمومية .. » (٢) .**

هكذا رأى قاسم أمين قضية « عمل » المرأة .. وهكذا تطور فكره ازاءها مابين سنة ١٨٩٤م وسنة ١٩٠٠م..

والآن .. لقد آن الأوان لنسأل هذا السؤال :

---

(١) (تحرير المرأة) . فصل : (تربية المرأة) .
(٢) (المرأة الجديدة) . فصل : (الواجب على المرأة لنفسها) .

اية امرأة تلك التى ركز قاسم امين حديثه عنها ؟؟

وبنت اية طبقات الأمة تلك التى سعى لتحريرها ؟ ..

لقد كان قاسم امين داعية مصلحا يبشر بقيم المجتمع البورجوازى ويدعو لفتح الطريق امام مصر كى تتطور فتخلف عصر الاقطاع وراءهـا وتدخل الى رحاب التنوير البورجوازى .. ومن ثم فان المرأة التـى شغلت قضايا تحريرها عقل قاسم امين ، كانت ، فى الاساس ،المرأة البورجوازية ، امرأة الطبقة التى كان ينتمى اليها ، بنت الطبقة الوسطى التى كان متميزة عن بنات الارستقراطية الاقطاعية وكبار الملاك الذين يغلب عليهم الانتماء التركى والشركسى والانتساب لعنـاصر المتمصرين والتى كانت متميزة كذلك عن بنات الفلاحين .

ولم يكن اهتمام قاسم امين بنساء الطبقة الوسطى تعصبا لطبقتـه الاجتماعية ، ولا انغلاقا على عالم خاص به من الناحية الاجتماعية ، فهو بالتأكيـد مصلح كان ينظر للامة ككل ، وان غلبت عليه رؤية لونهـا انتماؤه الاجتماعى .. ولكن مبعث هذا الاهتمـام انه لم يكن يعلق اية آمال عـلى نساء الارستقراطية الزراعية ، فهن مثـل طبقتهن غرباء عن زوح هـذه الامة وقضاياها المصرية ، يعشن كطبقتهن على هامش هـذا المجتمع ، ولا صلة بينهما الا صلة الاستغلال الاقطاعى واستنزاف ريع الارض من الفلاح

اما المرأة الفلاحة والتاجرة والممارسة لحرفة من الحرف .. فلقـد رآها قاسم امين عضوا عاملا فى المجتمع وطاقة منتجة .. صحيح انهـا لاتقرأ ولا تكتب .. صحيح انها غير « متعلمة » .. ولكن انخراطهـا فى الحياة العامة مع الرجل ، وفى مساواة له ، قد جعلها «مثقفة» بالخبرة والتجربة ، فهى ليست قيدا على تطور المجتمع الى الامام ،وان تكن لديها طاقات أخرى كامنة يستطيع ان يطلقها من عقالها .. ان بينها وبين الرجل ، فى طبقتها ، مساواة الى حد كبير !

أما امرأة الطبقة الوسطى فانها كانت موضع أمل ، بل عليها ــ مثـل طبقتها ــ تعلق ألكثير من الامال فى قيادة نهضة الامة وتطورها .. ومـع ذلك فهى وان ((**تعلمت**)) الا أنهـا بمقاييس ((**الثقافة**)) دون امرأة الريف والحرفيين والتجار ــ فهى الطاقة المعطلة حقا وتماما ما بـين النساء اللاتى تتعلق بهن امال المصلحين .. ومن ثم فان اتخاذ قضيه تحريرها محورا لقضية تحرير المرأة عامة هو أمر له مايبرره ، خصـوصا من مصلح مثل قاسم امين ..

ونحن نستطيع أن نتأكد من صدق تحليلنا هذا اذا قرأنا بعض عبارات قاسم امين ..

فهو فى المقارنة بين امراة الطبقة الوسطى والمراة الفلاحة يقول :
« تساوت النساء عندنا فى الجهل مساواة غير محبوبة ، ولا يظهر اختلافهن الا فى الملبس والحلى . بل يمكن ان يقال : **انه كلما ارتفعت المراة مرتبة فى اليسر زاد جهلها ، وان اخر طبقة من نساء الأمة وهى التى تسكن الارياف ، هى اكملهن عقلا ، بنسبة حالها !**

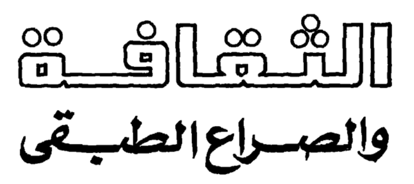
المراة الفلاحة تعرف كل ما يعرفه الرجل الفلاح ، مداركهما فى مستوى واحد ، لايزيد احدهما على الاخر تقريبا . مع اننا نرى المراة العالية او الوسطى متاخرة عن الرجل بمسافات شاسعة ، ذلك لان الرجل فى هذه الطبقات تربت عقولهم واستنارت بالعلم ، ولم تتبعهم نساؤهم فى هذه الحركة ، بل وقفن فى الطريق . وهذا الاختلاف هو اكبر سبب فى شقاء الرجل والمراة معا .

ثم يعرض لذات القضية ، وهو يتحدث عن « الحجاب » فيقول:
« واذا أراد القارىء أن يتبين صحة ما أسلفته من مضار الحجاب ، على وجه لا يبقى للريب معه مجال ، فما عليه الا أن يقارن بين امراة من أهله تعلمت وبين أخرى من أهل القرى أو من المتجرات فى المدن لم يسبق لها تعليم ، فانه يجد الاولى تحسن القراءة والكتابة وتتكلم بلغة اجنبية وتلعب « البيانو » ، ولكنها جاهلة بأطوار الحياة ، بحيث لو استقلت بنفسها لعجزت عن تدبير امرها وتقويم حياتها ، وأن الثانية ، مع جهلها ، قد أحرزت معارف كثيرة اكتسبتها من المعاملات والاختبار وممارسة الاعمال والدعاوى والحوادث التى مرت عليها، وان كل ذلك قد أفادها اختبارا عظيما ، فاذا تعاملتا غلبت الثانية الاولى »

فالتعليم لبنت الطبقة الوسطى لم يفدها الثقافة والمعارف والخبرات .. بينما اكتسبت الفلاحة والتاجرة الثقافة والمعارف والخبرات الخاصة بالحياة من العمل .. وما ذلك الا لأن الأولى تعيش مجتمعا انفصاليا عزلها فيه الحجاب عن مصدر المعرفة الحقة ، بينما تساوت الثانية مع رجل طبقتها ، فخاضا معا غمار الحياة ..

تلك هى افكار قاسم امين عن مشاكل المراة الشرقية .. وآراؤه فى اصلاح أمرها .. وهذه هى المراة التى من أجلها اطلق صيحة النهضة والتحرير ..

●



الثقافة والصراع الطبقي

بقلم: الفيرا هوجمان

ظهر العدد الأول من مجلة كوربسكبرن فى جمهورية ألمانيا الاتحادية منذ اثنى عشر عاما مضت ، فى خريف ١٩٦٥ . وسرعان ماحظيت بشعبية واسعة وتعتبر اليوم بين الدوريات الأدبية الاوسع توزيعا . وشعار المجلة ـ الادب والنقد وصراع الطبقات ـ كان حينذاك غير مالوف كاسمها .

وفى ذلك الوقت كان الشيوعيون وحدهم يتحدثون عن صراع الطبقات بيد أن الحزب الشيوعى الالمانى كان محظورا ومساندته كانت أمرا يعاقب عليه القانون . والى جانب ذلك، فرغم ان عام ١٩٦٥ كان آخر عام فى «المعجزة الاقتصادية» الألمانية الغربية ، كانت الدوائر الحاكمة لاتزال فى وضع تستفيد فيه من عدم وجود أزمة اقتصادية وارتفاع مستوى المعيشة لتنكر وجود أى تناقضات طبقية . ولذلك لم يكن مستغربا أنه فى هذه الظروف اعتبرت المواد التى ننشرها عن صراع الطبقات عملا استفزازيا .

وأسس المجلة الكتاب والصحفيون الشبان كريستيان جيسلر ، وفردريك هيتزر وهانز ستوتز وكانت لها صلات وثيقة مع الروائي مارتن وولسار . وكان هناك الكثير الذى يجمع بينهم ، وبخاصة فهمهم لما يختفى وراء الفكرة التى يروج لها على نطاق واسع حول « مجتمع الطبقة الوسطى المتوازن » ، وكانوا يدركون جيدا الاثر المعطل لايديولوجية الدوائر الحاكمة المتأثرة بتقاليد الكنيسة ، والتى تقدم بشكل سلس نسبيا ، على الحياة الروحية . وكان المحررون يدركون بالمثل أن جزءا هاما من تاريخ العالم والتاريخ القومى تم تطهيره من عقول مواطنيهم بمساعدة العداء للشيوعية الواسعة الانتشار ، تلك السياسة التى ساعدت القوى المعنية على المحافظة على حكمها حتى بعدهزيمةالفاشية الهتلرية. ولهذا السبب اتخذت كوربيسكين موقفا سياسيا واضحا تماما منذ البداية . وافتتح عددها الأول بقصيدة لبابلو نيرودا ، اعقبها شعر ايريك فريد ضد العدوان الامبريالى الأمريكى فى فيتنام ومختارات من مسرحية لهينار كيبهارت التى تفضح فظائع النازيين . وكانت هناك مواد لمؤلفين ألمان غربيين شبان ولكنهم معروفون بالفعل ينتقدون الوقائع البرجوازية . ومما يلفت النظر انه سرعان ماوجد صوت الشعب مخرجا فى المجلة ، التى كانت شيئا تجنبه الادب الألمانى تماما . وكان نشر الاحاديث الصحفية التى اخذت فى الشوارع مساعدا كبيرا للمؤلفين الشبان ، الذين كانوا محاطين عادة بجو بعيد عن الواقع . وكان هذا العمل على العكس تماما من الشعوذة الأدبية التافهة للصفوة التى كان ينظر اليها على انها النوع الوحيد المقبول من الكتابة الابداعية فى المانيا الغربية فى ذلك الوقت .

ومنذ البداية ابدى المساهمون فى المجلة اهتماما كبيرا بالماركسية ورغبة فى اثارة اهتمام خاص بين القراء .

وقرب نهاية الستينات نمت الحركة الديموقراطية فى المانيا الفيدرالية بدرجة ملحوظة وانعكست افكارها فى مسائل عديدة . وكانت هناك الخطبة الغاضبة لطالب أمريكى خلال مظاهرة ضد الحرب فى فيتنام رتبت المجلة نشرها يوم عيد استقلال الولايات المتحدة عام ١٩٦٦ ، وكان هناك حديث صحفى أجراه الكاتب السوفييتى ليف جينزبرج والصحفيون فى ألمانيا الاتحادية مع مجرم حرب نازى ، أصبح رجل أعمال ناجحا يعيش فى ميونيخ ، رغم أنه حوكم غيابيا فى الاتحاد السوفيتى ، وكانت هناك احتجاجات ضد خطر الحزب الشيوعى الألمانى ، وحوار بين المسيحيين والماركسيين نشر فى حلقات عديدة .

وفى ذلك الوقت كانت الاراء ، وخاصة بين المثقفين الشباب فى المانيا الفيدرالية ، قد بدأت تتغير ، ووجه البحث عن مواقف معقولة وتقدمية يجد تعبيرا عنه فى كوربسكين ، وخاصة فى المناقشات حول كيفية

النغلب على الاقليمية فى المانيا الفيدرالية وكيفية تغيير الواقع القائم .
وفى خريف ١٩٦٧ ، عندما انتشرت مظاهرات الطلبة المعادية للامبريالية طلب من محررى المجله ان يجيبوا عن السؤال : ماذا تعنى بالنسبةلك الذكرى الخمسين لثورة اكتوبر ؟ بينما سئل المارة فى أحاديث الشوارع الصحفية : ماذا تعرف عن لينين ؟ وفى ذلك الوقت تقريبا قدمناقدكبير يكتب لمجلة سودينتش تسايتونج اللبرالية ، وهو رينهارد بومجارت ، مقالا يساريا متطرفا الى المجلة ، واقترح مارتن والسر بدء عام كتاب دولىوالف ديتر سوفركروب قصيدة تنتهى بالكلمات « عاشت الثورة » . وبالطبع لم تنشر الجريدة فحسب هذه الاراء المختلفة ، وانما كانت مناقشة تهدف الى مساعدتها على تحديد موافقها التى تستند الى أساس قوى .

ومن المصادفة ، بالنسبة للمجلة ، ان نهاية الستينات كانت فترة مناقشات حيه حول اى طريق يجب أن تتبعه الحركة الديموقراطية ، كما كانت كذلك فترة عانت فيها المجلة من اختلاف فى الاراء ، كان فى الأساس نتيجة للمهام والمشاكل الجديدة التى واجهتها . فقد نشا على سبيل المثال ، بين الناشرين جدل حول مساندة الكتلة اليسارية فى انتخابات البوندستاج عام ١٩٦٩ ، وعكس العدد الاول من المجلة عام ١٩٦٩ اراء عديدة حول الانتخابات . وبعد ذلك بقليل بذلت محاولات لعزل القوى التقدمية التى التفت حول الحزب الشيوعى الألمانى الذى اصبح دستوريا وشاركته مواقفه الاممية . ومع ذلك ، فقد استطاع غالبية مجلس التحرير تحليل الاحداث والحجج بدرجة كافية لتوضيح المشكلة . وفشلت مقاطعة المجلة التى بداها واحد من عضوى مجلس التحرير الذى استقال فيما بعد ، وواصل الكتاب المعروفون فى المانيا الغربية الكتابة فى المجلة .

وكانت بداية السبعينات نقطة تحول بالنسبة للادب الالمانى الغربى حيث مثل كثير من الكتاب الجدد اتجاهات ادبية ديموقراطية واشتراكية ظهرت على المسرح . وبين هؤلاء ايريكارونجا ، ف . ج . ديجنهارت ، وبيتر مايوالد ، واوتيم ، والكتاب البروليتاريون مارجوت شردود هواجست كون ، وآرثر ترويمان . وآخرون كانوا مشهورين فى الأدب البرجوازى ولكنهم غيروا مواقعهم فيما بعد ، وقبلوا الافكار الاشتراكية وسعوا الى صلات وثيقة مع الطبقة العاملة ، كانوا يضمون جونتر هربرجر ، ومارتن والسر ، وفيما بعد فرانز كسافر كروتز ، كاتب مسرحى شاب وناجح . وكان بعض الكتاب الجدد شيوعيين ، بينما فتح آخرون ، مثل مارتن والسر حوارا مع الحزب الشيوعى الالمانى . وكانوا جميعا ، مع ذلك ، مستعدين لمساعدة الكتاب الشبان فى البحث عن منهج لانفسهم ومواقف سياسية راسخة .

ومع تغير المناخ السياسى والروحى للمجتمع ، وصلت المجلة الى نطاق

اوسع من القراء وجذبتهم الى مناقشات حية ، وكتب فرانك بنسلر الصحفى المعروف الكاتب المحترم لأحد ناشرى القصص الالمان الغربيين ، فى العدد ٣ ، ١٩٦٩ : « ينبغي علينا أن ندرس علاقات الانتـــاج .. والافتراض الاساسى هو شعور بالمسئولية والدفاع النشط عن مصالح الشعب »

وهكذا حدث ان الأفكار الديموقراطية الرادكاليه والاشتراكية ، التى قويت جذورها لدرجة كبيرة بفضل الحركة السياسية لتلك السنوات ، اثرت على عمل كتاب كوربسكيرن ، ووضعت الاساس لنوع من الـكتابة « يثنى على السياسة » ويتركز على الناس الذين يعملون فى الصناعة .

وبدأ الكتاب التقدميون فى المجلة يدرسون الظروف المحيطة بالـكتاب انفسهم ليروا تأثير راس المال على عملهم . وعرضت النتائج على الملأ فى مناقشات نشرت منذ ١٩٦٩ . وكان ذلك باعثا على حركة دفعت باتحاد الكتاب الالمان الى النقابات .

ولعبت المجلة دورا غير صغير فى هذه المناقشات . وساعد هانز مانجوس انزنسبرجر ، ومارتن والسر ورئيس تحرير كوربسكيرن فردريك هيتزر فى وضع مشروع وثيقة عمل لمؤتمر الكتاب فى شتوتجارت عام ١٩٧٠ . وكان الكتاب قد صوتوا الى جانب الانضمام الى النقابات ، كما تقول الوثيقة ، لأنه كان هناك تغلغل احتكارى متزايد فى الثقافة ، وبسبب المأزق الذى لا يحسد عليه غالبية الكتاب والذى يمكن التغلب عليه فحسب عن طريق التضامن والتعاون مع تنظيم عمالى . لقد اعتقد الكتاب التقدميون ان نقابة مشتركة يمكن أن تكون الوسيلة لتحقيق الحق فى حرية الرأى ، وفى مشاركة الجماهير العاملة فى ادارة وسائل الاعلام ، كما يمكنها ان تساعد بمعونة الدستور الالمانى الفيدرالى فى اخضاع الشركات الكبرى التى تحتكر الثقافة الان للملكية العامة .

تلك هى الأهداف البعيدة المدى . ولهذا السبب اعتبر انضمام الكتاب الى نقابة صناعة الطباعة والورق خطوة نحو خلق نقابة قوية وفعالة للعاملين فى وسائل الاعلام .

والمناقشة حول تأسيس مثل هذه النقابة لم تنته بعد ، ولـكنها دفعت بالفعل عديدا من الكتاب الى التفكير فى دورهم فى المجتمع ومسئوليتهم حياله ، وجعلتهم يدركون تبعيتهم للعمل المنظم والاهمية التاريخية لقرارهم بالوقوف الى جانبه فى نفس الوقت .

وأثار تلك الاراء نشر المجلة لمقالات مثل « الحقيقة حول التلفزيون » « العدد ٣ ، ١٩٧١ » « وقت فراغك » « العدد ٢ ، ١٩٧٢ » « التبعيـــة -

في صناعة الثقافة » « العدد ٤ ، ١٩٧٢ » . واحتوى المقال الاخير كذلك على نتائج البحث حول مجموعات مختلفة من المهن تحدد اشكال تبعيتها « وفرص الكتب » « المحدودة بشكل مخيف أحيانا » ، وتصف ميكانيزم التلاؤم مع مصالح راس المال . واكد عديد من المؤلفين اهمية اختيار بديل . وفي مقال قوى كتب مارتن والسر : « .. ان الفنانين والممثلين ، والموسيقيين والصحفيين، وعمال الطباعة والمصورين ، والمخرجين والكهربائيين وكذلك الكتاب كلهم شاهد على تركيز وسائل الأعلام . ويمكنهم مواجهة ذلك فقط بتنظيم مشترك . فبالاضافة الى حماية مصالحنا الاساسية ، فان مثل هذا التنظيم ينبغى أن يطور فكرة المسئولية العامة ، المشروعة لمحطات الاذاعة والتلفزيون ، وينبغى أن تطبق الرقابة العامة وتضمن المشاركة في ادارة كل الوسائل المطبوعة لوسائل الاعلام الجماهيرى ، واذا كانت الملكية تحمل مسئولية اجتماعية ، كما يقول دستورنا ، فان ذلك يجب أن ينطبق كذلك على ملكية وسائل الانتاج فى مجال الطباعة وصناعة الأفلام وغيرها » .

وبعد ١٩٧٣ ، عندما انضم اتحاد الكتاب الى نقابة الطباعة والورق التى تضم الى جانب عمال الطباعة والجمع الصحفيين كذلك ، وعندما انضم الناس فى الاتحادات الثقافية الاخرى الى النقابات الاخرى ، أصبح فى الامكان مواصلة عمل خلق نقابة لوسائل الأعلام فى مجموعها على مستوى جديد .

وصاحب عملية التوحيد فى النقابات عشية السبعينات تغيرات ملحوظة فى المجال الادبى . فتحت تأثير حركة الطلبة المعادية للامبريالية ، بدات المجلة تعرف القراء بثقافة الاتحاد السوفييتى ، وبالادب الخارجى وبخاصة أعمال الشعوب التى تناضل من أجل حريتها . وكرس العدد رقم ٣ ، ١٩٦٩ لثقافة فيتنام « وهو موضوع غالبا ما عولج فيما بعد » ، كما خصصت أعداد أخرى لثقافة بلدان امريكا اللاتينية ، وبخاصة شيلى المناضلة . وحذرت كوربسكيرن مرارا من أخطار « الامبريالية الثقافية » للولايات المتحدة ، لكن العدد رقم ٣ ، ١٩٧٣ كان مكرسا كلية لأمريكا التقدمية .

وهناك معلومة عرضية تثير الاهتمام هى انه عندما كان النشاط السياسى فى البلاد فى عنفوانه ، عشية السبعينات وكانت الشخصيات الثقافية اليسارية المتطرفة تعلن فرحة « أن الادب قد مات » ، واصلت المجلة جهودها لتطوير ادب يعكس الواقع ويروج الافكار التقدمية . وعلى خلاف اليساريين المتطرفين ، امكن تحقيق ذلك بالقاء الضوء على العلاقة التاريخية والمحافظة على التقاليد التى تربط الازمنة الحديثة بالتراث التقدمى . وابدت المجلة اهتماما طيبا بالتقاليد المعادية للفاشية والتى استبعدت

رسميا من الثقافة فى جمهورية المانيا الفيدرالية . وشكل ذلك موضوع العدد المكرس للذكرى الثلاثين لانهيار الفاشية .

والمشاكل المتعلقة بالتراث الثقافى ترتبط بالسياسة فى ألمانيا الفيدرالية لان الحكومة الفيدرالية تؤكد على الدوام الفكرة القائلة بأن كلا الدولتين الالمانيتين ، بغض النظر عن اختلاف الانظمة الاجتماعية، جزءآن متكاملان من « امة ثقافية » واحدة ، مستخدمة ذلك كاداة فى جهودها للنكوص بتطور الاشتراكية فى أحد قسمى المانيا السابقة ــ جمهورية المانيا الديموقراطية ذات السيادة . وهكذا فقد كان من المهم بشكل خاص للمجلة أن تتحدث عن وجود ثقافتين ، وان تسترجع التقاليد الثورية لعامى ١٥٢٥ ، ١٨٤٨(١) ، وروح التقدم النضالية فى التراث الكلاسيكى للبرجوازية المبكرة ، وهى روح لا تزال تكافح كلا من الرجعية المدنية والكنسية . وفى عددها رقم ٤ ، ١٩٧٤ نشرت المجلة قصة قصيرة بقلم ديترسو فركروب حول دوافعه لجمع وأداء الأغانى الشعبية التى يرجع تاريخها الى ثورة ١٨٤٨ وكيف أثرت على عمله . وكانت التقاليد **الثورية موضوع مسرحية عن حرب الفلاحين كتبها مارتن والسر « ويمكن أن تجد اقتباسات منها فى العدد ٣ ، ١٩٧٥ » . وكان هدف الكاتب أن يصور ماضينا وحاضرنا . واستفاد والسر من أحداث ١٥٢٦ فى نورنبرج ليبين خوف الطبقة الحاكمة من الشعب والاستراتيجية القديمة لحرف الشعب عن مشاكل العصر الحقيقية . ولم يستطع النقاد البورجوازيون أن يتغاضوا عن اهداف الكاتب ، وكما فعلت الصحافة البرجوازية الكبيرة فيما بعد ، ضد روايات الفريد انديرش « قمح الشتاء » ، وبيترديس « الجمال عند المقاومة » اللتان تتناولان التقاليد المعادية للفاشية ، وجهت انتقادها الهادىء أو الصريح المعادى للمؤلفين فى محاولة لقتل اى اهتمام بعمله .**

ومن الطبيعى أن الرتابة الرجعية المتصاعدة للصحافة البرجوازية ، تعنى أن النقاد التقدميين ، ومجلتنا بالطبع ، يواجهون مسئوليات أضخم كثيرا .

ومجلتنا لا تشارك فى الراى القائل بأن الثقافة امتياز للاقلية المختارة ونحن نؤمن انه تخلقها جهود كل الشعب العامل ، ولكن فى مجتمع طبقى استغلالى ، تظل ثمار الثقافة بعيدة عن متناول الاغلبية . وهكذا طرحت المجلة مسألة البدائل المحددة . وقد تناولت مرات عديدة مشاكل الفن والشعب . وقدمت تحليلها الخاص للثقافة الجماهيرية ولعديد من الأساطير التى تحشو بها « صناعة الثقافة » الامبريالية يوميا عقول الشعب . وفى نفس الوقت ، وبخاصة فى الفترة الاخيرة ، أولى المحررون كذلك اهتماما كبيرا للجوانب الايجابية للثقافة الجماهيرية ، وبذلك قدموا

---

(١) حرب الفلاحين عام ١٥٢٤ ــ ١٥٢٦ والثورة البرجوازية الديمقراطية فى المانيا عام ١٨٤٨ ــ ١٨٤٩ ــ المحرر .

مخرجا للكتاب الشبان ، الذين بدأوا يدركون الحاجة الى قراء جدد وبمسئوليتهم في المساعدة على العثور عليهم .

ومما يلفت النظر أن كوربسكيرن قد تخطت اهدافها كمجلة ، وبدات تنشر الأدب التقدمي من خلال « مكتبتها الموجزة للعمال » التي بدأتها عام ١٩٧٣ . ومعظم هذه الكتب حول التقاليد الاشتراكية والبروليتارية للبلاد ، واعمال المؤلفين السوفيت والتقدميين الاخرين . بيد أن مهمتنا الرئيسية كانت ترويج الأعمال الجديدة للمؤلفين الألمان الغربيين . وانتجت هذه السلسلة بالفعل مجموعات قصص قصيرة لكتاب شبان لديهم خلفية عمالية ، وكذلك قصص لكتاب معروفين . وفي العام الماضي نشر ارتور تروبمان كتابه « اناس من البيت الثلاثين » . ويحكي الكتاب عن نشاط الكاتب في فترة مابعد الحرب على خلفية الوضع في قسم عمالي من ميونيخ .

ولقد كان للازمة الاقتصادية اثر سيىء على حياتنا الثقافية : فقد خفضت الموارد المادية الخاصة والحكومية ، وزادت الرقابة ، وشجعت الكتابات الرجعية . وحولت المجلة اهتمامها الى هذه المسائل وشرحت اسبابها . وفي نفس الوقت حاولت مساعدة العاملين في حقل الثقافة على ادراك مدى اهمية الدفاع عن حقوقهم . وكتب هانز ستوتز ، احد ناشري المجلة واحد المختصين بالسياسة الثقافية في مجلس الحزب الشيوعي الألماني ، في عدد فبراير ١٩٧٥ ، يدرس حالة الثقافة في اطار أزمة الراسمالية ، مقترحا أن يطالب عمال وسائل الاعلام بان يسمح لهم بالمشاركة في ادارة وسائل الاعلام . وفي العام التالي كرست المجلة مقالا لتدهور الثقافة ، وتناقص المخصصات الحكومية ومايمكن أن تحققه النقابات . وفي نفس هذا العدد قال رئيس مجلس اتحاد الكتاب انه ينبغي توفير موارد أكبر للمكتبات العامة لشراء الكتب ، وقال رئيس فرعه الباقاري أن الكتاب يمكنهم أن يستفيدوا من النقابات للكفاح ضد الضغوط التي يفرضها الناشرون .

وقد تأثر الكتاب في المانيا الفيدرالية مباشرة بالخطر المفروض على توظيف التقدميين في مهن معينة . ان التمييز ضد الكتاب التقدميين الذى تمارسه المؤسسات القانونية ، وحظر ظهورهم في الاذاعة والتليفزيون ومصادرة الطبعات الاولى من الكتب على أساس الفقرة الجديدة ٨٨ حول « العنف » ، قد بينت جميعها أن التكتيكات الجديدة لارهاب الديموقراطيين موجهة في نفس الوقت ضد الكتاب . والنتائج التي نستخلصها من ذلك لا نراها فحسب في موقف النقابات من قانون حظر توظيف التقدميين ، وغيره من الخطوات المعادية للديموقراطية ، وانما نراها كذلك في الأعمال العامة من جانب الكتاب انفسهم .

ونشر الفريد أندريش ، الذى تظهر مؤلفاته فى كوربسكيرن ، بعض القصائد القوية ضد هذا القانون . وقد أثارت هجمات ضده من جانب الصحافة الرجعية ولم يسمح له بالظهور فى الاذاعة أو التليفزيون . ويعالج كتاب الفه بيرنت انجلمان ، الكاتب المعروف ، نفس الموضوع . وقد اتخذت المجلة موقفا صلبا ضد القانون ، وفضحت هذا الاجراء على أساس مواد وثائقية وأحاديث صحفية . وأخيرا نشرت المجلة موادا تكشف أساليب مماثلة استخدمها الرجعيون فى فترة سابقة ضد جوهان ج . فيخته ، وألبرت أينشتين ، وكارل شورز ، وهو أمريكى من أصل المانى حارب الى جانب الشمال فى الحرب الاهلية الامريكية .

والوضع فى بلادنا اليوم ، وذلك يتضمن الثقافة ، يمكن وصفه بانه استقطاب للقوى نتج عن تفاقم المشاكل الاجتماعية الاقتصادية والايديولوجية . والانعطاف نحو اليمين نتيجة للازمة الاقتصادية يؤثر على حياة المجتمع الروحية . وبعض الناشرين البرجوازيين ذوى النفوذ، والصحف والمجلات تدافع بثبات عن أن الكتاب يجب أن يولوا ظهورهم بعيدا عن السياسة ويشغلوا أنفسهم بالاجراء المرضى لتحليل الذات . والتشاؤم منتشر لأن الامال فى اصلاحات ديموقراطية اعتز بها المثقفون فى السنينات عندما وصل الاشتراكيون الديموقراطيون الى الحكم ، لم تتبلور بعد . وهؤلاء الذين لا يرون اليوم افاقا واقعية بعيدة المدى للمجتمع ، يصبحون مكتئبين . وتعتبر المجلة أن من واجبها أن تساعد على هزيمة التشاؤم بين المثقفين بالاضافة الى شعورهم بأنهم معزولون ولا حول لهم .

وليست هناك اية أوهام أو مساومات فى مقالاتها حول تناقضات النظام الراسمالى ، والبطالة بين الشباب مثلا ((العدد ٤ ، ١٩٧٦)) . ومع ذلك ، فانها تتساءل : أين تبدأ المقاومة ضد الوضع ؟وحتى فى ازمة تتضمن بطالة جماهيرية يكون النجاح ممكنا فحسب حيث يتوفر التضامن فى النضال . وتبدى بعض المقالات اهتماما كبيرا بالجماهير العاملة من الشباب وكذلك بالعاملين فى حقل الثقافة . وشارك الشباب والكتاب فى المناقشة التى نظمناها حول كتب الشباب . وكذلك اجرينا حديثا مع مدير مسلسل تليفزيونى معروف حول المشاكل التى يواجهها الشباب فى ضاحية عمالية بميونيخ .

وتهدف تلك المناقشات الى مساعدة العاملين فى حقل الثقافة على ادراك أنه بسبب اعتمادهم على الاحتكارات على وجه التحديد ، يجب عليهم أن يقفوا الى جانب الطبقة العاملة ، التى يعتبر نضالها ونجاحاتها فى التحليل النهائى نضالهم ونجاحاتهم .

●

السياسات الدوليـة والمعايير الأخلاقيـة

بقلم : رينيــه أوربــانى

ان عصرنا الحالى عصر يتسم بالتغيرات الايجابية الهامة فى نظام العلاقات الدولية التى هى نتاج مباشر للتاثير الثـورى للبلدان الاشتراكية والطبقة العاملة العالمية وحركة التحـرر الوطنى وغيرها من الحركات الديموقراطية على السـياسات الدولية . ويرجع الفضل اساسا الى هذه القوى فى ان مبادىء التعايش السلمى رغم مقاومة الرجعية الامبرياليـة قد أصبحت الاتجاه الرئيسى فى العلاقات الدولية .

وقد أكدنا فى القرار الصادر عن المؤتمر الـ ٢٢ لحزبنـا بان ((تحولا ابعد ، تحولا فى صالح السلام والديموقراطية والاشـتراكية قد حدث فى السياسة الدولية وفى الصراع الطبقى العالمى)) . وقد أشرنا الى ان التحول يرجـع فى الأساس الى النجاحات البارزة التى تحققت فى مجـال التطور الاقتصادى والاجتماعى للاتحاد السوفييتى وأسـرة الدول الاشتراكية والى السياسة الخارجيـة النشــطة للاشتراكية .

وقد ابرزنا أيضا الدور الهام الذى لعبته الطبقة العاملة والرأى العام التقدمى فى البلدان الراسمالية وقوى التحرر فى اقامة علاقات طبيعية فى الحياة الدولية .

ولتحليل التغيرات فى المجال الدولى فقد شرعنا كما هو المعتاد فى سبرغور الأساس الطبقى الذى ترتكز عليه . وقد قادنا هذا الى التوصل الى النتيجة بأن التحول نحو الانفراج يعكس تحولا معينا فى تطور التناقضات الطبقية وخاصة تلك التى تعمل على النطاق الدولى . وفى نفس الوقت فان النظرة الطبقية الى مثل هذه العملية التى تدور حول اعادة تشكيل العلاقات الدولية فى نهج سلمى لاتتفق مع الاستنتاجات الفجة . مثل تلك الاستنتاجات القائلة بأن الانفراج الدولى نقدم مزايا أكبر الى جانب دون جانب آخر . فعلى العكس فانه فى العصر الحرارى ــ النووى . يصبح الحفاظ على السلام وتدعيمه وخلق الظروف السياسية الدولية لازالة خطر النزاعات المسلحة فى مصلحة البشرية جمعاء وبقاء الحضارة وتطورها . ومن ثم فان الجهود الدولية لتخفيف التوترات السياسية الدولية ذات طابع انسانى عميق . فالانفراج وثيق الصلة بالأخلاق وله هدف أخلاقى صميم .

ان قضية الأخلاقيات فى السياسة الخارجية قضية مركبة غير بسيطة. ولا يمكن لأى انسان أن يدعى القدرة على شرحها وتفسيرها فى مقالة تنشر بمجلة ما ، ولذلك سأقصر كلامى على بعض الجوانب الأساسية ذاتالطابع الملح اليوم .

والشيوعيون ليسوا من هؤلاء الناس الذين لايلقون بالا الى المبادىء الأخلاقية التى تعكس نفسها فى أى قرار او عمل يتصل بالسياسة الخارجية او الذين لايهتمون بمدى تلاؤم الوسائل المستخدمة فى السياسة الدولية مع هذه المبادىء .

وقد اكد مؤسسو الماركسية بان القيم والمبادىء الأخلاقية يمكن بل يجب أن تكون اقوى وسائل الطبقة العاملة فى التأثير على الشئون الدولية حال كون الشعب العامل لم يصل بعد الى مستوى سلطة الدولة ولا يزال غير قادر على ممارسة رقابة مباشرة على السياسة الخارجية لبلاده . وفى هذا الصدد ، يمكننا ان نستشهد على سبيل المثال فقط بالنداء الذى وجهه كارل ماركس الى العمال والذى طالب فيه العمال بان « يدافعوا عن ويصونوا القوانين البسيطة للاخلاق والعدالة التى يجب أن تسود العلاقات بين الأفراد حتى تكون لهذه القواعد السيادة فى العلاقات بين الأمم » .

وقد نما نفوذ وتأثير الجماهير العاملة بما فى ذلك النفوذ الأدبى والمعنوى على السياسات الدولية نموا كبيرا منذ أن ظهرت البروليتاريا كطبقة حاكمة على النطاق الدولى . وبمناسبة اقتراب الذكرى الستين لثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى يمكننا أن نقرر أن هذا الحدث الأعظم فى عصرنا

قد فتح مرحلة جديدة فى تطور العلاقات الدولية ليس فقط عن طريق احداث تغيير جوهرى فى توزيع القوى الطبقية فى السياسات الدولية ولكن أيضا بادخال مبادىء أخلاقية وانسانية رفيعة فى هذا المجال لم تكن تمارس من قبل ابدا .

ولقد مثلت الخطوات الاولى التى اتخذتها السلطة السوفييتية فى السياسة الخارجية وفى المحل الأول مرسوم السلام الذى أصدره لينين والذى اكتسب شهرة عالمية انتصارا حقيقيا للبروليتاريا فى معركتها التاريخية من أجل التحرر والتحرير الاجتماعى والقومى لجميع المقهورين والمستغلين . وقد كانت هذه الخطوات والأعمال أيضا ذات طابع أخلاقى حق وتعبر عن اتجاه أخلاقى رفيع تجاه الانسان ويستند الى المبادىء الأخلاقية للطبقة العاملة والكادحين .

واذا كان لنا ان نقيم المساهمة التى قدمتها الدولة الاشتراكية الأولى فى تاريخ العلاقات الدولية فاننا يمكن أن نلخصها فى الجهد السياسى الذى لا مثيل له الذى بذلته لمنع نشوب الحرب العالمية الثانية والبطولة والتضحية بالذات التى ابدتها لتخليص العالم من الفاشية البربرية وخلق وتدعيم أسرة البلدان الاشتراكية فى اطار مبادىء المساواة والمساعدة المتبادلة والتضامن والتعاون الشامل ، وكذلك استخدام جميع مواردها ونفوذها لتحرير الشعوب من أغلال التبعية الاستعمارية ، وشن أكبر حملة منسقة وحازمة من أجل ضمان أمن العالم . ولقد كانت أيضا لهذه المساهمة اهميتها السياسية والمعنوية الضخمة .

ولست أغالى اذا قلت أن الأوروبيين والناس الذين يعيشون فوق قارتنا التى كانت المسرح الرئيسى لحربين عالميتين والذين عانوا من المخاوف المرعبة للحرب الباردة هم أكثر الناس ادراكا للفوائد الناتجة عن السياسة السلامية النشطة للاتحاد السوفييتى والبلدان الأخرى للاسرة الاشتراكية ويعترف كل شخص ان المناخ السياسى الأوروبى قد تحسن كثيرا فى السبعينات . ولم يقتنع البعض بهذه الحقيقة الا بعد هيلسنكى . ولكن البعض قد لاحظ هذا التغير نحو الأحسن فى فترة مبكرة بعد أن تم التوقيع على المعاهدات التى أقامت علاقات طبيعية فى أوروبا الوسطى . واننا نحن الشيوعيين ويتفق معنا كل انسان لم تستطع الدعاية البورجوازية أن تعميه عن الحقيقة ننسب البداية فى هذا التطور الايجابى الى المبادرات التى جسدها برنامج السلام للمؤتمر الـ ٢٤ للحزب الشيوعى السوفييتى والى التحركات السياسية الدولية التى اصبحت معروفة بين الرأى العام باسم الهجوم السلمى للاشتراكية .

ولقد رفع الدور البارز الذى لعبه الاتحاد السوفييتى وأسرة البلدان الاشتراكية ككل فى تحقيق هذا التحول من الحرب الباردة الى الانفراج، ورفع من سمعته واحترامه فى أعين الجماهير العريضة والرأى العام العالمى . وهذا شىء طبيعى . بل لعله من الطبيعى ايضا ان الطبقات

الحاكمة فى البلدان الرأسمالية تبدى امتعاضها واستياءها من النفــوذ والتأثير المتزايد للسياسة الخارجية الاشتراكية . وكما يلاحظ كل امرء يعيش فى أى قطر من الأقطار الأوروبية الغربية فان وسائل الاعلام الواقعة تحت سيطرة الراسمالية قد ضاعفت وضاعفت أكثر حملاتها ضد البلدان الاشتراكية والاتحاد السوفييتى ونشاطاتها الدولية فى الفترة الأخيرة . ويبدو هذا الأمر أحيانا كشىء محير . فبينما يعمل الدبلوماسيون بعنــاد وتصميم للتقدم فى طريق الانفراج الصعب فان الصحافة المملوكة لراس المال الكبير تعمل كل مافى وسعها للارتداد بالرأى العام الى أوهام فترة الحرب الباردة .

وتردد الصحافة والاذاعة والتليفزيون فى أوروبا الغربية نفس الأوهام والخزعبلات القديمة عن « الخطر السوفييتى » . ونسمع ونقرأ يوميا بأن موسكو تستخدم سياسة الانفراج كغطاء وستار « لسياستها التوسعية » وأن الدول الأعضاء فى معاهدة وارسو لا شغل لها الا بناء قدرتهــا العسكرية لتتفوق على بلدان حلف الأطلنطى .

وتهدف الحملة الافترائية ضد السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتى واسرة البلدان الاشتراكية ككل بوضوح الى جعل النـاس يعتقدون بأن النفوذ الذى لم يسبق له مثيل للاشتراكية على الحياة الدولية يرجع فقط الى قوتها الحربية والى استنادها الى القوة المسلحة وما الى ذلك . ولا ينكر أى انسان بأن القدرة الدفاعية للبلدان الاشتراكية لها وزن كبير فى السياسة الدولية . ولكن ليس من الواقعية فى شىء التوكيــد بأن المراكز الدولية للاشتراكية تقوم فقط على اساس قوتها العسكرية وتدعيم هذه القوة . فان عنصرا جوهريا من العناصر المكونة للسياســـة السلميـــة الاشتراكية التى تتمتع بفضلها الشــعوب المكونة للسياسة الســلمية العالم الأخرى بشعور الامن ، هذا النضال الحازم والثابت من أجل نزع السلاح والذى وصفه لينين بانه المثل الأعلى للاشتراكية .

وجميع الخطوات العملية الهادفة الى دعم الانفراج السياسى بانفــراج عسكرى ليست سوى نتاج للاتفاقيات التى بادر الاتحاد السوفييتى الى تقديمها . وعلى سبيل المثال كان هناك معاهدة موسكو لحظر التجارب ، ومعاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية واتفاقية حظرالأسلحةالبكتريولوجية وقدم الاتحاد السوفييتى فى السنوات الثلاثين الماضية أكثر من سـبعين اقتراحا لوقف سباق التسلح وخفض الانفاق العســكرى والعبء الذى يفرضه واقامة موانع أمام استخدام القوة فى العلاقات الدولية . ويعــد انجاز خطوات عملية نحو نزع السلاح الشامل أحد الخطوط الرئيســية للسياسة الخارجية السوفيتية المبرمجة بواسطة المؤتمر الـ ٢٥ للحـزب الشيوعى السوفييتى .

وليس من المعقول ان دولة تعتمد كلية فى صياغة سياستها الدوليــة على القوة العسكرية أن تبدى هذا الاهتمام والاصرار والتصميم لنزع

السلاح او لا تدع فرصة تفلت لتخليص شعوبها والانسانية جمعاء من الانفاق المهلك على الأسلحة وعلى تخزين الأسلحة الخطرة والفتاكة .

واذا كان للمرء أن يتصف بالواقعية فعليه الا يتجاهل الاهمية العظمى للقدرة العسكرية للاشتراكية بوصفها عامل ضرورة فى السياسة الخارجية اليوم ولكن عليه الا يتجاهل ايضا ان السمعة والنفوذ الدولى لهذه السياسة لا يمكن أن تقاس بعدد الصواريخ والدبابات . فقوة جاذبيتها تكمن فى سلمية هذه السياسة ، فى اهتمامها الكامل بالاشياء المفيدة للامن والاستقلال والمساواة بين الشعوب ، وبالتصاقها بالمبادىء الاخلاقية الكامنة فى السياسة السلامية التى تتبعها البلدان الأشتراكية .

اننا نعيش فى عصر تكتسب فيه أفكار واحلام وآمال المصالح الحيوية ومطامح وكذلك المقاييس الأخلاقية للايين بل بلايين الناس العاديين وزنا أكبر فى الشئون الدولية عن أى فترة سابقة عندما كان ميزان القوى العالمى مختلفا عن الوضع الحالى . ولقد ذهبت الى غير رجعة تلك الأيام التى كانت فيها البنوك وكبار منتجى الأسلحة والأوليجاركيات السياسية والمجموعات الخاضعة لها تقرر مصير العالم . وعندما نتحدث نحن الشيوعيين عن النجاحات الكبرى على النطاق العالمى لقوى السلام والديموقراطية والاشتراكية فاننا نضع فى المحل الاول الدور انعظيم المتزايد للشعوب وللرأى العام فى صياغة وتشكيل السياسة الخارجية وتأثيرها المتزايد على الحياة الدولية .

ولكن فى أى طراز يكون هذا السياسى الذى يسمح لنفسه أن يغمض عينيه عن هذا الوضع الدولى الجديد ؟ انه لن يكن الا من هذا الطراز الذى فقد كل الاحساس بالحقائق الدولية والذى قطع كل صلة له بمجريات عصره . **وكذلك علينا ان ندرك أن الديماجوجية تستخدم أيضا كوسيلة ((لاخفاء)) مطالب الشعب . والتاريخ السياسى للراسمالية ومنذ زمن بعيد حتى يومنا هذا ، ملىء بالمحاولات من جانب الطبقة الحاكمة والرأسماليين لتكييف انفسهم مع السيكولوجية الاجتماعية للجماهير ولمطامحهم ورغباتهم الديموقراطية الظاهرة . وفى نفس الاحيان ينخذ فيه مثل هذا التكيف من جانب الامبريالية مع الظروف والأحوال التجارية شكل تنازلات حقيقية للشعب وفى أحيان أكثر تكون هذه التنازلات ذات طابع كلامى اجوف .**

وليس من العسير على المرء أن يدرك الأسباب التى دفعت الرئيس الأمريكى الجديد ومعاونيه لبذل هذا الجهد الهائل لتجديد شعارات السياسة الخارجية واكسابها الجاذبية المرغوبة ، فهى تكمن فى تعمق أزمة الراسمالية العالمية ، واقتصادها ونظام علاقاتها الاجتماعية وسياساتها الداخلية وسياساتها الدولية . وقد أصابت هذه الأزمة بالضرر الفادح الامبريالية الأمريكية ومراكزها فى العالم . فواشنطن لدورها القيادى فى الحرب الباردة ولادعاءاتها الصريحة للسيادة الدولية ولمغامرتها

الاجرامية فى فيتنام ولاعتدائها المستمر على سيادة البلدان المستقلة ولاعمالها التى وصلت الى حد تصدير الثورة المضادة ـ كما حدث فى شيلى مثلا قد تسببت ـ وفقا للتقديرات الأمريكية نفسها ـ فى حدوث ٢١٥ حالة من التهديد الخطير باستخدام القوة العسكرية لكى تحمى نفوذها الدبلوماسي ، ولهذا فان الثمن الذى كان على الولايات المتحدة أن تدفعه هو خسارة سمعتها الادبية والاخلاقية فى المجال الدولى .

وقد استثارت هذه السياسة الشكوك وعدم الثقة حتى فى صفوف أوثق أصدقاء الولايات المتحدة . ويمكن تقييم السياسة الخارجية للولايات المتحدة فى السبعينات ، وهو تقييم شائع الاستخدام وله ما يبرره ، ويمكن تسميته « بأزمة الثقة » .

وقد اثار هذا الوضع قلقا بالغا فى الدوائر الحاكمة الامريكية . وفى الصحيفة الأمريكية « **الشئون الخارجية** » فى احد أعدادها التى صدرت قبل عام من التغيير الذى حدث فى البيت الابيض يمكن للمرء ان يقرأ السطور التالية « لقد تدهورت القوة الأخلاقية والسياسية والاقتصادية للولايات المتحدة » ، وانه منذ حرب فيتنام وفضيحة ووترجيت فان البلاد قد اصبحت مواجهة بمهمة « التجديد السياسى والسيكولوجى » وان هذه المهمة قد دفعت صانعى السياسة الخارجية الأمريكية الى البحث عن « واجهة انسانية عريضة » تمكن أن تجعل مسلك السياسة الخارجية الأمريكية أكثر سهولة » . « انظر الشئون الخارجية ـ ينساير ١٩٧٣ صفحات ٢٧١ ـ ٢٧٢ » .

والان وقد اعلن الرئيس كارتر عزمه على جعل الأخلاقيات المبدأ المرشد للسياسة الخارجية للولايات المتحدة ومر وقت أتاح لمبدئه أن يمر باختبارات عملية أولية يمكن للمرء أن يتساءل هل نجحت الولايات المتحدة فى وضع ارجلها على المخرج الذى ينتزعها من « أزمة الثقة » التى تعانى منها .

وبوضوح تام فان التصريحات الرسمية لواشنطن حول رغبتها لوضع سياستها الخارجية على اساس اخلاقى لاتعدو أن تكون مجرد وعود لسد الثغرة الواسعة بين الأقوال والأعمال التى ظهرت فى كل تحركات الولايات المتحدة فى العقود الاخيرة . والمثل الكلاسيكى والامثل على هذا هو التاييد والمساندة الشاملة من جانب الولايات المتحدة للدكتاتورية وللانظمة البوليسية والفاشية والعنصرية بينما كانت تعلن اخلاصها لمبدأ الحرية . وبالتاكيد فان اهمية أى موقف سياسى يمكن الحكم عليه بالاعمال وليس بالأقوال وان الاقوال اذا لم تتطابق مع الاعمال فان التصريحات الاخلاقية لا تساوى شيئا .

واذا استرشدنا بهذه الافكار فما هو الاثر الذى أحدثته تحركات واشنطن فى المجال الدولى فى ظل الادارة الجديدة ؟

لم تتردد الحكومة الجديدة فى الولايات المتحدة فى أن تعلن رسميا

رغم ادعائها اتباع سياسة اخلاقية بانها تنوى العمل من اجل ادخال تغييرات فى قوانين وقواعد وأساليب حياة البلدان الاخرى . وفى الحياة العادية اعتبر دائما تصرفا غير اخلاقى ذلك التصرف الذى ينسب فيه المرء لنفسه الحق فى تعليم الاخرين كيف يتصرفون . اما فى العلاقات الدولية فان مثل الادعاءات التى تتضمن بالضرورة الاعتداء على حق السيادة للامم والخرق الفاضح لمبدأ عدم التدخل فى الشئون الداخلية للبلدان الأخرى لايمكن أن تمت باية صلة الى المبادىء الأخلاقية .

ان سلسلة التصريحات والتحركات الامريكية التى اتخذت طابع الهجمات الفجة على النظام السياسى والاجتماعى الاشتراكية تحت زعم ((التجديد الأخلاقى)) للسياسة الخارجية الأمريكية تعيد الى الاذهان بقوة أسوأ امثلة دبلوماسية الحرب الباردة . وهل يكون من المعقول اضفاء اسم التصرف الأخلاقى على التصرفات التى تهدد بتسميم مناخ الانفراج والارتداد بالعلاقات الطبيعية فى الحياة الدولية التى تعلق الانسانية عليها افضل واعز آمالها والتى بذلت فى سبيلها الكثير من العمل والمزيد من الصبر ؟ .. وهل من المعقول أن يكون السلوك الذى يؤدى الى تقويض امن الشعوب سلوكا ينسجم مع مفهوم ((دبلوماسية الشعب)) ؟

ومن ثم فان اعلان المرء لتمسكه بالمبادىء والمثل الأخلاقية لا يمثل فى حد ذاته ضمانا ما . وبالاضافة الى هذا فان مثل هذه الاعلانات تصبح لا اخلاقية وذات خطورة عندما تستخدم لاخفاء الممارسات السياسية التى تناقض اكثر مطالب عصرنا ديموقراطية وانسانية .

وليس من قبيل المصادفة ان المفهوم الامريكى عن « السياسات الأخلاقية » بدلا من ان يستحوذ على استحسان العالم قد قوبل من قبل اقسام كبيرة من الناس ببرود واثار بعض القلق حتى فى صفوف حلفاء واشنطن . وقد شعر كثير من رجال الدولة البورجوازيين بانه من واجبهم فى ضوء حقائق الحياة الدولية أن يحذروا من هذا التلاعب الأمريكى بالاخلاقيات حيث أن هذه اللعبة يمكن أن تنقلب الى « اللعب بالنار » . وسيتضح فى المستقبل القريب ما اذا كانت الادارة الجديدة الامريكية ستتفهم هذا أو لا .

أما بالنسبة للقوى التقدمية وبالنسبة لنا نحن الشيوعيين بالتحديد فاننا نرى انه من واجبنا أن نظل على يقظة بالغة من المناورات الايديولوجية والسياسية للامبرياليين الامريكيين وغيرهم بمن فيهم الأوروبيون الغربيون . وعلينا أن تكشف الدافع الحقيقى الذى يكمن خلف هذه السياسات وان نبرهن للشعب أننا على حق فى تحليلاتنا واستنتاجاتنا

●

ندوة
عالمية



ناقشت ندوة عالمية عقدت فى براغ باشراف مجلة « قضايا السلم والاشتراكية » هـذه القضية • وحضر النـدوة روث كيسلر رئيسة لجنة تخطيط المدينة فى درسـدن بجمهورية المانيا الديمقراطية والبروفيسـور ديتر هوسيل باكاديمية العلوم الاجتماعية ـ السياسية والقانون بجمهـورية المانيـا الديمقراطية ، وجيانكارلو تواجليوتى قائد المجموعة الشيوعية ببلدية تورين فى ايطاليا ، ورنيزو تشيايولو قائد المجموعة الشيوعية ببلدية بوسولينو فى ايطاليا ، ونيقولاى يابلوكوف رئيس اللجنة التنفيذية لسوفييت مدينة ياروسلاف فى الاتحاد السوفييتى ، وديمترى برونز كبير المهندسين المعمـارين فى الاتحاد السوفييتى ، وتيسـتو يحتينين محافظ كيمى فى فنلندا ، ومارسيل روسيت عضو اللجنـة المركزية للحـزب الشـيوعى الفرنسى ، وزدنيك زوسـكا محافظ براغ فى تشيكوسلوفاكيا ، وفاتسلاف كاساليتسكى مدير معهد فنى العمارة فى براغ بالاضافة الى أعضاء لجنة القضايا النظرية العاملة فى مجلة « قضايا السلم والاشتراكية » •

وكانت النقاط المطروحة للنقـاش هى : القضـايا التى تواجهها المدن وجوانبها المتميزة فى ظل النظامين الاجتماعيين المتعارضين ، ومركز السلطات البلدية فى هيكل سلطة الدولة وقدراتها فى تحقيق المصالح الاجتمـاعية والاقتصـادية والسياسية للشعب العامل ، وقضـايا الرقابة على التحضر وقدراتها فى ظل الراسمالية والاشـتراكية ، والخطـوط الرئيسية للنشاط الشيوعى فى مجال اشـاعة التحضر فى البلدان الاشتراكية والرأسمالية •

يرتبط تطور المجتمع الرأسمالى أوثق ارتباط بنمو المدن ، وتركز الطبقة العاملة فيها ، ونمو وعيها الطبقى وتنظيمها . وقد عرف لينين المدن بأنها « مراكز الحياة الاقتصـــادية والسياسية والروحية للشعب .. والأداة الرئيسية للتقدم » . (لينين ــ المؤلفـات الكـاملة ــ المجلد ١٩ ــ ص ٢٧٠) . وقد كانت المدن الرأسمالية دائما بؤرة للتناقضات الاجتماعية للمجتمع البورجوازى التى لا حل لها . فكيف تكون المدينة الرأســمالية اليوم من الناحية الاجتماعية ؟ وما هى الجوانب الجـديدة التى تبنيهــا العلاقات بين الطبقات وبين المجموعات الاجتماعية على مسرح الحضر وكيف نضعها السياسة الشيوعية فى الاعتبار ؟

أوضح **رينز تشيايوليو** أن التحول العميق الذى يجرى فى المجتمع الايطالى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية كعملية تحفـزها المعـــارك الســـياسية والاجتماعية للطبقة العاملة والفئات الشعبية الأخرى يتضمن نموا عميقـا سريعا للمدن . لقد تدفق على المـدن ملايين النـاس الذين يفتقـرون الى المؤهلات المناسبة والمسكن الملائم . ويجبر أولئك الذين تمكنوا من الحصول على مسكن على دفع جزء كبير من أجورهم فى صورة ايجار ، ويصل هــذا الجزء بالنسبة للبعض الى نصف الأجر . أما بالنسبة لمستوى بناء المدارس والعناية الطبية وغيرها من الخدمات فمتواضع للغاية . وصـــاحب عملية التحضر تدهور اقتصادى وافقار كثير من المدن . وازداد عـــدم التــوازن التقليدى بين الشمال والجنوب وأصبحت هناك مناطق زراعية واسـعة فى الجنوب مهجورة . وفى المقابل ازدادت الفئـــات الطفيلية ثراء . وتدفع آلاف وآلاف الملايين من الليرات سنويا كايجارات فى المدن . وأصبح لدى كبار الصناعيين والاحتكاريين احتياطى ضخم من العمال المستعدين للعمــل مقابل أجور تقل كثيرا عن حد الكفاف .

بيد أن العمال لم يتخذوا أبدا موقفا سلبيا أو ضعيفا فى مواجهة هــذه الظواهر . لقد تجمعوا معا ــ بقيادة الحزب الشيوعى وغيره فى المنظمات الديموقراطية ــ لمقاومة ضغط الاحتكارات ، وتركوا طابعهم على التطور الوطنى ، وعلى سياسات التحضر ، وعلى الثقافة والحياة العامة عموما .

واضاف **جيانكارلو كواجيلوتى** أن نمو فئة جديدة من سكان الحضر سمة هامة من سمات البيئة الاجتماعية فى المدن الرأســمالية اليـوم . وفى الوقت الذى يطور فيه الحزب الشيوعى الايطالى التحـــالف التقليدى بين العمال والفلاحين فانه يوحد بثبات الفئات الشعبية الأخرى خلف الطبقـة العاملة . وبهذا الأســـلوب فاننا نعزل رأس المال الاحتكـارى وكل من

يرتبطون بالفئات الطفيلية وتقلص مصالحهم • وتعكس العلاقات بين مختلف أقسام سكان الحضر النزاع بين القوى ذات المصالح الاقتصادية والسياسية المتعارضة • وقد كان الشـــيوعيون دائما كقادة لأجهـزة الحكم المحلي أو كمعارضة سياسية ـ الى جانب القوى السياسية الأخرى ـ خصـوما الداء للنظام الرأسمالى ، وأثاروا القضايا الرئيسية للنضال من أجل سـياسة حضرية جديدة ، كما كشفوا الطابع الاجتماعى لهذه القضايا •

ويدور صراع مرير من أجل التنمية المخططة ، صراع لضمان أن تخدم عملية التحضر المصلحة العامة ، والمـوازنة بين التنظيم الاقليمى للبـلاد وتنميتها الاقتصادية • كما أننا نشن حملة من أجل سياسة اسكان تجعل من الممكن حل هذه القضية باعتبارها قضية اجتماعية ، ومن أجل انهـاء المضاربة فى العقارات ، ومن أجل تحويل المدارس الى أداة لثقافة جديدة، واعادة تنظيم وسائل المواصلات ومن أجل خدمة طبية فى متناول الجميع• وقد حضرت هذه الحملة المكاسب التى حصل عليها الشـيوعيون وغيرهم من الديموقراطيين فى الانتخابات البلدية فى يونيو ١٩٧٦ • وفى الوقت الحالى يعيش ٢٥ مليون ايطالى فى بلديات يحكمها الشـيوعيون ، ويرأس الشيوعيون بلديات تورين ونابلولى وفلورنسـا وكثيرا من المـدن الكبيرة الأخرى •

وتحدث كواجليوتى عن بعض انجازات بلدية **تورين** وغيرها من اجهـزة الحكم المحلى التى يسيطر عليها الشيوعيون فى مجال تحسين حياة الشعب الكادح • وأوضح أن القوى الديموقراطية قد وجهت لطمة قاسية للاستخدام الطفيلى للاراضى فى المدن والمضاربة •

وقد أشار المشاركون فى النـدوة الى أن أزمة الاسكان والتطـور غير المنسق لبعض العناصر المكونة للنظام الحضرى ، وفقدان الوسائل الصحية وتفشى الجريمة والبطالة وكثير من الجوانب الأخرى للحياة الحضرية التى لفت **انجلز** الانتباه اليها منذ أكثر من مائة عام ما زالت قائمة اليوم وان كان على نطاق أوسع وبأشكال أكثر حدة • وقال **مارسيل روسيت** أن أزمة الاسكان بصورة محددة قد أصبحت لا تطاق • فهى لا تؤثر على الطبقة العاملة فقط ، بل تؤثر أيضا على الاخصائيين والعمـال ذوى اليـاقات البيضاء • وتبلغ أعداد هؤلاء الذين يعيشون فى أحـوال غير مرضـية ٧٥٠٠٠ من سكان الأكواخ و ٢ر٧٠٠ر٠٠٠ عائلة تعيش فى منازل ليست مزودة بمياه جارية أو فى مسـاكن آيلة للسـقوط ، و ٤ر٩٠٠ر٠٠٠ شخص يبيتون فى مساكن مزدحمة ومكدسة بشاغليها . وتتفـاقم اليوم أشكال البؤس الاجتماعى من جراء تفاقم الظروف المعيشية غير الصـحية والازدحام أو شراء المساكن بازدياد تكاليف الخدمات العامة • فهذه الأعباء أصبحت ثقيلة على ميزانية الأسرة وبلغت المتأخرات فى الايجارات أبعـادا مفزعة • ونتيجة لذلك يتم الحجز على ممتلكات الأسر وتقوم الشرطة تنفيذا

لاوامر رسمية بطردها من مساكنها • ولا تستطيع كثير من الاسر تحمل نفقات الغاز والكهرباء • ويزيد من سوء الوضع الخطير فى الاسكان النقص فى المؤسسات الثقافية والعامه أو الاقتصاد الكلى لها وكذلك دمار البيئة •

وتمس أزمة التحضر جميع الفئات الاجتماعية غير الاحتكارية وان يكن ذلك بدرجات متفاوته • وأكثر فأكثر تتجه تحركات مختلف مجموعات السكان ضد السلطة الاحتكارية وجهاز الدولة التابع لها • وتحاول الدولة استخدام سياسة التطوير الحضرى كوسيلة لتقسيم الفئات الحضرية غير الاحتكارية وغرس الأوهام الاصلاحية فى صفوف الفئات الأقل تعرضا للاستغلال • وأدت اطالة فترة المواصلات اليومية الى اطالة يوم العمل والى نوع من الابطاء فى النضال على المستوى المحلى ، الا أنه نتيجة لتفاقم الأزمة وبفضل النشاط التوضيحى للحزب الشيوعى الفرنسى والأعمال التى نفذت بمبادرة منه أو بمشاركته ، والدور الخاص للبلديات التى يقودها الشيوعيون تقل أكثر فأكثر فعالية الوسائل التى تستخدمها الحكومة لوقف حركات فئات سكان المدن ومنع امتزاجها فى تيار واحد • وأيا كان من يبادر بالعمل فان الحزب يساعد بدرجة حاسمة فى توجيه العمل ضد المسئولين الحقيقيين عن الوضع وتقديم البديل الممكن والمتاح وتوضيح مصلحة كل القطاعات غير الاحتكارية فى التحرك • وبهذه الطريقة يحول الحزب دون انتشار الأفكار الاصلاحية بين صفوف الشعب ويساعد على زيادة الارتباط الشعبى بهذا النضال • وقد أدت الأزمة المتفاقمة ومختلف أنواع التوازن والتشويه التى يسببها التحضر الاحتكارى ــ على الرغم من الجهود التى تبذل على المستوى البلدى لاشباع الاحتياجات الأساسية للسكان ــ الى تنشيط جهود **الحزب الشيوعى الفرنسى** لوضع معالجة وطنية لتحديث سياسة تعالج الظروف المعيشية فى اطارها الواسع • **وقد حدد برنامج الحزب « من أجل حكومة ديموقراطية للوحدة الشعبية » (عام ١٩٧١)** المهام المطروحة فى المرحلة المقبلة • وفيما بعد أدرجت كثير من هذه المهام فى برنامج الحكومة المشترك للأحزاب اليسارية الثلاث •

وأوضح **تشايولو** أن القوى الديموقراطية **الايطالية** قد رأت دائما فى الحكم الذاتى المحلى هدفا استراتيجيا للنضال من أجل تحرير الشعب • ان قضية البلديات فى ايطاليا لم تكن أبدا قضية ادارية خالصة بل قضية سياسية أيضا • وهى تلعب دورا هاما فى النضال من أجل ديموقراطية أوسع ومن أجل نموذج اقتصادى واجتماعى جديد للبلاد وعلاقات دولية جديدة وقد ازداد دور البلديات اليوم ، ويرجع ذلك فى المقام الأول الى الحاجة الملحة الى احداث تغيير أساسى فى طبيعة سلطة الدولة وهيكل تركيبها • فقد فرض الديموقراطيون المسيحيون على البلاد ــ بزيادة دور جهاز الدولة الذى يخدم مصالح البورجوازية الكبيرة وسلطتها ــ نهجا معاكسا تماما للتطور يؤدى الى سوء الادارة وتبديد الموارد الوطنية ، وهو

نهج من المحتم أن يؤدى الى تقليل امكانيات أجهزة الحكم المحلى ٠

غير أن طبيعة البلديات ذاتها ـ حيث ان النفوذ الشعبى قوى ـ تتطلب بالضرورة التأكيد على اشباع احتياجات الشعب بتشجيع الاستهلاك الاجتماعى والجماعى ٠ وتقف البلديات فى مقدمة حركة البرمجة الديموقراطية ، والتنسيق الوثيق بين الخطط الوطنية والمحلية حتى تكون قادرة على المشاركة فى اختيار ووضع الخطوط الأساسية للتنمية ، والاشراف على تنفيذ الخطط ٠ وفى ايطاليا لا يمكن بلوغ أهداف الاصلاح الديموقراطى الا بشن حملة جماهيرية واسعة ، والحاق الهزيمة بمقاومة المحافظين ٠ وتعتبر البلديات قناة رئيسية لتشكيل وعمل الحركة السياسية الجماهيرية وقد أظهرت طاقاتها الهائلة فى تحقيق التغييرات الديموقراطية ، وتوسيع حقوق الشعب ، واقامة نظام ثابت من التحالف بين الطبقة العاملة وغيرها من الطبقات والفئات المستغلة ٠

وشرح **نيقولاى باكوبلوف** أن زيادة الديون المالية من أكبر المعضلات التى **تواجه المدن الرأسمالية٠وتساءل هل يمكن ان تحل حلا جذريا وديموقراطيا بزيادة استقلال البلديات دون تغيير الطبيعة الطبقية للسلطة الوطنية ؟** يبدو لى أن التأكيد على النشاط على المستوى البلدى وليس على الموقف من الدولة ، والنضال لتغيير البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع أشبه بمحاولة اقتلاع شجرة بتشذيب فروعها ٠ **وبشكل عام هل تستطيع البورجوازية أن تمنح البلديات ـ وخاصة تلك التى يحكمها الشيوعيون ـ الموارد المالية والمادية التى تحتاجها لحل قضايا المدن الاجتماعية ؟**

وأجاب **تشيايولو** أن **الحزب الشيوعى الايطالى** يطالب فى المقام الاول ان تتحمل الدولة كل ديون البلديات على أن تسددها فى أربعين عاما ٠ كما يطالب الحزب بتغيير نظام الضرائب بحيث يدفع الأغنياء ضرائب أعلى ٠ وانها لفضيحة أن ألوف الأثرياء ما زالوا يتهربون من الضرائب كل عام مستغلين مختلف الحيل والثغرات ٠ ومن الضرورى أن نطبق نموذجا جديدا تماما لتوزيع موارد الضرائب بين الدولة والبلديات ٠ ففى حين أن نطاق نشاط **البلديات قد اتسع فانها لا تحصل الا على ١١٪ حتى فى ظل الدكتاتورية الفاشية** ٠ ومن المهم أن نجد حلا يكفل مشاركة الجماهير على نطاق أوسع، ويجعل فى الامكان وضع مصالح كل البلديات فى الاعتبار ، والربط بين جهودها ومواردها ٠

وأشار **روسيت** الى أن دور الأجهزة البلدية فى ظل رأسمالية الدولة الاحتكارية دور متناقض ٠ فهى من ناحية ملحقة بجهاز الدولة ومؤسسة تمكن البورجوازية من احكام قبضتها على الشعب الكادح ٠ ومن الناحية الأخرى ، فان الجهود التى تبذل لتكييف بنية البلديات مع احتياجات الاحتكار تصطدم بالحقيقة الماثلة فى أن البلديات تسعى الى الاحتفاظ

بالاستقلال النسبى الذى كان متاحا لها من قبل فى اطار الديموقراطية البورجوازية ، وذلك بوصفها بدرجة أو أخرى مراكز تقليدية للنشاط الديموقراطى • وطيلة سنوات رفض الشيوعيون المنتخبون لمختلف الاجهزة تأييد استراتيجية السلطات ازاء التحضر وغيرها من القضايا • كما قاموا بعديد من المبادرات لتطوير حركة السكان والارتفاع بالطابع الديموقراطى للادارة البلدية سواء فى وضع سياسة حضرية أو فى اشباع المطالب العاجلة • واننا ندعو الفرنسيين الى أن يناضلوا معنا من أجل عدم تسريح العمال من وظائفهم وتوفير أعمال جديدة ، ولمساندة الحرف والمهن ، ومن أجل تطوير قوى للمؤسسات الاجتماعية والثقافية ، وحتى يكفل لكل امرىء الحق فى المسكن ، ولكى تقوم الدولة بواجبها فى تمويل البناء الاجتماعى وتخفيض الايجارات ، ومن أجل وسائل مواصلات عامة حديثة ، وضد تلويث البيئة . غير أننا ندرك أن السياسة الحضرية السليمة ، والتحسين المستمر فى ظروف المعيشة والبيئة مستحيل دون اجراء تغييرات عميقة ، دون تغيير السياسة ، دون تغير السلطة ، ودون تغير المجتمع •

وأوضح **تشابيولو** أننا حين ندعو الى حكم محلى أكثر ديموقراطية ، وحين نرفع القضية الى مستوى القضايا الوطنية لا نقصر الأمر على ادارة مجالات ذات أهمية ثانوية • اننا نسعى الى استخدام ميكانيزم تدخل الدولة فى الاقتصاد كوسيلة لكى ندخل على بنية البلاد الاجتماعيه والاقتصادية عناصر تتناقض مع طبيعة الامبريالية • ان سياستنا ليست سياسة اصلاحية ، فلقد اختار الشيوعيون فى أجهزة الحكم المحلى التى يشكلون الأغلبية فيها الطريق الهادف الى اشباع احتياجات الشعب اليومية ، وربط حل القضايا بخطط أكثر شمولا لتحويل الاقتصاد والمجتمع بأسره • واننا نحرص على حماية مكاسب الشعب الديموقراطية وتوسيعها فهى بالدرجة الأولى نتاج لمعارك الطبقة العاملة • ومن شأن هذا أن يولد تناقضات جديدة فى ميكانيزم المجتمع الرأسمالى • وتعتبر الديموقراطية الأساس الذى تشكل عليه الطبقة العاملة قوتها ، وتبنى به قدرتها على حكم البلاد بالتحالف مع القوى الاخرى

وقد أوضحت الندوة أن الدوائر الحاكمة تعارض تطلع الشيوعيين الى اجراء تغيير كامل فى طبيعة سلطة الدولة ، ووضع حد للسيطرة الاحتكارية، ولسياسة وأيديولوجية تنظيم الدولة الاحتكارية لعمليات التحضر . فماهى حدود هذه القواعد وجوانبها المتناقضة ؟

قال **يجتينين** أن امكانية السيطرة على التحضر فى المجتمع الرأسمالى تتوقف لحد كبير على امكانية تنظيم الاستثمار • وحتى وقت قريب كانت أغلب اجراءات الحكومة مقصورة على الاستعانة بالشركات ومنحها القروض وفى الوقت الحالى تبذل بعض الجهود لتوسيع أشكال تنظيم الدولة الاحتكارى للاستثمار وأساليبه • وتدور فى **فنلندا** مناقشات حامية حول ما اذا كان لذلك تأثير على توزيع تسهيلات الانتاج ، وتوفير مزيد من

الاعمال وما الى ذلك • ويشترك الشيوعيون فى هذه المناقشات ويؤكدون أن متطلبات السيطرة على عملية التحضر وتنظيمه ، ومتطلبات التنمية الاجتماعية المخططة عموما ، لا تتوافر الا حيث يسيطر المجتمع على الاستثمار ، وهذا يعنى بدوره تغييرات اجتماعية عميقة • وتزداد الحاجة الى تحويل التحضر من عملية عفوية الى عملية منظمة • واننا نرى فى ذلك حجة جديدة لصالح الآفاق الاشتراكية التى يدعو لها الشيوعيون وكل الديمقراطيين •

وأشار روسيت الى أن الحدود الضيقة لتنظيم الدولة الاحتكارى لعمليات التحضر ترجع الى العوامل المشكلة لبنيتها فى التنظيم الاجتماعى للمجتمع الرأسمالى اليوم • ومن أبرز هذه العوامل عنصران : المؤسسات الكبيرة كمنظمات للادارة الانتاجية والاقتصادية تتلاءم مع تركيز رأس المال ووسائل الانتاج ، والدولة التى تتدخل بشكل متزايد فى النشاط الاقتصادى وفى الحياة العامة عموما ومن ثم تصبح « المنظمة » لها وتلعب دور « المدير » لتلك القطاعات التى لا غنى عنها للانتاج ولكنها تدر معدل ربح تراه الاحتكارات غير كاف • ويتوقف تحقيق توازن نظام التحضر على مدى التداخل بين عملية الانتاج وعملية اعادة انتاج الحياة العامة ـ ويدعو منطق نظام التحضر المتوازن الى تنظيم يتفق ومنطق اعادة انتاج قوة العمل على حساب مصالح رأس المال الخاصة وليس التدخل الحكومى فى ظل الرأسمالية محايدا ، وكذلك ليس محكوما بأهداف ترشيد نظام التحضر وانما محكوم بطبيعة الجهاز ذاته ويتأثر بمراعاة المصالح ، الكامنة القائمة فى هذه الصناعة أو تلك ، كما يتأثر ـ عند كل المستويات ـ بعلاقته بالصراع الطبقى والوضع السياسى • ومن هنا تنشأ التناقضات والأزمات الشاملة للدولة البورجوازية بكل ما يترتب على ذلك من نتائج • بيد أن الاهداف السياسية لادارة نظام التحضر لا تجبر جهاز الدولة على التدخل بشكل متباعد ومنقطع يزيد من تناقضات النظام فحسب ، بل كذلك على اخفاء عجزها عن التحكم فى تطور التحضر وازالة تناقضات التحضر الرأسمالى •

الاشتراكية توفر حلولا فى صالح الشعب

ولما كانت الاشتراكية تقدم على الملكية العامة لوسائل الانتاج وعلى الديموقراطية فانها تغير طبيعة القضايا الاجتماعية تغيرا أساسيا وتضيف بعدا جديدا الى نشاط البلديات الشيوعية • وقد أوضح المتحدثون فى الندوة أن المسالة التي تحتل الاولوية فى المجتمع الاشتراكى هى توجيه عمليات التحضر بطريقة ترفع من مستويات الرفاهية ويمثل التخطيط النقطة الجوهرية فى الادارة الحضرية •

وأوضح **ديمترى برونز** أن الخطة العامة لتطوير أى مدينة تنطوى على تطوير المدينة ككيان واحدة متجانس . وهذه الخطة التى توضع بناء على تعلميات سوفييتات المدن تغطى فترة تتراوح بين عشرين سنة وخمس وعشرين سنة ، وتحدد خطوط التطوير الحضرى وحجم مناطق الاسكان والمناطق الصناعية ومواقعها ، وتوسيع النقل والخدمات والتسهيلات التعليمية والطبية والثقافية والرياضية وتسهيلات الابحاث واجراءات حماية البيئة وينفذ كل هذا العمل على مراحل وفقا لجداول زمنية محددة ، كما تنص الخطة العامة على توسيع موارد المياه وشبكة المجارى والقوى الكهربية الخ .. ويقرر سوفييت المدينة الأهداف الرئيسية للخطة العامة وما يستلزمه وضع هذه الخطة من بيانات أساسية . وتأتى الخطة نتيجة الجهود الجماعية لعلماء الاسكان والاجتماع والمعماريين والمهندسين وخبراء النقل وغيرهم من المتخصصين .

ووصف **برونز** كيف يتم ذلك فى **تالين** عاصمة استونيا السوفييتية ، وكيف حلت القضايا الاجتماعية الحادة التى خلقت أيام الحكم البورجوازى والحرب العالمية الثانية . وقد بدأت اعادة بناء الاشتراكية باستعادة طاقة المدينة الصناعية واقامة أحياء صناعية جديدة . وكان هذا جزءا من خطة طويلة الأجل . واليوم تنتج صناعات المدينة ما يساوى ٤٠ ضعف ماكانت تنتجه قبل الحرب . وظهرت مناطق صناعية جديدة فى أماكن أختيرت بعناية . وكان فى هذا حل لقضية من أكبر القضايا الاجتماعية وقضايا تخطيط المدن ، ونعنى بها توفير النقل وغيره من التسهيلات لالوف العمال، كما كان فى هذا حل لمسألة اجتماعية أخرى هى توفير الاسكان لسكان **تالين** فما أن أعيد بناء الصناعة وأدخلت اساليب البناء الصناعى حتى بدأ بناء المساكن على نطاق واسع . وهكذا زادت المساكن بنسبة ٣٣٠٪ فيما بين ١٩٥٦ و ١٩٧٦ بما يعنى زيادة المساحة السكنية بالنسبة للفرد الى ١٥ر١ متر مربع . وأدى هذا الى تخليص المدينة من كثير من منازلها العتيقة التى لا تتوفر فيها المقاييس المطلوبة وانتقال من يعيشون فيها الى شقق جديدة حديثة . وكانت تلك مهمة ضخمة . وخلال السنوات الثلاثين الماضية أضفنا عمليا ثلاث مدن جديدة الى مدينة **تالين** القديمة . ومع استمرار طاقتنا الاقتصادية فى النمو فاننا نتحول الى بناء طراز جديد أفضل من المساكن مع تزويد كل منطقة سكنية برياض الأطفال والمدارس والمحلات والمستشفيات وما اليها . ان طبيعة الاشتراكية ذاتها توفر ظروفا مواتية للحل المخطط المنسجم لقضايا التحضر وتمكننا من تجنب الظواهر السلبية التى تميز المدن الرأسمالية . وعلى سبيل المثال فان مدننا لا تعانى أزمات مالية . ففى ظل خطة السنوات الخمس الحالية تنفق **تالين** ١٠٠٠ مليون روبل ــ أى ما يزيد نحو ٢٠٠ مليون روبل على خطة السنوات الخمس السابقة ــ على بناء تسهيلات جديدة ثقافية وغير ثقافية .

وتساءل هارى جونز (من الحزب الشيوعى فى جنوب افريقيا) قائلا

أن الخبرة أوضحت أن قضايا التطور الحضرى تثور حتى حين يتبع التطور خطة محددة ، فهل يعنى هذا أن اعادة تركيب بنية اقتصاد البلاد وفقا لخطة ، لا يكفل الحل الكامل لكل قضايا التحضر الاجتماعية ؟

وأجاب برونز أن انجازات المجتمع السوفييتي ـ بما فيها حل قضايا التحضر ـ ترتبط بالتخطيط ارتباطا وثيقا • كما أن الاشتراكية لا تقنع أبدا بما حققته فهى تبحث عن طرق ووسائل جديدة أكثر فعالية لحل القضايا الاجتماعية • **وقد أكد المؤتمر الـ ٢٥ للحزب الشيوعى السوفييتى** • أن على مجتمعنا ان يرفع مستوى التخطيط ويجعله متمشيا مع مستوى اقتصادنا وطابعه ومتطلباته • ومن المهم للغاية ـ فى المرحلة الحالية لبناء الشيوعية . أن نقوم بمعالجة شاملة لقضايانا طويلةالاجل ، وأن نرى القضايا الاقتصادية والقضايا الاجتماعية فى وحدتها • ويعنى هذا أنه يتعين علينا أن نحل قضايا التحضر عندنا من خلال التخطيط الاقتصادى ـ الاجتماعى وبتطبيق أساليب التخطيط والتنظيم بشكل واسع على تلك الجوانب من حياة المدن التى لم تكن الخطة العامة تغطيها فى السابق بشكل كاف • ففيما مضى كانت الخطة العامة تقتصر أساسا على تخطيط المدن ولا تلقى اعتبارا كبيرا للبنية الاجتماعية المتغيرة للمدينة ولأسلوب حياة الناس مما جعل من الضرورى أن نجد معالجة شاملة للقضايا الاقتصادية والاجتماعية ونحن نقوم بذلك الآن وذلك بوضع خطط تنمية اقتصادية ـ اجتماعية للأحياء السكنية فى المدن •

وقد أيد بقية المتحدثين فى الندوة من البلدان الاشتراكية الفكرة القائلة بأن التخطيط الاقتصادى ـ الاجتماعى هو مفتاح حل القضايا الاساسية للمدن الاشتراكية •

وقال **زدنيك زوسكا** أن التخطيط فى المراحل الأولى للبناء الاشتراكى كان مقصورا على الانتاج المادى أساسا • ولكن حتى فى ذلك الحين كان التخطيط الاقتصادى عاملا قويا فى حل قضايا التحضر الاجتماعية بما فيها قضية التغلب على الصفات المعادية للمجتمع الموروثة عن النظام الرأسمالى فى حياة المدينة والتى أمكن حلها فى بلادنا • ففى العالم الرأسمالى يؤدى التطور الحضرى الذى « يحفزه » الاندفاع الى الربح الى انفصال اجتماعى ، ويجبر الملايين على أن يعيشوا فى مساكن مزدحمة أو متهرئة على الرغم من وجود كثير من الشقق الخالية (وتقدر الصحف عدد الشقق الخالية فى فرنسا وحدها بمليون ونصف مليون شقة) • وعلى العكس وضعت الاشتراكية حدا لتقسيم المدينة الى أحياء غنية وأحياء فقيرة تتوقف فيها نوعية الاسكان على دخل المستأجر ، وكذلك وضعت حدا للفارق الحاد بين قلب المدينة والأحياء النائية ، وللأخطار الصحية الناجمة

عن التوزيع الفوضوى للصناعة والخدمات .

ويفرض بناء الاشتراكية المتطورة متطلبات أعلى على نظرية التخطيط وممارساته ، وهو يتسم اليوم بمعالجة أشمل ، وبالتخطيط طويل الآجل، وبالتأكيد على الجوانب الاجتماعية لتخطيط المدن . وقد بادر الشعب العامل نفسه بتقديم فكرة التخطيط الاقتصادى ــ الاجتماعى الشامل ، ولكنه لم يشمل فى البداية الا بعض المصانع وان كان قد شمل وحدات اكبر فيما بعد . وأوضحت الخبرة أن كثيرا من القضايا لا يمكن ان تحل الا بهذه الوحدات الاكبر . وقد بلغنا مرحلة جديدة يمتد فيها التخطيط الاقتصادى ــ الاجتماعى طويل المدى الى عدد أكبر من الوحدات الاقليمية والمناطق والمدن .

وللعاصمة **التشيكوسلوفاكية** ــ كغيرها من المدن الاشتراكية ــ برنامجها الاقتصادى ــ الاجتماعى طويل الآجل الذى وضع تحت اشراف لجنة الحزب المركزية ولجنة الحزب فى المدينة . ويقوم هذا البرنامج على خطة المدينة العامة ويستهدف الى التنسيق بين العناصر السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاقليمية والتكتيكية والاستثمارية فى تطور براغ حتى عام ١٩٩٠ مع وجود برنامج أكثر تفصيلا لخطة السنوات الخمس السادسة الحالية (١٩٧٦ ــ ١٩٨٠) . كما يحوى خطوطا عامة لتطوير المدينة على مدى أطول حتى عام ٢٠٠٠ مع ربط التوسع الصناعى بالتطور البلدى وتوفير العمل والموارد المادية ومستلزمات الاسكان والتعليم العام والصحة والضمان الاجتماعى .

وقال **يابلوكوف** أن برامج تنميتنا الشاملة تقوم على قرارات الحزب والحكومة وخطة التنمية الاقتصادية ، وتحدد قرارات **المؤتمر الـ ٢٥ للحزب الشيوعى السوفييتى** طرق ووسائل بلوغها . وتتلخص مهمة الأجهزة البلدية فى ايجاد أفضل الأساليب لتنفيذ نصيبها فى هذه الخطط مع وضع الظروف المحلية فى الاعتبار ، وهدفها الرئيسى هو جعل التطوير الحضرى وسيلة للارتفاع بمستويات الرخاء وتسهيل التطور الشامل للفرد وتحقيق المساواة فى الظروف الاجتماعية والاقتصادية لمختلف مجموعات السكان . والخدمات البلدية . وقد وضعت خطة التنمية الاجتماعية والاقتصادية لمدينة ياروسلاف فى خطة السنوات الخمس العاشرة الحالية « ١٩٧٦ ــ ١٩٨٠) باشراف منظمة الحزب فى المدينة وهى تتضمن بناء نحو ١ر٦٠٠ر٠٠٠ متر مربع من المساكن الجديدة . والتركيز الآن ــ وفقا لقرارات المؤتمر الـ ٢٥ ــ على تحسين الاسكان وبناء المساكن والمؤسسات الثقافية وغيرها ، وتوفير خدمات بلدية أكثر فعالية ؛ وتحديث المدينة وتحسينها معماريا .

واضاف **يابلوكوف** أن كل خططنا تقوم على المعرفة العملية للبنية

الاجتماعية للمدن الاشتراكية ، والعمليات الاجتماعية التي تجرى فيها ، وتعطى الأولوية للاجراءات التى تستهدف زيادة دور الطبقة العاملة سواء فى مجال الانتاج أو فى الشئون العامة وتحسين التدريب المهنى للجيل الجديد من العمال باضطراد . واليوم يعتمد الانتاج لحد كبير على قدرة الشعب العامل على بلوغ كفاءة أعلى فى الانتاج وتحسين البنية الاجتماعية لكن هذا غير ممكن الا اذا جعل المجتمع كل انجازات العلم والثقافة فى متناول السكان جميعا ، وكفل التطور الشامل للفرد . وقد أقمنا فى مدينتنا (وتعدادها ٥٧١٠٠٠ نسمة) شبكة تتسع على الدوام من المؤسسات التى تساعد على رفع المستوى الثقافى لشعبنا العامل ومهاراته . ويتم تشغيل العمال الجدد الذين يتخرجون من شبكة تدريبنا المهنى التى يتلقى فيها الشباب — فضلا عن تعلم المهنة — تعليما ثانويا كاملا . وهناك ١٧ مدرسة من هذا الطراز يحصل طلابها على وجبات طعام مجانية ومسكن وزى موحد وملابس عمل فضلا عن المنح الدورية . كما أن هناك أربع مؤسسات للتعليم العالى يصل عدد طلابها الى ٢٥٠٠٠ طالب و ٨٠ مدرسة عامة يلتحقون بها ٧٥٠٠٠ طالب ، وللمدينة مسرحها الدرامى وفرقة فيلها رمونية وسيرك ومسرح للعرائس و ٥٠ قاعة عامة بينها ١١ قاعة سينما و ٣٠ بيتا من بيوت الثقافة توفر دائرة واسعة من التسهيلات التى تساعد أبناء شعبنا على تطوير قدراتهم .

وردا على تساؤل أثاره سرجيو سبيرا عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى أورجواى أوضح يابلوكوف بشكل تفصيلى كيف تهتم الهيئات البلدية فى مدينته بصحة الناس ، وكيف يجرى تنظيم التدريبات البدنية للاطفال فى الاتحاد السوفييتى . وقال أن الرعاية الصحية والتربية البدنية للجيل الصاعد فى الاتحاد السوفييتى من صميم مهام الدولة ، ونقدم كل اشكال الرعاية الطبية والتسهيلات الرياضية مجانا . ويوجد فى ياروسلاف أكثر من ١٠٠٠٠ من العاملين فى المجال الطبى ، ولدى مؤسساتنا الكبرى دور للعطلات ودور صحية فى الضواحى كما توجد فى المدينة ١٢ مدرسة رياضية للاطفال .

وقالت روت كيسلر أن انخفاض الايجارات سمة بارزة للمدن الاشتراكية ففى البلدان الرأسمالية يضطر كثير من الكادحين الى انفاق نصف دخلهم كايجار ، أما فى درسدن (جمهورية ألمانيا الديموقراطية) فالايجار لايبلغ سوى ٥٪ من دخل الاسرة . وتلعب المؤسسات الصناعية ومؤسسات البناء دورا هاما فى تحسين ظروف العمل والمعيشة وقد زاد دورها بشكل ملحوظ فى حل قضايا التحضر فى السنوات الأخيرة . ففيما مضى كانت الفكرة السائدة هى أن تحسين ظروف المعيشة فى المدن وظيفة من وظائف السلطات البلدية ولا تخص المؤسسات . أما الآن فان المؤسسات القائمة داخل اطار مدينة معينة تشارك فى حل عدد متزايد من قضايا التحضر مثل توسيع بناء المساكن أو تحديث المساكن القديمة أو توفير مزيد من دور

الحضانة ورياض الأطفال أو بناء المعاهد الثقافية وغيرها من المعاهد العامة كما أن النوادى والتسهيلات الرياضية والمكتبات التى تقيمها المؤسسات توضوع تحت تصرف سكان المدينة جميعا ٠

وتحدثت **كيسلر** أيضا عن بعض العناصر الهامة فى خطة التنمية الاقتصادية - الاجتماعية فى **درسدن** وخاصة بناء المساكن والصحة العامة، ومساعدة العاملات والأسر الكبيرة ، وحماية البيئة ، وتحسين التسهيلات الترفيهية وأكدت كذلك على أهمية التنبؤ بنمو السكان لتخطيط بناء المساكن وتوسيع الخدمات البلدية والطبية والتعليمية والثقافية ٠

وقد وجهت الى **كيسلر** عدد من الاسئلة المتعلقة بتوفير الخطة لاهتمامات واحتياجات مختلف مجموعات السكان وعلى وجه الخصوص الاهتمامات الموسيقية للشباب (**سؤال من هارى جونز**) واحتياجات هواة السيارات (**سؤال من جيرونيمو كاريرا عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الفنزويلى**) فأجابت أن الخطة توفر وسائل كافية لكل الجوانب الثقافية - الشعبية والكلاسيكية والحديثة ٠ وتعتبر **درسدن** مركزا ثقافيا كبيرا وتبذل سلطات المدينة الكثير لاشباع الاحتياجات الثقافية للشباب ٠ وعلى سبيل المثال ينظم قصر الثقافة الذى يضم قاعة تسع ٢٥٠٠ مقعد حفلات للموسيقى الكلاسيكية بالاضافة الى حفلات الفرق الغنائية والوترية وفرق الجاز والأمسيات الاجتماعية وما الى ذلك ٠ وفضلا عن ذلك يقدم عدد من مقاهى الشباب عروضا وتنظم كل مطاعمنا ومقاهينا أمسيات اجتماعية أسبوعية أما هواة السيارات فقد خصصنا اعتمادات لصيانة ورش الاصلاح الحالية ومحطات البنزين وغيرها من التسهيلات ولبناء تسهيلات جديدة ٠

وأشار **ديتر هوسيل** الى أنه من المعترف به أن البلدان الاشتراكية تواجه بنجاح القضايا الاجتماعية للمدن ، الا انه لا يزال يوجد كثير من القضايا التى لم تحل بعد ونحن لا نحاول اخفاءها ٠ ففى مدننا الكبيرة والمتوسطة لا يوجد مسكن كاف من زاوية المساحة والتسهيلات الحديثة لكل شخص ٠ وفى المدن الاكبر لا تزال رياض الاطفال ودور الحضانة النهارية تشكل معضلة ٠ الا أن الأمر الهام هى أن كل هذه القضايا يجرى حلها ولن يمضى وقت طويل حتى تكون قد حلت ٠ ويدعو برنامج **الحزب الاشتراكى الألمانى الموحد** الى الحل الكامل لمسألة الاسكان ، وهذا يعنى توفير شقة حديثة لكل عائلة فى عام ١٩٩٠ ، ستحل مسألة تسهيلات رعاية الطفل قبل ذلك ٠

وتساءل **كواجليوتى** عما اذا لم تكن الدرجة العالية من التحضر فى جمهورية ألمانيا الديموقراطية قد أدت الى ظهور أحياء أو مدن صغيرة يتعثر تطورها كثيرا خلف تطور البلاد ككل ٠

وأوضحت الاجابة أنه لا توجد في جمهورية ألمانيا الديموقراطية أية قضايا ذات علاقة بالمناطق شبيهة بتلك القضايا القائمة في البلدان الرأسمالية • فالتحضر يتبع خطة محددة تغطي جميع الأحياء كبيرها وصغيرها وان لم تكن معدلات النمو واحدة دائما بالطبع حيث أن المدن المتوسطة الحجم تنمو بمعدل أسرع لأنها توفر الظروف المثلى للصناعات الجديدة ولتطوير الهياكل الأساسية وتتيح ظروف عمل معيشية متجانسة • كما لا يوجد لدنيا تلك التناقضات من النوع الرأسمالي بين المدن والمناطق الزراعية ، وذلك أولا لأنه لا توجد فوارق كبيرة في الأجور وظروف المعيشة والظروف العامة بين الاثنين ، وثانيا لأن التنمية الزراعية الكثيفة تستبعد ظهور مناطق « متخلفة » بلا مستقبل ، وأخيرا لان كل هكتار من الأرض الزراعية يفلح •

وأوضح فاتسلاف كاساليتسكي أن الاهتمام يتركز في الظروف الحالية على نوعية مدننا (التسهيلات العلمية والانتاجية والثقافية والتعليمية والاجتماعية وغيرها) ، وبالتالي فان سياسة المدن لدينا لا تعيد خلق النموذج التقليدي للأحياء السكنية بل تطور بشكل منتظم نماذج جديدة ذات مؤشرات اقتصادية ـ اجتماعية وثقافية أعلى • لقد أصبح التحضر الاشتراكي الى جانب العمارة علما وفنا • ونحن نقوم بمشروعات لم تكن معروفة في الماضي ، وحتى صياغة قضايانا تتضمن عناصر علمية وفنية وحلها يتطلب بحثا مكثفا وتذوقا جماليا سليما • ويزيد من أهمية ذلك أن

اسلوب حياتنا المقبل لا يكفي أن يكون مجرد امتداد لأسلوب الحياة الحالي • **وما نفتقر اليه ـ نحن مخططي المدن ـ هو اذا أمكن القول المعلومات عما سيكون عليه أسلوب الحياة الاشتراكي في بداية القرن الـ ٢١ وذلك في الوقت الذي ستبدأ العمل فيه الأحياء السكنية وغيرها من المشروعات التي نضع تصميماتها • ويتضمن هذا العديد من القضايا ، لا في بناء المساكن أكثر من مجرد مسكن ويواجهنا أسلوب الحياة في المجتمع الاشتراكي بالفعل بمطالب تتجاوز المكونات المعتادة لتخطيط المدن • وينطبق هذا مثلا ـ على تطور التجارة وتسهيلات الخدمة التي تمكن كل مدينة من التمتع الكامل بالمزايا الثقافية • وليس سرا أن سكان مدننا كثيرا ما يتخذون موقفا استهلاكيا احادي الجانب من الثقافة مستوعبين خصائصها الخارجية لا جوهرها •**

وناقش عدد من المتحدثين في الندوة مسالة العلاقة بين السلطات البلدية والحكومة الوطنية في المجتمع الاشتراكي • وقال زوسكا اننا نعتبر سلطات المدينة جزءا رئيسيا من نظام سلطة الدولة الموحد وأن وظيفتها هي تنفيذ سياسة الحزب الشيوعي والدولة الاشتراكية في اقليمها • وتستند طبيعة العلاقة بين الاثنين وميكانيزمها الى المفاهيم السياسية والقانونية الماركسية ـ اللينينية المتعلقة بتنظيم الأجهزة الحكومية ومؤسسات

الادارة الاجتماعية • وعملها والدور القيادى للحزب الشيوعى ، والمركزية الديموقراطية ، ومشاركة العمال فى ادارة الدولة ، والشرعية الاشتراكية والمساواة بين الأمم والقوميات كلها مبادىء أساسية للحكم الاشتراكى •

والوظيفة الأولى للجنة براغ الوطنية كجهاز لسلطة الدولة وحكومة للمدينة عن طريق البناء المخطط والتوسع فى النقل وغيره من الخدمات وتحديثها ، وتطوير الحياة الثقافية والحياة العامة ، وحماية صحة الناس والبيئة ، والمحافظة على الآثار الثقافية والتاريخية ، وصيانة النظام العام • وتبذل اللجنة المركزية للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى الكثير لمساعدة سلطات المدينة على معالجة القضايا الكثيرة التى يتضمنها تطوير **براغ** • وتتعاون الوزارات وغيرها من مصالح الحكومة المركزية تعاونا وثيقا مع لجنتنا الوطنية فى بناء العاصمة وفى حل قضاياها الاقتصادية والثقافية والصحية وغيرها • وتضع السلطات البلدية على كل المستويات والحكومة وغيرها من أجهزة الحكم فى اعتبارها دائما أن لتطوير طاقة براغ الاقتصادية والثقافية آثارا هامة على البلاد بأسرها •

وناقش **بابلوكوف** مسألة الاجراءات التى تتخذها السلطات البلدية لتحسين ظروف العمل والمعيشة • وقال أن الكثير قد أنجز فى هذا الشأن فى السنوات الأخيرة • وقد أشار **ليونيد بريجنيف** فى خطابه أمام المؤتمر الـ ٢٥ الى انه بفضل الاهتمام الذى يوليه الحزب لقضايا بناء الدولة فان **« عمل السوفيتيات المحلية قد اكتسب بعدا جديدا »** • **وتخول سوفييتات** المدن سلطة تنسيق عمل المؤسسات الصناعية وغيرها من المؤسسات فى اقليمها والرقابة عليها فى الأمور المتعلقة ببناء المساكن والتسهيلات الثقافية والعامة والكثير من الأمور الأخرى التى تساعد فى توفير ظروف عمل طبيعية • ويتعين على المؤسسات والمنظمات التى تقوم ببناء لحسابها أن تضع جزءا من المساكن التى تبنيها تحت تصرف سوفييت المدينة • وهذا لا ينفى أن احتياجات السكان تغطى بشكل عام فى أية مدينة سوفييتية فى المساهمات فى ميزانية المدينة من أرباح المؤسسات الصناعية ومؤسسات البناء والنقل وغيرها وتتجاوز هذه المساهمات ٩٠٪ من دخل المدينة ، ويأتى أقل من ١٠٪ من الضرائب والايجارات •

وتساءل **البرتو كوهين ممثل الحزب الشيوعى الأرجنتينى** عما اذا كانت طبيعة ووضعية السلطات البلدية فى البلدان الاشتراكية لا تؤدى — على الرغم من طبيعتها المختلفة — الى تناقضات بين الأجهزة المحلية والأجهزة المركزية شبيهة بتلك التى وصفها المتحدثون فى البلدان الرأسمالية •

وأجاب **بابلوكوف** أن هذه العلاقات تقوم فى البلدان الاشتراكية على مبادىء جديدة تماما فالسلطات على كل المستويات تسترشد بأهداف مشتركة • وكل قرار للسلطات المركزية يتفق مع مصالح الشعب ، ومن

هنا فان وضع القيادة المركزية موضع المعارضة من السلطات البلديه فى مجتمع اشتراكى لن يؤدى الا الى نتائج غير مرغوب فيها تسىء الى مصالح المدن وسكانها • ان هدف ادارة التحضر يكمن فى ايجاد معالجة وأساليب تحل بعض القضايا المحددة وتوفر فى الوقت نفسه ظروفا أمثل لتقدم المجتمع بأسره • حيثما لا تستطيع الأجهزة البلدية مواجهة قضية ما بسبب الافتقار الى الموارد والسلطات المطلوبة فانها تحيل المسألة الى جهة حكومية على لضمان مساعدتها •

وأكد برونز على أن حق الأجهزة البلدية فى الرقابة على نفقات المؤسسات والمنظمات الصناعية فى مجال الاسكان والتسهيلات الثقافية وغيرها يربط مصالح المصانع والمؤسسات كل على حدة بمصالح المدينة ككيان اجتماعى واقتصادى واقليمى متكامل ومترابط • لقد ألغيت ملكية العقارات فى المدن الاشتراكية مما يوفر للسلطات البلدية فرصا للاستخدام السليم للمساحات الحضرية أفضل مما هو متاح فى المدينة الرأسمالية فسوفييت المدينة سيد لكل الاقاليم التى تدخل فى اختصاصه وهو وحده الذى يستطيع أن يخصص الأرض لاستخدام مؤسسات الدولة أو المنظمات التعاونية والعامة أو الأشخاص • وهو يمارس تأثيرا كبيرا على طبيعة كل المشروعات فى اقليمه وتصميمها وبنائها • فاذا كانت المسألة مثلا هى اقامة مصنع جديد فان سوفييت المدينة يحدد أين وكيف ينبغى أن يبنى ليتوافق مع احتياجات المدينة المتزايدة • كما يشرف سوفييت المدينة على اجراءات حماية البيئة (أساليب التخلص من النفايات الخ ••) ويحدد حجم المطعم الذى سيبنى لحساب المصنع وعدد الشقق التى يحتاجها العمل وما الى ذلك • ولابد من اقرار كل خطط مشروعات البناء الجديدة باتفاق مع السوفييتات المحلية التى لا تقتصر سلطاتها على هذا ، بل يتطلب الأمر أن تفحص لجنة حكومية كل بناء وتوافق عليه ويكون ممثل سوفييت المدينة رئيسا لهذه اللجنة أو عضوا فيها • وباختصار فان للسوفييت الكلمة الأخيرة فى كل ما يتعلق بتطور المدينة •

العمل بين جماهير المدن

ما هى أكثر اشكال التنظيم السياسى للشعب العامل فعالية التى يمكن أن تساعد على تعزيز وحدة الطبقة العاملة وتنظيمها واجتذاب كل قوى المجتمع التقدمية اليها ، ما هى الفرص والأشكال التى تتوفر لمشاركة العمال فى ادارة شئون المدينة فى البلدان الاشتراكية والبلدان الرأسمالية ؟

أوضح هوسيل أن النظام السياسى للاشتراكية الحقة يساعد على توحيد العمال تحت قيادة الحزب الشيوعى فى بناء المجتمع الجديد • وتبدأ الثورة الاشتراكية المحلية بازالة التناقضات الاجتماعية العدائية بين فئات المدينة •

ونصبح الوحدة الاجتماعية والسياسية للمجتمع ككل الاتجاه السائد لتطورها ، وهذا الاتجاه يتصاعد مع بلوغ الاشتراكية درجة أكبر من النضج . فالدولة الاشتراكية هي أداة الشعب العامل الرئيسية في بناء مجتمع اشتراكي متطور ، في حين تعمل الجبهة الوطنية في **جمهورية المانيا الديموقراطية** كشكل سياسي للتفاعل بين كل الفئات الحضريه . وتضم هذه الجبهة الحزب الاشتراكي الألماني الموحد وأربعة أحزاب أخرى وكذلك المنظمات الجماهيرية للطبقة العاملة وغيرها من فئات الشعب العامل اتحاد النقابات الألماني الحر ، ومنظمات الشبيبة والنساء والاتحادات الثقافية . وتمثل جميع الاحزاب الديموقراطية والمنظمات الجماهيرية المتحدة في الجبهة الوطنية في كل الأجهزة المنتجة . **والحزب الاشتراكي الألماني الموحد هو القوة القائدة والمركز التنظيمي والسياسي لهذا النظام ، وهو يقود نشاط كل الأجهزة المكونة للنظام السياسي نحو الاشتراكية الحقة .** ويمارس حزب الطبقة العاملة دوره القيادي في المدن من خلال مجموعاته الحزبية في المنظمات البلدية والجماهيرية وفروعها التي تقوم بتنظيم الجماهير لتنفيذ استراتيجية الحزب السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

ويرى **روسيت** أن أكثر أشكال التنظيم السياسي فعالية في ظروف الرأسمالية هي فرع الحزب . فهو يستطيع ان يطلق العمل الجماهيري وينظمه في الشئون البلدية الخاصة والعامة . وتربط البلديات التي يقودها الشيوعيون وظائفها بالنشاط السياسي ، وعلى عكس البلديات ذات الاتجاه اليميني التي تخفي أغراضها الحقيقية خلف ستار من الأحاديث اللاسياسية (وكأنما الحكم البلدي لا يتضمن سياسة ما !) .

ويهتم الشيوعيون بازالة العقبات الحقيقية أمام اشباع احتياجات الشعب وأمام النمو المتسق للمدن ، وتساعد البلديات التي يقودها الشيوعيون بأعمالها وانجازاتها وبخاصة في أمور الضرائب ، على مزج الأعمال العامة في جهد منسق ، وهي تتبع سياسة مدروسة لمنع الأزمات المالية والحيولة دون ظهورها .

وقال **كواجيلوتي** أن رأس المال الاحتكاري في **ايطاليا** يحاول الحفاظ على سيطرته في المجالس البلدية . وقد عمل الاحتكاريون منذ سنوات طويلة في تحالف واسع يستهدف الحصول على أقصى الأرباح من استغلال الأرض والناس . ويجد هذا تعبيرا عنه على المستوى المحلي في الادارات الفاسدة للمدن التي ترعى المصالح الخاصة لا المصالح العامة . .

وقد اضعفت التناقضات الاجتماعية المتزايدة الناجمة عن التحضر ، وكذلك زيادة وعي الجماهير السياسي من هذا التحالف الذي يسيطر عليه رأس

المال الكبير . وقد بدأت الصلات التى تربط هذه القوى الاجتماعية الطفيلية ـ بما فيها قسم من الشعب العامل ـ فى التحلل والتفكك المضطرد .

ونحن نعتقد أن أفضل انطرق لمناهضة القوى الديموقراطية المسيحية المحافظة هو عزلها وزيادة نفوذها على الفئات الاجتماعية التى تسعى للحصول على مساندتها . وان هدفنا هو تحقيق أكبر قدر من وحدة القوى والأحزب الديموقراطية كعامل لا غنى عنه لبلوغ اتفاق عريض يمهد الطريق أمام التغيرات الاقتصادية وغير الاقتصادية التى نحن فى أمس الحاجة اليها . وبالتالى فقد وضع **الحزب الشيوعى الايطالى** أشكالا تنظيمية توحد المنظمات ذات الاتجاهات السياسية والأيديولوجية والثقافية المختلفة .

سؤال من كوهين : ما هى الأشكال التنظيمية التى استخدمت فى نورين (ايطاليا) لتوحيد الشعب حول الحزب الشيوعى وغيره من القوى اليسارية ؟

وأجاب **كواجليوتى** أن لتورين ـ وهى من أكبر المراكز الصناعية فى اوروبا ـ تقاليد بروليتارية وأممية قوية وتنظيما حزبيا قويا . وقد حصل الشيوعيون فى الانتخابات الماضية على ٤٠٪ من الأصوات وأنتخب أحد الشيوعيين محافظا للمدينة . وتضم منظمة الحزب فى المدينة ٤٠٠٠٠ عضو كما ينتمى ٢٠٠٠٠ عامل الى النقابات و ٥٠٠٠٠ عامل الى المنظمات الرياضية والثقافية التى يقودها الشيوعيون . وكذلك ينتمى ٢٠٠٠٠ حرفى وصاحب عمل صغير الى تعاونيات مناهضة للاحتكار . ويضاف الى ذلك المنظمة النسائية الديموقراطية وغيرها من روابط ولجان الوحدة التى يقودها الشيوعيون . وهى تشمل على سبيل المثال لجان الأحياء التى تنشط حول المسائل الحيوية لشعب المنطقة المعنية ، ثم هناك المئات من مجالس المصانع التى تتألف من عمال من مختلف الانتماءات السياسية ـ شيوعيون واشتراكيون وكاثوليك ، ويوجد اتحاد للطلاب فى كل معهد تعليمى عال تقريبا . وهذا الهيكل التنظيمى يمثل رد القوى الديموقراطية على مايصيب مدننا من تدهور .

وقال **يحتينين** أن البلديات هى احدى قنوات الاتصال بين الشيوعيين والجماهير ، فمن خلالها يتمكن الشيوعيون من الوصول الى أقسام واسعة من الشعب والدفاع عن مصالحهم لا على مستوى المصنع فحسب بل كذلك ـ وبالدرجة الأولى ـ فى أماكن السكن . وهذا يعنى أن الأجهزة البلدية وبخاصة حكومة المدينة ليست نصيرا لمصالح الشعب الكادح فحسب ، بل هى مدرسة للادارة بالغة الفعالية بالنسبة لأقسام واسعة من الكادحين .

واوضح بافل اورسبيرج السكرتير التنفيذى لمجلة « قضايا السلم

والاشتراكية » انه على الرغم من تنوع أشكال واساليب النشاط الشيوعى فى حكومة المدينة ، وعلى الرغم من الظروف البالغة الاختلاف بين البلدان الاشتراكية والبلدان الراسمالية فان الشيوعيين يدافعون فى كل مكان عن مصالح الجماهير ويتسم كل نشاطهم بالربط بين المبادرة الجماهيرية والجهد الذى لا يكل لتعزيز دور الحزب فى جميع منظمات المدن ، وبانهم ثانيا - يركزون على المصالح السياسية والاقتصادية والاجتماعية الأساسية للكادحين ، وثالثا - أنهم يبحثون دواما عن أشكال جديدة أفضل وملائمة وتتفق مع خصائص كل بلد معين • وهذا هو السبب فى أن نشاط الشيوعيين فى الأجهزة البلدية عامل قوى ذو تأثير على نهج التحضر واتجاهه الاجتماعى • كما أن لهذا النشاط فى البلدان الاشتراكيه اسسا اقتصادية - اجتماعية قوية ويستفيد من المزايا الهائلة للديموقراطية الاشتراكية على الديموقراطية البورجوازية • ان الاجراءات التى تقوم بها القوى التقدمية فى البلدان الراسمالية على مستوى البلديات بغض النظر عن جدواها واهميتها التى لا نزاع فيها الا أنها لا يمكن أن تحقق تغييرات اساسية فى الاتجاه الاحتكارى للتحضر ولا يمكن أن تحل القضايا الناجمة عن التحضر الا اذا أدى نضال الكادحين ضد الاحتكار ليس الى اشاعة الديموقراطية فى النظام السياسى فحسب بل كذلك تغيير طبيعته الطبقية تغييرا كاملا باقامة سلطة الشعب السياسية فى جميع أنحاء البلاد •

وأوضح يابلوكوف وكيسلر وزوسكا على أن قيام السلطة البلدية فى البلدان الاشتراكية يؤكد الطابع الديموقراطى الحق للاشتراكية ويوفر فرصا أوسع من أية ديموقراطية بورجوازية لتوحيد السكان واشباع احتياجاتهم • وفى هذا الصدد قال يابلوكوف أن الديموقراطية الاشتراكية تعطى الجماهير نصيبا فى ادارة المدن • وينبطق هذا على كل جوانب الحياة الحضرية وقد أصبح هذا عاملا رئيسيا فى تطورها • والأجهزة البلدية فى البلدان الاشتراكية اجهزة عميقة فى ديموقراطيتها سواء من حيث تكوينها أو من حيث أهداف نشاطها وأساليبه . ولنأخذ ياروسلاف مثلا : ان ٦٥٪ من أعضاء سوفييت المدينة من العمال ، وكل أجهزة حكم المدينة تخضع للرقابة العامة المباشرة ، ويقدم النواب تقارير دورية الى دوائرهم الانتخابية وفضلا عن ذلك توجد كثير من الأشكال المختلفة للمشاركة المباشرة فى صنع القرار ، وبخاصة فى الوقت الحالى حيث تلعب النقابات والكومسومول والمنظمات الجماهيرية دورا أكبر • ولكل مواطن الحق فى أن يتلقى الاجابة المرضية خلال شهر •

وقالت كيسلر أن المناقشة الدورية فى المصانع والمناطق السكنية لخطط المدينة السنوية وخطط السنوات الخمس والخطط الأطول أجلا هى شكل فعال لمشاركة الشعب العامل فى ادارة مدننا • وتمتد هذه المناقشات الى

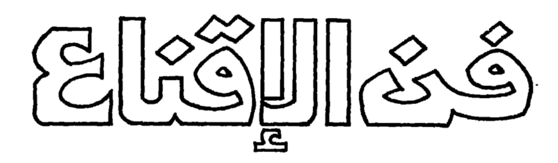
كل جوانب الاقتصاد والخدمات فى المدينة • وتقرر النقابات وغيرها من المنظمات الجماهيرية آراءها فى كل مشروع للخطة • واستطردت كيسلو قائلة أنه من مهام عملها كرئيسه للجنة تخطيط المدينة تقديم تقرير للنقابات عن خطة العام المقبل ودراسة مقترحاتها وادخال التعديلات اللازمة على الخطة ، واجراء تحليل شامل للاقتراحات التى يتقدم بها الجمهور بصفة دورية •

وقال زوسكا أن لجان المدن تعتبر أكثر أشكال الاتصال بالسكان استعمالا وتعقد هذه اللجان ـ التى يعادل عدد أعضائها عدد المندوبين الى اللجان الوطنية فى أحياء براغ ـ أربعة اجتماعات مشتركة على الأقل كل عام ـ تجمع بين النواب والسكان لمناقشة قضايا تنفيذ البرنامج الانتخابى للجبهة الوطنية • وهناك الآن ١٠٣٠ لجنة مدينة تضم ١٤٧٤٦ شخصا ، كما يعمل ٦٢٤٧١ شخصا آخر فى لجان المساكن • ويعنى هذا بان هناك مواطنا بالغا من كل عشرة تقريبا فى براغ يشترك فى عمل لجنة المدينة الوطنية • وبالاضافة الى هذا فان أعضاء اللجنة يهتمون بالاقتراحات والانتقادات التى توجه فى الاجتماعات العامة الدورية وتحظى مشروعات العمل العام التطوعى بكل تقدير ففى عام ١٩٧٥ أسهم سكان براغ بـ ٤٨ مليون ساعة عمل لتجميل مدينتهم بما يعنى أن كلا منهم قد قدم فى المتوسط ٥٠ ساعة عمل تطوعى • وتؤكد هذه الحقيقة وغيرها الوحدة بين سياسة الحزب الشيوعى ومصالح الشعب وتشير الى التطور المستمر للديموقراطية الاشتراكية •

ولخص آورسبيرج باسم لجنة القضايا النظرية العامة فى مجلة « قضايا السلم والاشتراكية » المناقشات التى دارت فى الندوة فذكر أن هذه الندوة هى أول ندوة تنظمها المجلة حول القضايا الاجتماعية للتحضر ، ودور الشيوعيين فى حكم المدن ، وأن المجلة بذلك قد طرحت موضوعا جديدا هاما • وستواصل « قضايا السلم والاشتراكية » نشر المقالات عن السياسة الشيوعية ازاء قضية التحضر وستعرض الخبرة الشيوعية فى حكم المدن فى البلدان الاشتراكية والراسمالية • وتؤمن لجنة القضايا النظرية العامة بأنه على المجلة أن تنشر سلسلة من المقالات عن الجوانب السوسيولوجية للقضية وتحلل التفاعل بين التحضر والثورة العلمية والتكنولوجية وتاثيرها على التركيب الاجتماعى والسكانى ، والانتاج وأسلوب الحياة وتفكير الفرد •• الخ • ويمكن أن يشفع هذا بتحليل انتقادى لنظريات التحضر البورجوازية وما تقترحه من اجراءات وتدابير • كما ينبغى اجراء دراسة عميقة للقضايا النظرية والمنهجية لتخطيط تطور المدن الاشتراكية •

●


أحداث
الشهر



فن الإقناع

لقد قررنا أن نطلق على التمثيل فن الاقناع وليس فن الادعاء • ونحن ننظر الى مسرحيات مسرح اديكويت على انها لقاءات بين الفنانين والجمهور • وغرض تلك اللقاءات هو : أن يكون لديهم تجربة اخلاقية وجمالية مشتركة ، وأن يتحدثوا حول الأسس المعنوية والايديولوجية ، وان يبحثوا معا عن بطل عصرنا ، وأن يبحثوا عن شكل للاداء مناسب بدرجة اكبر (كاف) لكافة الأوساط ، وأن يوسعوا على الدوام معرفتنا عن العالم الذى يحيط بنا ، وان ياخذوا على عاتقهم المشاكل اللازمة لكافة الأوساط ، مع ايلاء اهتمام خاص للشباب •

الممثلون : بالنسبة لمسرحيات مسرح اديكويت نرغب فى انتقاء ممثلين ، بحكم موقفهم الاخلاقى ومعرفتهم ، ليسوا مجرد « مقدمى أدوار » وانما كذلك أناس ينظرون الى اسهامهم فى العمل المسرحى كدافع باطنى • وهم يحسنون حرفتهم المسرحية بتطوير سماتهم الشخصية الفنية • وبالاضافة الى ذلك يلبون مطلب الاخلاص لكل كلمة ينطقونها ، ولما تتطلبه من عواطف •

المادة الأدبية : اننا نريد ان نستفيد من كافة الاشكال الأدبية التى لها المحتويات التالية : موقف انسانى وخلاق من الحياة ، الاخلاص لوطننا وتقاليدنا ، وموقف وطنى لواقعنا الراهن ، وجمال الكلمة البولندية •

ونحن نطالب بسيناريوهات أصيلة (كتب لمسرحنا) اساسا لكى يندمج الممثلون والجمهور فى المسرحية ، والا يكون الاخيرون مجرد مستقبلين سلبيين للقيم الأدبية •

اشكال الاخراج المسرحى : مهمتنا هى البحث عن اشكال للاخراج المسرحى بسيطة ومتواضعة قدر المستطاع ، مواقف مباشرة وكلمات ذات دلالة ، اصالة اللحظة وكذلك احترام كل ما يستعان به على المسرح والسكون كعنصر للتعبير ، واعتبار الموسيقى والفن لا كصور صوتية ومسرحية ، وانما كعناصر هامة للمسرحية، الاهتمام بالكلمة التى لا يجب أن تكون مجرد كلام على المسرح وانما لتكون قادرة على اعطاء تأكيدات وانفعالات عصرنا •

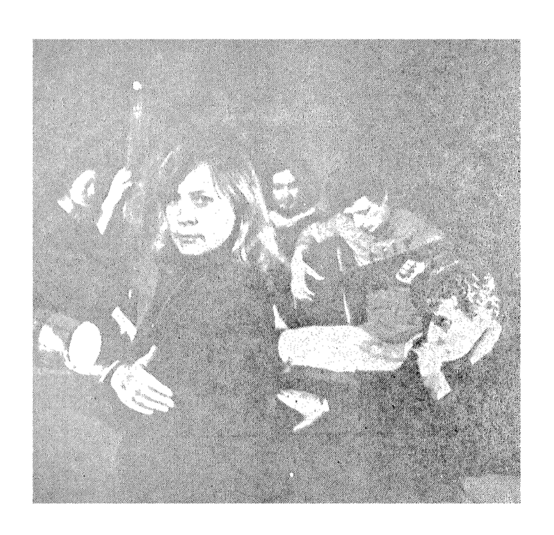
ونحن نرغب فى أن نكون مخلصين لهذه القواعد التى صيغت عبر السنين •

لقد اقيم مسرح اديكويث بناء على



● هنرى بوكولوفسكى مؤسس المسرح ●

مبادرة هنريك بوكولوفسكى وماجدة تريزا فوشيك فى تيسان (تشيكوسلوفاكيا) عام ١٩٦٤ · وكانت أول مسرحية أخرجها هى « بائع الشموع » المأخوذة عن موسيه والتى مثلت فى ظروف ودية للغـــاية · وناقش الممثلون وهم يجلسون على مقاعد صغيرة جوهر الحب والشــخصيات الانســانية والتفاعلات المختلفة بطريقة طبيعية حولت المسرحية الى تبادل تلقــــائى للآراء بين الجمهور والفنانين · ولسنوات عديدة منذ ذلك الوقت ظلت المناقشات حول المسرحيات جزءا لا يتجزأ من المسرحيـــة والتصرف الطبيعى من قبل الممثلين أصــــبح ملزما كذلك للمسرحيات التالية · وقد قررنا أن نطلق على التمثيل فن الاقنــاع وليس فن الادعاء فى مسرحياتنا · ومنذ افتتاحه قدم مسرح أديكويت مسرحيات بشــكل غير منتظم فى شـــــيزن وبلوك وبلاليستوك



● ماجدا تيريزا فى احد مشاهد المسرحية الهندية ●

ووارسو ، ومنذ ١٩٦٩ قدم بانتظـــام تحت اشراف دار المعلمين للثقافة فى وارسو ٠ وفى عام ١٩٧٦ أصبحنا تحت رعاية الادارة الثقافية لمدينة وارسو ٠

والآن عندما أجول ببصرى عبر السنين وأتصور مسرحياتنـا يدهشنى تنــوع تلك المسرحيات التى تختلف لدرجة كبيرة فى طابعها ٠ كيف أمكن ذلك دون اعتمادات مناسبة ؟ ان ذلك فقط بفضل الســـمات الفردية وخيال الفنانين فهل من الصحيح حقا أن الرغبة والقدرة على الخلق قادرة وحدها على تحقيق تلك النتائج ؟ يبدو فى النهاية أن الأمر كـذلك ٠ ويريد المرء ان يصدق ان المسرح يعنى الوقت الذى يكتشف فيه الخيال ، الذى اثاره الوجود والرغبة المتبــادلة فى الخلق ، بمســـاعدة اداء الفنانين القيم التى تعطى معنى للوجــود البشرى ٠ وفى نفس الوقت فكل هــــذه المسرحيات يجمعها شىء مشترك ، جـــو محير ٠٠٠ وأعتقد أن هذا نتيجة الاخلاص للقواعد السالفة الذكر ٠ واعتقد ان هــذا ايضا هو السبب فى الاحترام الذى يوليه الجمهور لمسرحنا ، وهــذا رائع فى نهاية الأمر ٠

ومما يسعدنا كذلك بالطبع ان كثيرا من مسرحياتنا نالت جوائز اولى فى المهرجانات الوطنية البولندية للمسارح الصغيرة ٠



منظمة العمل الدولية وروح العصر

جنيف

أثارت الدورة الاخيرة الثالثة والستين للمؤتمر العام لمنظمة العمل الدولية التى عقدت فى جنيف تعليقات واسعة النطاق ·

ويشير المراقبون الى أن كثيرا من الاجتماعات الموسعة للمؤتمر تركزت على التقرير الذى قدمه ف · بلانشارد المدير العام لمكتب العمل الدولي · وكرس التقرير لمسائل تقديم المعونة للبلدان النامية فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية · ودافع ممثلو الدول الاشتراكية والفتية المستقلة عن اقامة علاقات اقتصادية متكافئة وعن القضاء على عدم المساواة فى التجارة الدولية · وقد أشير كذلك فى تصريحاتهم الى أن تنفيذ التحولات الاجتماعية والاقتصادية والديموقراطية فى البلدان المتحررة حديثا والقضاء الكامل على التراث الاستعمارى يمثل الحل الجذرى للمشاكل التى تواجه العالم الثالث ، حيث لا تزال جماهير واسعة من الناس تعانى من الفقر وسوء التغذية والامراض· وأدان المتحدثون فى المؤتمر بشدة سياسة النهب المفضوح التى تواصلها الاحتكارات متعددة الجنسيه التى تعرقل تعزيز الاستقلال الاقتصادى فى البلدان النامية ·

ان وجود جيش متعدد الملايين من العاطلين يمثل سمة دائمة للنظام الرأسمالى · وعبر عديد من الوفود عن الرأى القائل بأن منظمة العمل الدولية يجب أن تضع اتفاقية دولية حول ضمان حق العمل ، الذى يعتبر أحد حقوق الانسان الاساسية · وفى هذا الاطار وافق المؤتمر على اقتراح الوفد البولندى باعداد اتفاقية وتوقيعها من أجل تعزيز مسئولية الحكومات ودور النقابات فى مكافحة البطالة ·

وأعرب ممثلو القوى التقدمية والنقابات من كافة الاتجاهات عن تضامنهم الاجماعى مع الديموقراطيين والجماهير العاملة فى شيلى · وأدانوا بشدة انتهاك الحقوق

النقابية والحريات المدنية على نطــــاق واسع فى هذا البلد • وكان هناك اجتماع خاص للمجموعة العمالية ناقش هذه المسأله الهامة • واصبح الاجتماع منتدى دوليـــا مثيرا للاعجاب وحد ممثلى النقابات من الاتجاهات الدولية المختلفة • وقرر أن يعلن فى سبتمبر القادم شهر تضامن مع نضال شعب شيلى •

وصدقت دورة المؤتمر العــــام لمنظمة العمل الدولية على اتفــاقيتين • تتعلق احداهما بحماية البيئة الانتاجية، وهو الامر الذى يحتل اهمية كبيرة بالنسبة للجماهير العاملة والنقابات فى كافة البلدان • وتهدف الاتفاقية الثانية الى المساعدة على تحسين ظروف العمل للعاملين فى المجالات الطبية، من الفئات الوسيطة ، الذين تعتبر أجورهم من ادنى الاجور فى البلدان الرأسمالية •

ووافق المشاركون كذلك على التقــرير الذى قدمه المدير العام لمكتب العمل الدولى حول تنفيذ اعلان النضال ضد ســياسة التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا •

وتقدمت الدورة الثالثة والستون لمنظمة العمل الدولية فى جو متوتر لحد ما نتيجة للابتزاز السياسى من جانب وفد الولايات المتحدة • فقد حاول ممثلو الولايات المتحدة اكثر من مرة فرض قرار على المؤتمر يمكن أن يحد من النشاطات العملية للمنظمــــة الى مجرد استعراض الامور التكنيكيـــة ويحرمها من فرصة اتخاذ القرارات حـول مشاكل العصر الملحة • وعارض المندوبون الإملاء الامريكى ومنعــوا المؤتمر من أن يتخذ اتجاها يناسب الجانب الامريكى • ان الرفض الاجماعى للمطالب الامريكيــة التى لا تقوم على أساس ، والتى تهدف الى ابعاد منظمة العمل الدولية عن السياســة ، يمثل نجاحا كبيرا للقوى التقدمية فى تلك المنظمة الدولية •

ولم يوافق المؤتمر على تقــرير اللجنة حول استخدام اتفاقيات وتوصيات منظمة العمل الدولية • والمشكلة هى انه عنــد اعداد التقرير لجأ عدد من البلدان الغربية الى كافة الوسائل الممكنة فى محـــاولة لإعطاء طابع مشروع لاحتلال اسرائيــل للاراضى العربية • وبرفض هذه المناورة ، اكد المندوبون ان منظمة العمل الدوليـــة ينبغى أن تدافع عن مصـــالح الجماهير العاملة فى هذه الاراضى التى لا يمتد اليها القانون الاسرائيلى • وفى هذا الخصـوص ايد المتحدثون فى الاجتماع الموسع موقف الامم المتحدة التى عبرت عنه بوضـوح فى قرارها القاضى بعدم الاعتراف باية حقوق لاسرائيل فى الاراضى العربية التى تحتلها •

ووقف الوفد الامريكى وحلفاؤه ضـــد المقاومة القوية لغـــالبية المندوبين الذين عارضوا مطالب الولايات المتحدة التهديدية، وعرقل بشكل عملى مثل هذه الهيئة الهامة للمؤتمر مثل لجنة صياغة القـــرارات • وكنتيجة لتكتيكاتهم فى التاجيل والتسويف قدم اثنان فقط من عشرة قرارات ، ووفق عليها ، تتضمن قرارا حول تدعيم الدفاع عن الحقوق النقابية •

وخلال الاسابيع الثلاثة من العمـــل المتواصل فشلت اللجنة فى البدء فى مناقشة لمشروع القرار حول سياسة التفــــرقة العنصرية وانتهاك الحـــريات من جانب السلطات الامريكية فى منطقة قناة بناما • ومستفيدين من الاجراءات المعقدة لدراسة القرارات التى تقدم خارج جدول الاعمال، تركت القوى الرجعية مشاريع عـــدد من القرارات الملحة دون حسم • وتتضمن قرارا حول الاثار الاقتصادية والاجتماعية لنزع السلاح وتحقيق اهداف منظمة العمـــل الدولية فى مجال السياسة الاجتماعيـــة ، وقرار حول نشاط الاحتـــكارات متعددة الجنسية التى توقع أضرارا بالبلدان النامية والجماهير العاملة فى الدول الرأسمالية •

وفى هذا الخصوص أدان المندوبون بشدة محاولات منع ممثلى النقابات من مناقشـة المشاكل الاجتماعية الملحة فى منظمة العمل الدولية التى تقلق الجماهير العـــاملة فى جميع انحاء العالم • ودعا الاعضاء ذوى العقلية التقدمية فى المنظمة الى رفع كفاءة منظمة العمل الدولية ونفــوذها الدولى ، وطالبوا تحسين المسائل الاجرائيـــة فى نشاط منظمة العمل الدولية لكى يصـــبح فى الامكان تقديم القـــرارات المتعلقـــة بالمشاكل الملحة فى دورات المؤتمر العام ، ومناقشتها واقرارها بحرية •

وقد ركزت هذه الدورة ، كمثيلاتهـــا السابقة ، اهتمامها على احداث تغييرات ديموقراطية فى بنية منظمة العمل الدولية ، التى تظل فى شكلها الحالى ، محافظـــة ولا تلبى احتياجات العصر . ونجاح عمل هذه المنظمة الدولية يعتمد لدرجـة كبيرة على ما اذا كانت منظمة العمـل الدولية ستستطيع أن تكون فى مستوى التحـولات الاجتماعية السياسية الجارية فى العالم .

وقد عبرت كثير من الوفود عن هـــذا الرأى .

وفى ختام مؤتمر منظمة العمل الدولية اجتمعت الهيئة القيادية لتختار هيئـــة الرئاسة . ولأول مرة فى تاريخ هـــذه المنظمة انتخب كندى رئيســـا للمجلس التنفيذى للمنظمة ، وهو ج . موريس رئيس مؤتمر العمل الكندى .

●●●

أوقفوا الإرهاب والقمع !

جنوب أفريقيا

ان لجنة قضايا السلم والاشتراكيـــة الخاصة بمشاكل حركة التحرر الوطنى فى البلدان الافروآسيوية تعرب عن سخطها ازاء استمرار أعمال القمع ضد الشيوعيين وغيرهم من المناضلين من أجل الديمقراطية والتقدم والعدالة الاجتماعية والاســتقلال الوطنى فى عدد من بلدان تلك القارات . وهذا يتناقض مع المقاييس الأولية للبشرية ومع المبادىء الاساسية للقانون الدولى .
وتلفت اللجنة الانتباه الى الحقـــائق التالية التى قدمها ممثلو الاحزاب الشيوعية فى المجلة .

لم يفق العالم بعد من مذبحة الافريقيين، ومعظمهم من تلاميـــذ المدارس ، على يد بوليس جنوب افريقيا خلال الهبـــة التى جرت فى سويتو تلك المدينة المجـــاورة لجوهانسبرج فى ١٦ يونيو ١٩٧٦ : فقد قتل أكثر من ١٧٠ وجرح حوالى ١٢٠٠ ..

والارهاب الذى يشنه حكام جنـــوب افريقيا لم تخف حدته ، ويسقط نتيجة له ضحايا جدد على الدوام . وقد قتـــل ٥٢ عنـــدما هاجم البوليس ٥٠٠٠ افريقى اشتركوا فى جنازة لونجوان ج . ماشابان وهو طالب من سويتو يبلغ ٢٢ عاما مات فى السجن .

وفى نهاية ١٩٧٦ حكم على ١١٢٢ شخصا بينهم ٦٦٢ أقل من ١٨ عاما ، بتهم تتعلق بأحداث يونيو . ووقعت على ٧٠٥ أشخاص معظمهم من الاطفال عقوبات بدنيـــة . وبالاضافة الى ذلك ، حكم على ٦٦ شخصا بنفس التهم وفقا لقانون التخريب والارهاب بأحكام وصل مجموعها الى ٣٢٦ سـنة . واستمرت المحاكمات خلال ١٩٧٧ .

ومعاملة المسجونين السياسيين وحشية للغاية . وفى جزيرة روبين (وهى مكان قاس كسجن حيث يحتفظ بزعماء بارزين لنضال التحرر الوطنى الافريقى كنلســون مانديلا وآخرين) أطلقت كلاب الحراسة على الاعضاء الذين حكم عليهم أخيـــرا لحركة « الوعى الاسود » بينمـــا كانوا يعملون فى محجر للسجن فى ٢٥ ينـــاير من هذا العام . وأصيب كثيرون منهـــم بجراح خطيرة . وأعلن وزير العـــدل والبوليس والسجون ج . ت . كروجر أنه قد « أعطى الاوامر للمسئولين لاستخدام الكلاب للاسراع بالعمل » . وتشير التقارير الى أن حياة المساجين فى خطر .

والتقارير عن المسجونين الســـياسيين الذين ماتوا فى السجن أصبحت كثيـــرة . ووفقا للارقام الرسمية مات ١٩ مســجونا

سياسيا من مارس ١٩٧٦ حتى فبراير ١٩٧٧ (والارقام الخاصة بفترة الثلاثة عشر عاما السابقة هى ٢٢) • ومن بينهم جوزيف مدلولي مناضل بارز فى المؤتمر القومى الافريقى ، ولورنس نزانجا مناضل بارز من اجل الحرية ونقابى قيادى ، ودوميسانى مبانا تلميذ يبلغ من العمر ١٦ عاما من سويتو ، وغير هؤلاء كثيرون • وتلك فقط الحالات التى أعلنت عنها السلطات • ولكن لدينا كل الاسباب للاعتقاد بان الارقام أعلى بكثير ، حيث أن قوانين جنوب افريقيا تسمح بالسجن الانفرادى غير المحدود والبوليس وحده هو الذى يشرف على المسجونين •

والتقارير الرسمية عن اسباب الوفاة اما « الانتحار » او « سبب طبيعى » • لكن اجسادهم التى صورها بعض الشهود تحمل علامات تشويه وتعذيب وحشى •

وقد قالت التايمز اللندنية : « ان العذر الدائم للبوليس عن ان المسجونين هم الذين اودوا بحياتهم هو اعتراف صريح بالتعذيب الجسدى والنفسى ، يستخدم على نطاق واسع ، والى ابعد الحدود وعلى نطاق متزايد » •

الاراضى العربية المحتلة :

الفلسطينيون الذين تضعهم سلطات الاحتلال الاسرائيلى فى السجون تعتبرهم هذه السلطات « مجرمين » و « ارهابيين » • وهم يعانون ظروفا غير انسانية ويعاملون بوحشية من قبل الحراس والمحققين •

ومنذ فترة قريبة أضرب الفلسطينيون فى السجون الاسرائيلية عن الطعام لعدة اسابيع احتجاجا على هذه الظروف • وتوفى احد المسجونين وهو عدنان أبو حية فى سجن عسقلون نتيجة للتعذيب الوحشى •

وصرح المدير العام للسجون الاسرائيلية حاييم ليفى بذلك فى تصريح للصحافة : « ان وضع المسجونين السياسيين اسوأ كثيرا من وضع المسجونين المدنيين • ففى سجن هبرون مثلا ، لا يوجد للسجين سوى متر مربع واحد يعيش فيه • » وقال ويستلفيلد المسئول عن سجن عسقلون : « يقضى المسجون مدة ١٥ عاما او عقوبة مدى الحياة فى زنزانة صغيرة مع ٢٠ آخرين من السجناء • وهذا الوضع يمكن اعتباره فحسب كشكل من اشكال التعذيب » •

ويوجد فى سجن تل موند حوالى ٦٠٠ شخص ، بينما يتسع السجن لـ ٣٠٠ سجين ، كما يوجد فى سجن عسقلون ٤٥٠ سجينا بينما فى الاصل ليسع ٢٠٠ سجين، وفى سجن كفريونا سجينا (وقد بنى لـ ٢٢٠) •

ويوجد اكثر من ٥٠٠٠ فلسطينى محكوم عليهم باحكام تتراوح بين ٥ الى ١٢٠ عاما فى ٢٥ سجنا ومعسكر اعتقال • وهناك الاف المعتقلين دون محاكمة لشهور عديدة ، وصلت احيانا الى ٣٥ شهرا •

وقد توفى ٤٦ سجينا (اسماؤهم معروفة) من التعذيب ، والضرب وانعدام الرعاية الطبية • ويصاحب التعذيب التحقيقات ، ويهان المسجونون على الدوام وفى ١٩٦٩ ادخل العمل الاجبارى فى السجون الاسرائيلية فى المناطق المحتلة •

واعضاء لجنة قضايا السلم والاشتراكية الخاصة بمشاكل حركة التحرر الوطنى فى البلدان الافرو اسيوية يدينون بشدة الارهاب الذى تشنه السلطات ضد المناضلين من اجل الحرية والديموقراطية فى جنوب افريقيا والاضطهاد العنصرى فى جمهورية جنوب افريقيا وفى الاراضى العربية التى تحتلها اسرائيل ، وهم يدينون استمرار احتلال الجيش التركى لجزء من اراضى قبرص ، واجبار ٢٠٠٫٠٠٠ يونانى قبرصى على مغادرة منازلهم وان يتحولوا الى لاجئين •

ويعلن اعضاء اللجنة تضامنهم الاخوى مع كافة الشيوعيين والديموقراطيين ، ومع كل الوطنيين الذين يتعرضون للقمع الرجعى ، ويطالبون بوضع حد للارهاب والقتل والتعذيب •

لجنة قضايا السلم والاشتراكية
الخاصة بمشاكل حركة التحرر الوطنى
فى البلدان الافرواسيوية

الشبح المشئوم للمخابرات المركزية

جوالتيريو كوفاس مامردونز ، « المذبحة الآثمة للمخابرات المركزية » ، بيونس ايرس ، ايديسون ريفيلكسيون ، ١٩٧٦ ، ١٦٠ ص .

ان الموت الفاجع في خريف ١٩٧٦ لـ ٧٣ شخصا على ظهر طائرة مدنية كوبية قد ركز الاضواء بشكل درامى على وجود مركز فى الولايات المتحدة يستخدم مثل هذه الاساليب الارهابية لنشر البلبلة والفوضى فى انحاء امريكا اللاتينية ، من الكاريبى الى كيب هورن . وقال فيدل كاسترو السكرتير الاول للجنة المركزية للحزب الشيوعى الكوبى ورئيس مجلس الوزراء : « من غير وكالة المخابرات المركزية يمكنه ان ينفذ مثل هذه العمليات مامردونز عن العمليات التخريبية فى هذا النصف من الكرة الارضية بسيطرته القائمة ودون عقاب ؟ »

« وكشف النقاب عن وكالة المخابرات المركزية » ، كتاب الفه جوالتيريو كوفاس ماردونز عن العمليات التخريبية للمخابرات المركزية ، واكمله عشية الانقلاب العسكرى فى الارجنتين فى ٢٤ مارس ١٩٧٦ . وكانت البلاد فى حالة من الفوضى ، وعدم الاستقرار ، وفى جو من الارهاب تفوق فيه ما يسمى بالتحالف الارجنتينى المعادى للشيوعية . ورغم مرور وقت طويل منذ ذلك الحين ، لم يفقد الكتاب شيئا من تأثيره ولايزال مرشدا للظروف التى ادت الى احداث ذلك الوقت وبدء الارهاب الذى لعب دورا هاما فى خلق الفوضى .

لقد قدم المؤلف ثروة من المواد اخذها من مصادر عديدة وكان قادرا على ان يبين جوهر الميكانيزم المشئوم واساليب عمله . وفى المقدمة يكتب المؤلف عن مبدأ اشاعة عدم الاستقرار الذى طبق فى البلدان التى كان الوضع السياسى فيها يقلق امبريالية امريكا الشمالية . وهو يقول ، انه فى سياسة الولايات المتحدة يعتبر هذا المبدأ اخطر المبادىء واكثرها ضررا . ويواصل القول : « ان جهاز الحكومة الامبريالى لا يمكنه ان يحقق اهدافه دون الجهاز السياسى العسكرى الذى يسحق اى مقاومة يمكن ان يبديها الشعب ضد اعماله الوحشية » (ص ٥ ـ ٦) .

وترسم فصول الكتاب الستة صورة حية لامبريالية الولايات المتحدة ووكالة المخابرات المركزية مستخدمة اشكالا واساليب مختلفة للتدخل ، بدءا بالترويج لمبدأ الجامعة الامريكية ، واستخدام اجهزة التحريض التى ترمى الى اشاعة عدم الاستقرار فى حكومة لا يعتمد عليها ، وانتهاء بتنظيم انقلابات حكومية . ومثل هذه الاستراتيجية ، كما يكتب المؤلف ، « قد حسنت وعدلت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية » . وتؤيد ذلك الاحداث فى جواتيمالا عام ١٩٥٤ ، والتدخل فى كوبا عام ١٩٦١ وجمهورية الدومينيون عام ١٩٦٥ ، والانقلابات فى البرازيل وبوليفيا واورجواى وشيلى والمناخ المتفجر للغاية فى الارجنتين .

والان ، عندما اصبحت كثير من الجرائم التى ارتكبتها « الحكومة الخفية » وكالة المخابرات المركزية وغيرها من هيئات المخابرات والتخريب الامريكية ـ امرا معروفا ، وعندما اصبحت هذه « الحكومة » قوية بدرجة « لا يمكن السيطرة عليها » ، فان دعوة الكتاب الى اليقظة تاتى فى حينها حقا . ومع ذلك يستنتج المؤلف ان وكالة المخابرات المركزية ليست قوية بصورة مطلقة ، وان هناك حاجة الى ثلاثة اشياء لمواجهة استفزازاتها ـ المعرفة ، والتنظيم ، والتعبئة . ويقول « وهذا هو الاساس للنضال ضد وكالة المخابرات المركزية وغيرها من مراكز الاستفزاز » .

مدن بلا أزمات ؟!

يريد بعض قرائنا ان يعرفوا شيئا عن تطور المدن فى البلدان الاشتراكية وقضاياها الراهنة • وهم يقولون ان ازمة المدن فى ظل الرأسمالية مظهر لأزمة الرأسمالية العامة ، بيد ان التحضر يثير مصاعب كبيرة ذات طابع عام • افــلا تواجه المدن فى البلدان الاشتراكية بدورها هذه المعضلات ؟ ألا تواجه مصاعب في تمويل اقتصاد البلديات وبرامج الاسكان وحماية البيئة والنقل واجراءات مكافحة الجريمة ؟ وللرد على هذه الاسئلة تنشر معلومات عن برلين ووارسو وبوخارست وموسكو وبراغ جمعهــا مكتب الاعلام فى المجلة على اساس المعطيات التى تقدمت بها مشكورة الهيئات البلدية فى هذه المــدن •

ان النمو السريع فى العالم اليوم يثير عددا من القضايا المشتركة بين كل المجتمعات (التطور السريع للنقل فى المدن ، حماية البيئة ، زيادة عدد سكان المدن ، ضرورة الاسراع ببناء المساكن ، الخ •) • غير أن هذه القضايا تعالج بطريقــــة مختلفة فى البلدان الاشتراكية • فبفضل طبيعة النظام الاشتراكى ذاتها تتاح للمدن الاشتراكية ظروف مواتية للحل المخطط المتوازن لقضايا التطور ، الامر الذى يساعدها فى تجنب كثير من الظواهر التى تتسم بها المدن فى العالم الرأسمالى •

فالنقص فى الموارد المالية ـ هذا الداء الدائم الذى يصيب البلديات الرأسمالية يمثل عائقا امام تطور المدن ، ويدفعها فى بعض الاحيان الى حافة الافلاس • وعلى سبيل المثال وقعت كثير من المدن الكبيرة فى الولايات المتحدة الامريكية فى قبضة أزمة مالية حادة طيلة سنوات •

وعلى العكس يكفل النظام الاشتراكى للادارة الاقتصادية ـ بتخطيطه المتوازن ـ حلا رشيدا للقضايا المالية التى تواجه المدن • ولا يجرى تمويل المدن الاشتراكية من الضرائب التى تفرض على الجماهير العاملة كما هو الحال فى البلدان الرأسمالية ، وانما من عائد

الاقتصاد الاشتراكى . وعلى سبيل المثـــال شكلت الاستقطاعات من ارباح المؤسسات الصناعية ٩٣٪ من ميزانية بلدية موسكو فى عام ١٩٧٦ .

ويكفل النمو الاقتصادى المخطط فى البلـدان الاشتراكية زيادة ثابتة فى ميزانية المدن . فقد ارتفعت ميزانية براغ مثلا من ٢٨٦٢ مليون كرون عام ١٩٦٥ الى ١١٠١١ مليون كرون عام ١٩٧٥ . كما ارتفعت الميزانية فى موسكو بنسبة ١٤٠٪ خلال الستة عشر عاما الماضية ، وفى بوخارست زادت ايرادات الميزانية فيما بين ١٩٧١ و ١٩٧٦ من ٣٩٢٨ مليون الى ٤٢٤٠ مليون لى ، كما زادت فى برلين من ٢٣٧٥ مليون مارك الى ٢٦١٥ مليون مارك فى عام واحد (١٩٧٥ ــ ١٩٧٦) .

ويصرف أكثر من نصف اعتمادات ميزانيــــة المدن على التعليم والرعاية الطبية والخدمات الثقافية والاجتماعية . ويتزايد هذا النصيب باستمرار . ففى برلين زادت النفقات على التعليم والرعاية الطبية والاحتياجات الاجتماعية والثقافة والرياضة والراحة والترفيه خلال عام واحد (١٩٧٥ ــ ١٩٧٦) من ٩ر١٠٦٠ مليون مارك الى ٩ر١١٦٦ مليون مارك . وارتفعت مصروفات موسكو على الاحتياجات الاجتماعية والثقافية فى الفترة ١٩٦٠ ــ ١٩٧٥ من ٠٠٠ر٤٠٠ر٣١٢ روبل الى ٠٠٠ر٥٠٠ر٨٠٣ روبل . وفى براغ زادت اعتمادات المؤسسات الثقافية والمعونات التى تقدم للمنظمات التى تقوم بالنقل العام الخ ٠٠٠ بنسبة ٢٥٠٪ خلال العام الماضى ، فبلغت ١٩٠٠ مليون كرون .

ومع استمرار نمو الموارد المالية للمدن الاشتراكية تجد من السهل عليها أن تعالج قضية حيوية مثل مسالة الاسكان . فهى اليوم تقف فى المقدمة فى مجال بناء المساكن ، وعلى عكس المدن الرأسمالية ــ حيث بناء المساكن عملية متقطعة نتيجة المضاربة فى الارض والاندفاع نحو الربح ــ يقوم البناء فى المدن الاشتراكية على خطط موضوعة علميـــا وطويلة الامد ، وتشمل المجمعات السكنية فيها عددا كافيا من المدارس ودور الحضانة ورياض الاطفال والتسهيلات البلدية ومراكز البيع والمقاهى والعيادات الخارجية للمرضى والمستشفيات وصالات الرياضة والملاعب ــ اى كل ما يحتاجه المواطن وعائلته ليحيـــا حياة صحية ومريحة . وأخيرا وليس آخرا فان عدم وجود ملكية خاصة للأرض يستبعد المضاربة فيها .

لقد كانت وارسو أنقاضا بعد الحرب العالمية الثانية بعد أن دمر ما بين ٨٠٪ ــ ٩٠٪ من مساكنها ومواصلاتها . وكان لابد من بنـــاء العاصمة البولندية عمليا من جديد . وهكذا أقيمت شقق لاسكان ٠٠٠ر٢٠٠ر١ شخص كما أقيمت مرافق جديدة تماما على أحدث طراز ووفقا لاسلوب الحياة الاشتراكى . وبذل جهـــد كبير لترميم الآثار التاريخية التى دمرها النازيون بلا رحمة .

وتفخر وارسو اليوم بنحو نصف مليون شقة تبلغ مساحتها السكنية ٣ر٢١ مليـون متر مربع . وقد تضاعف عدد الشقق التى بنيت فى المدينة فى عام ١٩٧٥ عن العدد الذى سجل فى بداية فترة السنوات الخمس الماضية .

كمـــا كان لا بد من اعادة بناء برلين ــ عاصمة جمهورية المانيا الديموقراطية ــ بدورها بعد الحرب . وفى الفترة من عام ١٩٧١ الى عام ١٩٧٥ وحدها حصل السكان على نحو ٤٩٠٠٠ شقة أعيد بناؤها ، وعشرات المدارس ، وعدد كبير من رياض الاطفال ودور الحضانة . وتحسنت ظروف معيشة ١٣٨٠٠٠ من أبناء برلين أى ٥ر١٢٪ من السكان . وأولى برنامج تطوير المدينة اهتماما كبيرا لتحسين اسكان عائلات العمال . وكان نحو ٦٠٪ ممن انتقلوا الى شقق جديدة فى عام ١٩٧٥ من العمال وأفراد عائلاتهم ، مع اعطاء الاولوية للعائلات كبيرة العدد .

وقد أقيم أكثر من ٣٠٪ من كل شقق براغ ـ ويقطنها أكثر من ٢٠٪ من سكان المدينة (٣٢٦٠٠٠ نسمة) فى فترة ما بعد الحرب ـ وخصصت اللجان الوطنية فى المدينة نحو ٤٠٪ من الشقق للعمال وعائلاتهم · وفى عام ١٩٧٥ أعطى أكثر من ٣٥٪ من الشقق للمتزوجين حديثا ·

وقد عرفت العاصمة السوفييتية بالبناء الواسع للمساكن · ففى عام ١٩١٧ لم يكن فى موسكو سوى ١٢ مليون متر مربع من المساحة السكنية ، أغلبها دون مرافق كافية · وارتفع الرقم فى سنوات الحكم السوفييتى الى ١١٩ر٥ مليون متر مربع ، أى بعبـارة أخرى أن المدينة قد اتسعت تسعة أضعاف منذ ثورة أكتوبر · وفى الفترة من ١٩٧١ ـ ١٩٧٥ تحسنت ظروف سكنى ٢ر٣ مليون شخص · ويعيش أغلب سكان موسكو اليوم فى مساكن حديثة فى ٩٩٪ منها مياه جارية ومرافق صحية وغاز ، وفى ٩٧٪ منها تدفئة مركزية ، وفى ٩٠٪ منها حمامات (وعلى العكس يعيش نحو ٢٧٪ من سكان لندن فى عام ١٩٧٦ فى مساكن تفتقر الى الخدمات اللازمة) ·

وتحقق تقدم ملحوظ فى بوخارست أيضا · ففى فترة السنوات الخمس الاولى من ١٩٥١ الى ١٩٥٥ لم تبن فى المدينة سوى ٢٥٠٠ شقة ، فى حين أقيمت فى فترة السنوات الخمس الاخيرة ١٢٠ر٠٠٠ شقة يسكنها ٤٠٠ر٠٠٠ شخص ·

والايجار منخفض فى كل البلدان الاشتراكية · فهو يبلغ فى براغ مثلا ٢ر٣٪ من ميزانية العائلة فى عام ١٩٧٥ ، وفى موسكو ٤ ـ ٥٪ وفى برلين ٥٪ ، ونجد مثل هذا الايجار المنخفض فى البلدان الاشتراكية الاخرى ·

وقد اعترف العالم كله بتقدم البلدان الاشتراكية فى بناء المساكن · غير أن هناك عددا من القضايا التى تنتظر الحل ، وعلى سبيل المثال ليست كل الشقق واسعة بالدرجة الكافية · غير أن خطط بناء المساكن فى المستقبل القريب تستهدف حل هـــذه المسألة بدورها ·

لكن الوضع مختلف تماما فى البلدان الرأسمالية بما فيها البلدان الصناعية · ففى فرنسا مثلا تشير الاحصاءات الرسمية الى أن عدد العمارات السكنية التى يجرى بناؤها قد انخفض فى عام ١٩٧٦ بنسبة ٧٪ عن العام السابق ، فى حين يوجد أكثر من مليون ونصف شقة غير مسكونة لان ايجارها يزيد كثيرا عما تحتمله ميزانية المواطن ·

ويمثل النمو السريع فى حركة المرور ، وبدرجة أولى السيارات الخاصة ، مسألة حادة فى المدن الحديثة · وقد وصلت هذه المسألة فى البلدان الرأسمالية الى أبعـــاد رهيبة · أما فى المدن الاشتراكية فان التطوير السريع للنقل تحكمه خطط شاملة محسوبة علميا · ويخفف نشر شبكة القطارات تحت الارض كثيرا من ازدحام المرور فى المدن · وعلى سبيل المثال يتولى مترو موسكو ـ الذى يبلغ طول خطوطه ١٦٤ر٥ كيلو مترا ـ ٣٧٪ من عمليات النقل فى المدينة · كما أن مترو براغ ـ الذى لم يعمل الا منذ بضع

سنوات ـ قد أصبح مفيدا للغاية فى هذا الصدد · ومن الحلول المبشرة الاخرى الاستخدام الواسع للاوتوبيسات والترامات وعربات الترولى · وقد زاد عددها فى برلين بنسبة ٤٠٪ فيما بين ١٩٧١ ـ ١٩٧٥ · وخلال العقود الثلاثة الماضية تضاعف عدد الاوتوبيسات فى بوخارست نحو أربعة أضعاف · وقد وسعت الشوارع والطرق لزيادة طاقة المرور وسلامة الطرق فى البلدان الاشتراكية ، ويجرى تحسين تنظيم النقل على نطاق واسع لمواجهة التوسع فى النقل ·

وحماية البيئة قضية حادة أخرى يثيرها اتساع التحضر · وفى البلدان الاشتراكية

يجرى الربط بين تطور المدن والظروف الصحية · وقد اتخذت الترتيبات لسلسلة واسعة من الاجراءات التى تكفل حماية اكيدة للبيئة · وتشمل هذه الاجراءات تنقية المياه والهواء ، وتخفيض مستوى الضوضاء ، ونقل المصانع الى خارج حدود المدن ·

وقد زاد عدد المناطق « الخضراء » كثيرا فى وارسو بحيث أصبح هناك أكثر من ٤٠ مترا مربعا من الحدائق والمتنزهات مقابل كل مواطن · وتنمو فى شوارع وارسو ٨٠٠٠٠ر شجرة ، وتخصص مبالغ كبيرة لتنقية الجو وموارد المياه · وقد انفقت المؤسسات الصناعية فى وارسو ٧٢ر٢ مليون زلوتى فى عام ١٩٧٥ على معدات مكافحة تلوث الهواء و ١٢٧ مليون زلوتى لاقامة معامل لتنقية المياه ·

وفى بوخارست أقيم منتزه سيركوس ومنتزه الشباب ومنتزه تيتان وغيرها من مناطق الترفيه الجديدة لتحسين البيئة والمناخ · ووسعت مساحة حدائق المدينة فى كل الاحياء · وخطت تنقية المياه خطوات كبيرة ، ووسع « شريط البحيرات » فى المدينة ليصل الى ٣٠ كيلو مترا ·

وتنمو الاشجار والشجيرات الان فى آلاف الهكتارات من أراضى مدينة موسكو وعلى طول ٤٠٠ من شوارعها وطرقها · وفضلا عن ذلك ظهر فى المدينة ٢٠ منتزها جديدا و ٣٠٠ حديقة · وفيما بين عام ١٩٧١ وعام ١٩٧٥ اقيمت أو جددت ٣٣٠ من خزانات المياه و ١٠٠٠ وحدة لالتقاط الغبار والغاز · وتقلل كل هذه الاجراءات من الانطلاق اليومى للعوادم التى تلوث الهواء باكثر من الف طن ·

وتتقدم حماية البيئة فى البلدان الاشتراكية الاخرى كذلك · فقد زرعت النباتات الخضراء فى ١٦٠ هكتارا جديدة فى براغ فى السنوات الماضية ، واقيمت منتزهات تبلغ مساحتها ١٣٠ هكتارا فى الاحياء السكنية الجديدة فى العاصمة التشيكوسلوفاكية ·

وقد بلغت الجريمة حد الكارثة فى المدن الرأسمالية ، وبخاصة الجريمة المنظمة التى انتشرت انتشارا مشئوما · فحين احتفلت الولايات المتحدة بالعيد المئوى الثانى فى عام ١٩٧٦ ضرب مستوى الجريمة رقما قياسيا : جريمة قتل كل ست دقائق ·

أما المجتمع الاشتراكى فقد ازال اسبابا للجريمة مثل عدم المساواة الطبقية والاجتماعية والبطالة والفقر · وهدم الاكواخ والاحياء المغلقة (الغيتو) حيث تؤدى المظالم الاجتماعية والافتقار الى الحقوق المدنية الى توليد الجريمة · وقد تخلصت المدن الاشتراكية من كثير من الجرائم الناجمة عن ادمان المخدرات · ويقل مستوى الجريمة فيها كثيرا عنه فى الدول الرأسمالية · فعمليات انتهاك القانون فى برلين عاصمة جمهورية المانيا الديموقراطية تقل بنسبة ٨٦٪ عنها فى برلين الغربية ·

وبفضل الاجراءات الفعالة لمكافحة الجريمة أو منعها يستمر مستوى الجريمة فى الانخفاض فى المدن الاشتراكية · فقد انخفض فى برلين مثلا ٢٠٪ فى ١٩٧٤ ــ ١٩٧٥ عنه فى عام ١٩٧٣ · وفى العقد الماضى من الزمن انخفضت جريمة التشرد بنسبة ٥٠٪ فى موسكو ، وفى وارسو انخفض عدد سرقات الملكية الخاصة والعامة نحو ٣٣٪ فيما بين ١٩٦٥ و ١٩٧٢ ·

لقد وصف الصحفى الامريكى مايك رافيدو عن حق مدن العالم الاشتراكى بأنها مدن بلا ازمات · وتوضح الوقائع والارقام الواردة هنا ــ وان لم تكن شاملة ــ اتجاه تطور العواصم الاشتراكية · كما توضح ما حققته الاشتراكية فى توفير مستوى معيشة وظروف ثقافية ملائمة للتطور المنسجم للانسان ·

ALISM • СОЦИАЛИЗМ • SOCIALISMUS • CHU NGHIA XA HOI • SOZIALI

دائـرة المعارف

● البلدان النامية :

بعد الحرب العـــالمية الثانية انهـــار النظام الاستعمارى للامبريالية وظهرت الى الوجود أكثر من مائة دولة فتية ، اصطلح على تسميتهـــا « بالبلدان النامية » واصطلاح « البلدان النامية » ليس دقيقـــا اذا ما طبقناه على هذه البلدان التى تختلف فيما بينها فى كثير من الجوانب ٠٠

ولكن رغم الاختلافات الكثيرة فيما بينها ، تجمع بينهـــا سمات مشتركة عديدة ٠ وهـــذه السمات المشتركة تبرر اطلاق اصطلاح « البلدان النـــامية » عليها جميعا ٠ فما هى هذه السمات المشتركة ؟

أولا ، يتطور اقتصاد هـــذه البلدان فى ظروف اجتماعية اقتصادية متماثلة وتحتل هذه البلدان مكانا خاصا فى الاقتصاد العالمى ٠

وقد أصبحت الهوة العميقة بين مستـــويات التطور بين المجموعات المختلفة من البلدان واضحة على وجه الخصوص عندما تشكل النظـــام الاستعمارى العالمى للامبريالية فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ٠ وبدأ كثيرون من أيديولوجيى البرجوازية يقسمون العالم الى بلدان « متمدينة » وبلدان « غير متمدينة » أو « متوحشة » ٠ وعن طريق هذا التقسيم حاولوا تبرير النهب الاستعمارى ، مطلقين عليـــه « الرسالة الحضارية » للدول الامبريالية ٠

وخلال فترة تفكك النظام الاستعمارى عندما انتقل الاهتمام المتزايد الى البلدان المستعمرة والتابعة فى

آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية اخترع ايديولوجيو البرجوازية مصطلحات سياسية واقتصادية جديدة مثل « البلدان الغنية » و « البلدان الفقيرة » او « البروليتارية » . وقسموا العالم من جديد الى بلدان « متطورة اقتصاديا » وبلدان « متخلفة » .

فبأى المقاييس يصنف الكتاب البرجوازيون البلدان على انها « فقيرة » او « متخلفة » ؟ بالنسبة لمعظمهم فان المقياس الأساسى هو النطاق المحدود للانتاج بالنسبة للفرد بالمقارنة مع البلدان « المتطورة » ، وما يترتب على ذلك من مستوى منخفض لمتوسط الدخل السنوى بالنسبة للفرد . والمقاييس الاخرى هى النقص الشديد فى رأس المال ، وانخفاض انتاجية العمل ، والتجهيز التكنيكى الفقير لكافة فروع الاقتصاد القومى .

ويرجع السبب الرئيسى للتخلف الاقتصادى لشعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية الى الاستغلال الاستعمارى الذى خضعوا له طويلا . وبعد أن حققت المستعمرات السابقة استقلالها السياسى ، تلجا الامبريالية الى الاساليب الاقتصادية والعسكرية لمواصلة وتكثيف استغلالها للدول الغنية .

وهذا السبب الرئيسى هو الذى يتجاهله المفكرون البرجوازيون . وتحليلهم لاقتصاد البلدان المتحررة حديثا ذو طبيعة وصفية فى الغالب . وهم يعترفون فى افضل الاحوال بالفقر والتخلف الاقتصادى ، والامراض ، والأمية ، وآثار الابنية التقليدية والاشكال البالية للاقتصاد التى ترتبت على السيطرة الاستعمارية الطويلة .

انهم لا يتجاهلون دور النظام الاستعمارى للامبريالية باعتباره سبب التخلف الاقتصادى لتلك البلدان ولكنهم يحاولون المحافظة على استمرار السيطرة الاستعمارية بقولهم بأن هذه البلدان يمكنها أن تتخلص من تخلفها الاقتصادى فحسب « بمساعدة » البلدان الامبريالية . وهم يعنون « بالمساعدة » خلق اكثر الظروف مواتاة للنشاط الاقتصادى للاحتكارات الرأسمالية الاجنبية فى البلدان النامية .

وقد اشرنا من قبل الى ان متوسط الدخل السنوى بالنسبة للفرد يعتبر مقياسا هاما من قبل المفكرين البرجوازيين لتقسيم العالم الى بلدان « غنية » و « فقيرة » . ومن المهم أن نوضح من أين تأتى هذه الدخول ، وكيف توزع بين الفئات والطبقات الاجتماعية المختلفة ، وكيف تستخدم لتطوير الاقتصاد القومى ، وما الذى يحول دون استخدام هذه الدخول لصالح البلاد .

عندما نمعن النظر فى هذه المسائل نرى أن درجة اعتماد البلاد المعنية الاقتصادى والسياسى على الرأسمالية العالمية له اهمية كبرى .

ان احد اسباب خطأ فكرة البلدان « الفقيرة » و « الغنية » ، و « المتطورة » و « المتخلفة » هو انها غير مستندة على موقف تاريخى من المشكلة . فالتخلف الاقتصادى والاجتماعى للبلدان النامية ظاهرة تاريخية جديدة نسبيا . والهوة الواسعة فى مستويات المتطور بين بلدان العالم المختلفة حدثت فى القرنين الاخيرين اساسا نتيجة لتكوين النظام الاستعمارى للامبريالية ولتقسيم العمل الدولى الرأسمالى .

وفى فترات معينة من التاريخ وصلت بعض البلدان التى تشغل اليوم أراضى ما يسمى بالبلدان النامية الى مستويات عالية للغاية من المدنية ومارست تأثيرا ملحوظا على الحضارة العالمية ، ويمكننا أن نشير الى دور مصر والعراق فى الازمنة القديمة والى الحضارة العربية فى العصور الوسطى ، على سبيل المثال .

وهكذا فان التخلف الاقتصادى للبلدان النامية ناجم عن فعل الاقتصاد الرأسمالى العالمى وعن تقسيم العمل الدولى الرأسمالى .

● اشترك فى هذا العدد :



● ايريك هونيكر :

السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الاشتراكى الالمانى الموحد .

● دون ديمالاسيرى ساباسنج :

عضو المكتب السياسى وسكرتارية اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى سرى لانكا .

● بوريس بونوماريوف :

العضو الاحتياطى للمكتب السياسى، وسكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى .

● جلاديس مارين :

عضو اللجنة السياسية للجنة المركزية للحزب الشيوعى الشيلى .

SOCIALIST STUDIES

AUGUST 1977

MAIN SUBJECTS

● رينيه أوربانى :

رئيس الحزب الشيوعى فى لوكسمبرج .

● ايجور بليشيشنكو :

سكرتير الاتحاد الدولى للمحامين الديموقراطيين .

●●●

دراسات اشتراكية

مجلة شهرية
تصدر عن دار الهلال
بالتعاون مع مجلة
السلم والاشتراكية

رئيسة مجلس الإدارة
أمينة السعيد

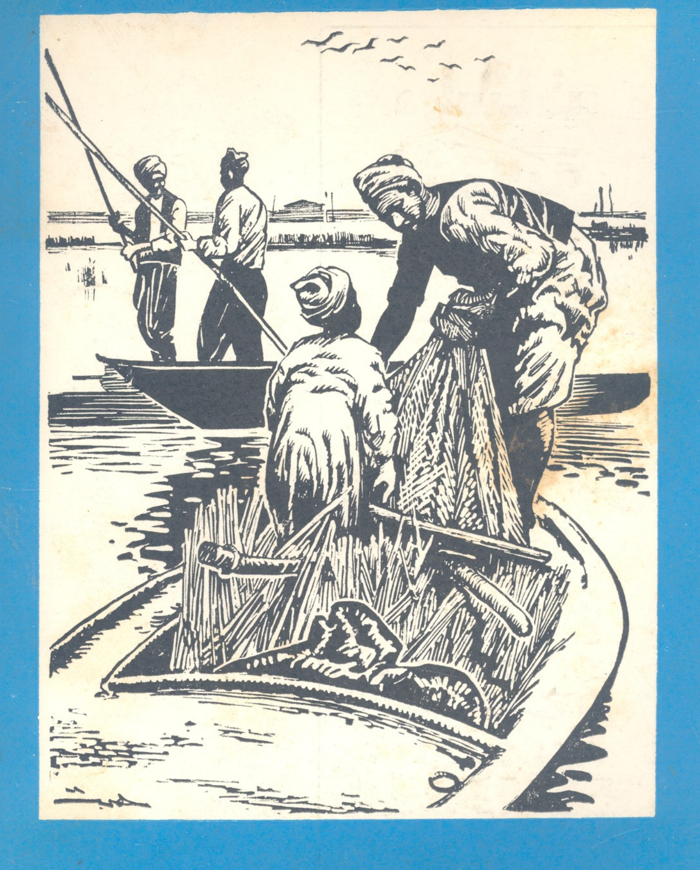
رئيس التحرير
إبراهيم عبد الحليم

ثمن العدد : جمهورية مصر العربيه ١٠٠ مليم – من الكميات المرسلة بالطائرة فى سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا، فى الاردن والعراق ١٣٠ فلسا .

قيمة الاشتراك السنوى: (١٢ عدد) فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحاد البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ فى سائر انحاء العالم، ٥ ونصف دولار او ٢ ج ك والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية. فى الخارج بتحويل او شيك مصرفى قابل للصرف فى جمهورية مصر العربية والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى – وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب .

الادارة: دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ، القاهرة .

تليفون : ٢٠٦١٠ ، عشرة خطوط .



تدريب عملى

للفنان هبة عنايت

١٠ قروش